كتب نادرة

كتاب بغداد

لإمام المؤرخين ومجيدهم، وأستاذ البلغاء وقدوتهم، أول من كتب تاريخ مدينة السلام

أبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب

المعروف بابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ

الأصل مأخوذ عن مصور شمسى
للنسخة الخطية المحفوظة
فى المتحف البريطانى بلندن

عرف الكتاب، وترجم للمؤلف وصححه
العلامة المحقق الكبير
صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ
محمد زاهد بن الحسن الكوثري
وكيل المشيخة الاسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا

عنى بنشرة، وراجع أصله، ووقف على طبعه
السيد عزت العطار الحسيني
مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية
من أقدم عصورها إلى الآن

سنة ١٣٦٨ هـ

١٩٤٩م

إهداء الكتاب

لحضرة الادارى الحازم الكبير صاحب العزة

القائمقام محمد بك يوسف

مدير الشئون العربية بمحافظة مصر

سيدى

« وطنيتكم الصادقة المنبعثة من قلبكم العامر بالايمان »
« بحقوق العرب ، وعدالة قضيتهم ، وشغفكم بتاريخهم »
« واستعادتهم مجدهم القديم ومكانهم الرفيع دعانى أن أتوج »
« هذا الكتاب النفيس — الذى عنى بتاريخ العرب فى عصر »
« من عصورهم الذهبية — باسمكم الكريم (جزاء وفاقا) »
« لما قمتم وما تقومون به من خدمة العرب والعروبة »
« راجياً أن ينال نعمة القبول ؟

المخلص

ناشر الكتاب

السيد عزة العطار الحسينى

كلمة الناشر :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لى صدرى . ويسر لى امرى ، واحلل عقدة من لسانى .

احمدك اللهم على جزيل نعائك ، واسألك العون والتوفيق فى كل الأمور ، واصلى واسلم على النبي الكريم المبعوث لكافة خلقك ، وعلى آله الطاهرين وأصحابه البررة المجاهدين .

أما بعد فليس من الخفى أن التاريخ أشرف فنون الأدب، وأوفرها فائدة. وأجزلها عائدة ، كما انه من افضل واجل العلوم وانفع وارفع الفنون التى ارشد الانسان لوضعها وابرازها للعالم . فالتاريخ مسرح الأمم الغابرة وتصوير أخلاقها، والمنار الوحيد للشعوب الآتية فى مسيرها ونجاحها ، فهو مرآة لصفات السابقين وسفينة نجاة وحياة للاحقين ، وهو الجامع لحوادث الدهور . المنور للجمهور ، الكاشف لأسرار المحاسن والعيوب ، فهو المهذب للأخلاق ، والمذهب للأوراق بما سجلت أقلام الكاتبين من الأعمال الصالحة والطالحة التى هى تبصرة للأنام ، ومرشدة لهم نحو الكمالات ومجانبة النقصان .

فالتاريخ إذاً هو مرآة العالم فيجب أن تكون هذه المرآة فى غاية الجلاء والنظافة ، سليمة عن الاوساخ ، نقية بعيدة عن الاكاذيب والاغراض كى تتجلى من خلال عكوسها حقائق الامور، ويبدو منها للعيان تمام المقصود ، وكمال المطلوب دون زيادة ولا نقصان ، فلا تختفى خلف حجب الاغراض حقيقة الامم وسير الرجال الذين قادوا شعوبهم الى قمم المجد والسؤدد أو الى هاوية الشقاء والهوان لان فى نشر الحقيقة واستجلائها فى كافة الشئون نفع باهر للشعوب .

وليس بخاف انه اذا تلوثت صحائف التاريخ بالأكاذيب والمحاباة والتحيز اصبحت النتيجة منه عكس المطلوب ونقيض الغرض المنشود فبدلا من ان يكون مفيداً للتربية والترقى يمسى مجلبة للجهل فتتبدل الغاية السامية التى هى انارة الافكار واماطة

الحجب عن البصائر والابصار بالجهل والعمى والسقوط فى ظلمات الاوهام .

ولقد صدق من قال : « من صنف فقد استهدف » ولكن هناك فرق بين المؤرخ الذى يتحيز ويكتب لحاجة فى نفسه متأثراً بحكومات زمانه، أو متعصباً لعقيدة مذهبية ، أو سياسية أو متقربا من الحكام ، فان مثل هذا المؤرخ يقع فى شرك نقد أهل العلم فيناله سقوط كتبه ومذمة الشعوب له . والمؤرخ الذى يكتب بروح حرة تمليها عليه الحقيقة الناصعة من غير أن يكون له ميل الى غرض شخصى أو سياسى أو مذهبي فربما يستهدف أيضاً للطعن والقدح ممن لا يروقهم إظهار الحقيقة ونشرها ولكن سرعان ما تزول تلك الطعون وتنال مصنفاته اعجاب الجمهور فيكتب تاريخ مثل هذا المؤرخ بماء الذهب .

اذاً فكل تاريخ كتب من غير ان يكون مؤلفه متحيزاً بل كان مقصده تدوين الحقائق التاريخية كما هي يكون بلا مرية أقرب الى الإجلال والاعتبار وأبعد عن السقوط والاحتقار ، وموضع اهتمام الكتاب والباحثين من أهل العلم والعرفان الذين يتحرون الحقائق التاريخية وينشدونها فى كل مكان وزمان . ولنضرب مثلا فى اهتمام أهل العلم والبحث بكتب المؤرخ النقاد الذى ملأ كتبه بذكر الحقائق التاريخية .

فدونك أيها القارىء الكريم ابن خلدون الذى ولى من مناصب الدولة أعلاها وحاز من العلوم والفنون أبهرها وأسناها ، والذى طبقت شهرته بلاد المغرب والمشرق فانه بالرغم عن مضى خمسمائة وتسعة وخمسين عاما على وفاته فان كتبه التاريخية هي موضع بحث وعناية اهل العلم واهتمامهم . نذكر منهم صديقنا الاخ الاديب البحاثة الاستاذ محمد بن تاويت المعروف بالطنجى نسبة الى موطنه مدينة (طنجة) فانه اهتم اهتماماً كبيراً بدراسة مقدمة ابن خلدون ورحلته فدرسهما درسا وافياً وحققهما تحقيقاً عليا فركب متون الجو من القاهرة الى الآستانة وغيرها من البلدان الغنية بالمكتبات الخطية باحثاً منقباً عن نسخ مخطوطة فصحح المقدمة

والرحلة وأثبت فيهما ما وجده مبتوراً من النسخ المطبوعة بعد ان حققهما تحقيقاً خالياً من الشوائب وسينشرهما قريباً لتزويد الخزانة العلمية العربية ليعم نفعهما فشكراً له باسم العلم .

أما هذا الكتاب فهو من مؤلفات أبى الفضل احمد بن أبى طاهر طيفور الكاتب المروزى الذى عرف فى جميع الأوساط العلمية بانه امام من أئمة الادب وعلم من أعلام الكتاب ومن أقدم من عرف بتدوين التاريخ بل هو أول من دون تاريخ مدينة السلام . وقد أخذ عنه ابن جرير الطبرى، وأبو الفرج الاصبهانى وغيرهما من المؤرخين والكتاب ، وقد سارت بحديث ما خلفه من الآثار العلمية ، والنفائس الأدبية والتاريخية الركبان فاهتم علماء الشرق والغرب بالبحث عنها فلم يعثروا الا على هذه الضالة الفذة من بين كثير مما عبثت به الأيدى وطوحت به الايام . من مؤلفات هذا الكاتب الهام .

ولهذا رأيت من أوجب الواجبات تزويد الخزانة العربية بنشر هذا الكتاب النفيس وذلك لقدم تأليفه ، وكثرة فائدته ، وعظم أهميته فقصدت ساحة ملاذنا وأستاذنا العلامة المحقق الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد الكوثرى أمد الله فى عمره فرجوت من فضيلته أن يتكرم بكلمة عن الكتاب ومؤلفه مع إجالة النظر فى الكتاب فقام بذلك على قدر ما سمح له وقته فجزاه الله خير الجزاء، والله سبحانه وتعالى أسأل لى وله التوفيق لما فيه رضاه ؟

الناشر

أبو أسامة

السيد عزة العطار الحسينى

أنباء عهد المأمون

من كتاب بغداد لابن طيفور

الكاتب المشهور

أبو الفضل : أحمد بن أبي طاهر المروذي الكاتب معروف عند القدماء بابن أبي طاهر الكاتب وعند أهل هذا العصر بابن طيفور ، لكون والده أبي طاهر يسمى طيفوراً، كان أحد البلغاء الشعراء الرواة، من أهل الفهم، المذكورين بالعلم، المكثرين من التصنيف والتأليف المعروفين بالذكاء وجودة البيان، وكان مع هذا جميل الأخلاق ، ظريف المعاشرة، وقد غالى جعفر بن أحمد بن حمدان في «الباهر» في رميه بالتصحيف والسطو على أنصاف أبيات وأثلاث أبيات غير حاسب أن ذلك ليس من باب الانتحال بل من نوع الإيداع المعروف عند أهل البديع، وذكر أنه كان مؤدب كتاب عاميا ـ يعني سنيا ـ ثم تخصص (وتشيع) وجلس في سوق الوراقين في الجانب الشرقي اه .

ولد سنة ٢٠٤ ﻫ وقت دخول المأمون العباسي بغداد قادماً من خراسان، وحدث عن عمر بن شبة ، وأحمد بن الهيثم السامي. وعبد الله بن أبي سعيد الوراق وغيرهم وروى عنه ابنه عبيد الله ، ومحمد بن خلف بن المرزبان .

قال الخطيب البغدادي: كان أحد البلغاء الشعراء والرواة ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم ، وله كتاب بغداد المصنف في أخبار الخلفاء وأيامهم ـ . وذكر ابنه أنه مات ليلة الأربعاء لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين ودفن في مقابر باب الشام وكان مولده ببغداد مدخل المأمون اليها من خراسان سنة أربع ومائتين فيكون ميلاده يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر صفر من السنة المذكورة

وقال محمد بن اسحاق النديم : كان من أبناء خراسان من أولاد الدولة ، مولده ببغداد . ثم ذكر غمز ابن حمدان فيه في كتاب «الباهر» وسرد مؤلفاته : منها المنثور ـ والمنظوم أربعة عشر جزءاً ، وسرقات الشعراء ، وكتاب بغداد، وكتاب المؤلفين وكتاب المشتق المختلف من المؤتلف ، وكتاب اسماء الشعراء الأوائل وكتاب القاب الشعراء ومن عرف بالكنى ومن عرف باسم، وكتاب المعتذرين،

وكتاب مفاخرة الورد والنرجس، وكتاب الحجاب، وكتاب مقاتل الفرسان، وكتاب مقاتل الشعراء، وكتاب الخيل الكبير، وكتاب سرقات البحترى من أبى تمام، وكتاب الجامع فى الشعراء وأخبارهم، وكتاب فضل العرب على العجم، وكتاب لسان العيون، وكتاب أخبار المتظرفات إلى غير ذلك من كتب كثيرة له، ولم يظفر الباحثون منها إلا بالجزء السادس من كتاب بغداد ـ وهو يحتوى أنباء المأمون العباسى من دخوله بغداد سنة ٢٠٤ هـ إلى وفاته سنة ٢١٨ هـ والجزء الحادى عشر والثانى عشر من كتاب « المنثور والمنظوم » له، وتلك الأجزاء الثلاثة محفوظة فى المتحف البريطانى، والجزء الخاص ببغداد سبق أن نشر [١] . لكن حيث نفدت نسخه أراد الأستاذ البحاثة السيد عزة العطار الحسينى حفظه الله إعادة نشره تزويداً للمكتبة العربية بهذا الكنز الثمين، القديم التدوين، لما اختص هذا الجزء من أنباء هامة عن عهد عالم الخلفاء المأمون العباسى، وقد كثرت الاحداث فى زمنه وفيها كثير مايهم الباحثين، وابن جرير الطبرى كثير النقل عن نصوصه وكذا ابو الفرج الاصفهانى

وطريقة المؤلف فى تسجيل الانباء مدعاة للاطمئنان بها لأنه يذكر أولا عدة من عنوا بتدوين أنباء ذلك الزمن ويقول عند ذكره للأنباء المتعاقبة اذا اتفقوا على حكاية نبأ منها : قالوا جميعا كيت وكيت، وعند انفراد أحدهم بنبأ يقول حدثنى فلان فتكون قيمة هذا النبأ بحسب هذا المنفرد، وهذه طريقة بديعة جداً تسهل مهمة الباحث المستقصى،

ويقول محمد بن اسحاق النديم عن ابنه عبيد الله إنه سلك طريقة أبيه فى التصنيف والتأليف، وروايته أقل من رواية أبيه فأما الدراية والتأليف فكان أحمد (بن أبى طاهر) أحذق وأمهر، ولابنه من الكتب مازاده على كتاب أبيه فى أخبار بغداد فإن أباه عمل إلى آخر أيام المهتدى وزاد ابنه أخبار المعتمد، وأخبار المعتضد، وأخبار المكتفى، وأخبار المقتدر ولم يتمه اهـ .

ويقول السخاوى عند ذكر كتاب بغداد لابن أبى طاهر : ولأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر المروزى الكاتب (أخبار الخلفاء) وعند ذكره فى عداد المورخين: أحمد

---

(١) نشر بالزنكغراف بخط المستشرق الالمانى هنس كلر عام ١٩٠٨

ابن أبي طاهر أبو الفضل الكاتب المروزي أحد فحول الشعراء وأعيان البلغاء وهو القائل

حَسْبُ الْفَتَى أَنْ يَكُونَ ذَا حَسَبٍ ... مِنْ نَفْسِهِ لَيْسَ حَسْبُهُ حَسَبُهْ

لَيْسَ الَّذِي يَبْتَدِي بِهِ نَسَبٌ ... مِثْلَ الَّذِي يَنْتَهِي بِهِ نَسَبُهْ اهـ

وحدث الجهشياري في كتاب الوزراء أن أحمد ابن أبي طاهر مدح الحسن ابن مخلد وزير المعتمد فأمر له بمائة دينار ، وقال : ايت رجاء الخادم فخذها منه فلقى احمد رجاء فقال له : لم يأمرني بشيء فكتب إلى الحسن .

أَمَّا رَجَاءٌ فَأَرْجَا مَا أَمَرْتَ بِهِ ... فَكَيْفَ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَأْمُرْهُ يَأْتَمِرُ؟

بَادِرْ بِجُودِكَ مَهْمَا كُنْتَ مُقْتَدِراً ... فَلَيْسَ فِي كُلِّ حَالٍ أَنْتَ مُقْتَدِرُ

فأمر بأضعافها له كما ذكره ياقوت في معجم الادباء . ومن قوله فيما ذكره ياقوت

قد كنتُ أصدقُ في وعدي فصيَّرني ... كذابةً ليس ذا في جُملة الأدب

يا ذاكراً حلتُ عن عهدي وعهدكمُ ... فنصْرةُ الصدق أفضتْ بي إلى الكذب

وقال في المبرد يهجوه :

كَمَلَتْ فِي الْمُبَرِّدِ الآدَابُ ... وَاسْتَقَلَّتْ فِي عَقْلِهِ الأَلْبَابُ

غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى كَمَا زَعَمَ النَّا ... سُ دَعِيٌّ مُصَحِّفٌ كَذَّابُ

وذلك بعد أن ساء ما بينهما عندما أضافه المبرد وقال فيه ابن أبي طاهر من قبيل المباسطة منشداً له :

وَيَوْمٍ كَحَرِّ الشَّوْقِ فِي صَدْرِ عَاشِقٍ ... عَلَى أَنَّهُ مِنْهُ أَحَرُّ وَأَوْمَدُ

ظَلِلْتُ بِهِ عِنْدَ الْمُبَرِّدِ قَائِلاً ... فَمَا زِلْتُ فِي أَلْفَاظِهِ أَتَبَرَّدُ

وذكر جحظة عنه حكاية تدل على نوع من الاستهتار إن صحت كما هو شأن كثير من الأدباء سامحه الله تعالى ، وهذ ما تيسر لي ذكره في هذا الكتاب ومؤلفه وأمر على أصول يقدمها إلى الاستاذ الناشر عن هذا الكتاب لاصلاح ما تيسر إصلاحه ، نزولا عند رغبته ، وإن كانت ظروفي غير مواتية والله الموفق ؟

محمد زاهد الكوثري

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر خلافة عبد الله بن هارون الرشيد المأمون

قال احمد بن أبي طاهر : قد ذكرنا من خبر محمد، والمأمون وما كان من اختلافهما والحرب بينهما إلى ماذكرناه من مقتل محمد بن هارون، والحرب التي كانت بين محمد بن أبي خالد، وعيسى بن محمد، والحسن بن سهل الى مخرج أبي السرايا، وذكر ابراهيم ابن المهدى الى آخر حربهم وانقضائها وذلك فى سنة أربع ومائتين .

وابتدأنا بخبر شخوص المأمون
الى بغداد من خراسان وما كان من أخباره ببغداد
الى وقت شخوصه عنها ووفاته

ذكر جماعة من الرواة منهم : اسحاق بن سليمان الهاشمي ، وأبو حسان الزيادى وابن شبانة (١) المروزى فيما حملوا من كتب التاريخ واتفقوا جميعاً عليه : ان دخول المأمون بغداد مقدمه من خراسان كان فى يوم السبت ارتفاع النهار لاربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة اربع ومائتين ، وكان لباسه ولباس أصحابه جميعاً اقبيتهم ، وقلانسهم ، وطراداتهم ، وأعلامهم الخضرة .

قالوا : فلما قدم نزل الرصافة ، وقد كان قبل ذلك قدم الى النهروان يوم السبت فاقام به ثمانية ايام وخرج اليه أهل بيته، ووجوه أهل بغداد فسلموا عليه فلما كان يوم السبت الآخر دخل الى بغداد ، وكان قد كتب الى طاهر بن الحسين وكان بالرقة أن يوافيه بالنهروان . فقدم طاهر ودخل عليه وأمره أن ينزل الخيزرانية هو وأصحابه ، ثم انه تحول فنزل قصره على شاطىء دجلة . وأمر حميد بن عبد الحميد ، وعلى بن هشام وكل من كان فى عساكرهما أن ينزلوا فى عسكره .

---

(١) وقع فى المسعودى (١ / ١١ شبابة، والصواب شبانة بالنون كما فى مشتبه الذهبي

قالوا جميعا : فكانوا يختلفون الى المأمون فى كل يوم مسلمين ولباسهم الثياب الخضر، ولم يكن أحد يدخل عليه إلا فى خضرة، ولبس ذلك أهل بغداد أجمعون، وكانوا يخرقون كل شىء رأوه من السواد على أحد إلا القلانس فان الواحد بعد الواحد كان يلبسها متخوفا ووجلا . فأما قباء أو علم فلم يكن أحد يجترىء أن يلبس شيئاً من ذلك، ولا يحمله . فمكثوا بذلك ثمانية أيام . وتكلم فيها بنو هاشم من ولد العباس خاصة وقالوا له : يا أمير المؤمنين تركت لباس أهل بيتك ودولتهم ولبست الخضرة .

قالوا : وكتب اليه فى ذلك قواد أهل خراسان وتكلم فى ذلك دون الناس جميعاً لما قدم طاهر بن الحسين فاظهر له الإجابة ولما يفعل ، ولما رأى طاعتهم له فى لباس الخضرة وكراهتهم لها جلس يوم السبت وعليه ثياب خضر ، فلما اجتمعوا عنده دعا بسواد فلبسه ، ودعا بخلعة سواد فكساها طاهر بن الحسين ، وخلع على عدة من قواده أقبية وقلانس سوداً . فلما خرجوا من عنده وعليهم السواد طرح سائر القواد الخضرة ولبسوا السواد .

وقد كان الجند كتبوا الى المأمون كتباً ، وطرحوا رقاعاً فى المسجد يسألونه أرزاقهم ، وكان قد وعدهم أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر ويحاسب كل من اعطاه حميد بن عبد الحميد من الجند طعاما على ما أخذ ويدفع اليهم تمام رزق ستة أشهر على خواصهم المعروفة .

قالوا : فاعطاهم ذلك يوم الخميس لسبع بقين من صفر فتولى اعطاء أهل الجانب الغربى حميد ، ووعدهم أن يعطيهم رزق شهرين لتمام ستة أشهر اذا فرغ من اعطائهم هذه الأربعة الاشهر فرضوا بذلك .

قال يحيى بن الحسن : لبس المأمون الخضرة بعد دخوله بغداد تسعة وعشرين يوما ثم مزقت .

قالوا جميعاً : ولم يزل أمير المؤمنين مقيماً ببغداد فى الرصافة حتى بنى منازل على شط دجلة عند قصره الأول وفى بستان موسى فأقام فيه.

قالوا : ولما كان بعد دخول المأمون بايام وثب ابن لاسحاق بن موسى الهادى يوم السبت لليلة بقيت من شهر ربيع الأول بابيه وهو الذى كان ابراهيم بن المهدى ولى عهده من بعده هو وخصى لأبيه اسحاق بن موسى فوجياه بسكين حتى قتلاه ، فاخذا فأتى بهما المأمون فأمر بقتل الخصى فأخذه عبد الله بن موسى فقتله وحبس الابن . فقال اخوه اسحاق : لا نرضى حتى يقتل مع الخصى . فأمر بقتله فأخذه عبدالله بن موسى فضرب عنقه . وكان قتله لها يوم الأحد لانسلاخ شهر ربيع الآخر .

ذكر ابراهيم بن العباس الكاتب ، عن عمرو بن مسعدة ، وحدثنى سهل بن عثمان قال : حدثنى الحسن بن النعمان . قال : حدثنى احمد بن أبى خالد الأحول قال : لما قدمنا من خراسان مع المأمون فصرنا فى عقبة حلوان وكنت زميله قال لى المأمون يا احمد: إنى أجد رائحة العراق . قال : فاجبته بغير جوابه وقلت له : ما اخلقه . فقال : ليس هذا جوابى ولكنى أحسبك سهوت أو كنت مفكراً . قال : قلت نعم يا أمير المؤمنين . قال : فيم فكرت ؟ قال قلت : فكرت فى هجومنا على بغداد وليس معنا إلا خمسون الف درهم مع فتنة غلبت على قلوب الناس واستعذبوها فكيف يكون حالنا إن هاج هائج أو تحرك متحرك ؟

قال : فاطرق ملياً ثم قال : صدقت يا احمد ما احسن ما فكرت ولكنى اخبرك : الناس على طبقات ثلاث فى هذه المدينة يعنى بغداد : ظالم ومظلوم ، ولا ظالم ولا مظلوم . فاما الظالم فليس يتوقع إلا عفونا وإمساكنا ، واما المظلوم فليس يتوقع أن ينصف إلا بنا . ومن كان لا ظالماً ولا مظلوماً فبيته يسعه . فوالله ما كان إلا كما قال .

وذكر اسماعيل بن ابى محمد اليزيدى قال : كنا مع المأمون منصرفه من خراسان الى بغداد فلما دخل قرماسين اقام بها اياماً فقال له أصحابه : هذا منزل طيب فلو اقمت بها اياما حتى يأتيك خبر ابراهيم بن المهدى ببعض ما تحب . قال : لا والله . قالوا : فاننا نتخوف أن يكون دماء فتكون هاهنا حتى يقضى الله من أمره ما يقضى . قال :

أترى إن شم ابراهيم ريحى يقدم على . لا والله ماذاك ظنى به.قال:وارتحل فما بلغنا حلوان حتى جاءنا الخبر بانه قد اختفى .

وذكر عمرو بن مسعدة قال : لما صار المأمون الى الرى منصرفه الى العراق ذكر على بن صالح صاحب المصلى اسماعيل بن جعفر بن سليمان وكان له صديقاً . فقال يا أمير المؤمنين : رجل من أهلك ركب عظيمة وجاء شيئاً إداً ، وقد آمنت الأحمر والأسود فان رأى أمير المؤمنين أن يخصه بأمان يسمه به فإن عفو الله لك بازاء عفوك عنه . فقال : اللهم انت شهيدى أنى قد عفوت عن الأحمر والأسود ، واعطيتهم امانك وذمتك وخصصت بذلك ابراهيم بن المهدى ، واسماعيل بن جعفر وعممت الناس كلهم حتى ابن دحيم المدنى ، وسعيداً الخطيب. قال : وكان ابن دحيم هذا يصعد منبر المدينة ولا يدع من قول القبيح شيئاً إلا ذكر به المامون .

وحدثنى الفضل بن محمد العلوى قال : لما قدم المامون تلقاه عبد الله بن العباس ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن ابى طالب فقال : جعل الله قدومك يا أمير المؤمنين مفتاح رحمة لك، ولمن قدمت عليه من رعيتك، فقد اشرقت البلاد حين حللت بها، وآنس الله بقربك أهلها، ونصبت الرعية اليك اعينها، ومدت الى الله فيك ولك ايديها ،لتصيب من مقدمك عدلا يحييها، ومن نيل يدك فضلا يغنيها .

وذكر عمرو بن مسعدة قال : لما قدم المأمون بغداد اهدى اليه الفضل بن الربيع فص ياقوت لم ير مثله . قال : واحب المأمون الفص وجعل يقلبه فى يده وينظر الى وبيصه ، ويحوله من يد الى يد وقال : ما أدرى متى رأيت فصاً أحسن من هذا ؟ . قال : وانشأ يحدث القوم الحديث عن فص كان للمهدى وهبه للرشيد . فقال : كان ابو مسلم وجه زياد بن صالح الى الصين فبعث اليه بهذا الفص فصار الى ابى العباس ، فوهبه الى عبد الله بن على، فوهبه عبد الله بن على للمهدى، فوهبه المهدى للرشيد . فبينا الرشيد يناظر يحيى بن خالد يوماً فى قوس جلاهق إذ ندر الفص من يده فكرر الموضع فلم ير له عين ولا أثر فاغتم الرشيد لذهابه . فقيل له أن صالحا

صاحب المصلى اشترى فصا من عون العُبادى بعشرين الف دينار ليس لأحد مثله فوجه اليه فبعث به . فلما رآه قال : وأين هذا من فصى . قال : ثم قال المأمون : اما والله لاضعن من قدر هذه الحجارة التى لامعنى لها ورد الفص على الفضل وقال لرسوله : قل له وهبت دولتك يا ابا العباس . فلما رجع الفص الى الفضل اغتم وقال لرجل من بطانته :اما إنه لايعيش من يومه هذا الا اقل من سنة . فما امسى المأمون حتى اتاه الخبر بها . قال : قال : فسكت عنه ولم يخبر به أحدا . قال : فلما مات العباس بن المسيب وكان صاحب شرطته ركب المامون فى جنازته فعرض له بعض أولاد الفضل بن الربيع وهو بباب الشام . فدعا له وانتسب فقال له المأمون : ادن . فدنا . ثم قال له : ادن . فدنا . حتى قرب من ركابه فادنى منه رأسه كأنه يسر اليه وقال : إعلم أبا العباس أن الوقت قد مضى . قال : فرجع الفتى الى الفضل فاخبره. فلم يزل على حذر منه أن يحقدها عليه .

وذكر عن عمرو بن مسعدة قال : استقبل المامون فى منصرفه من خراسان الطالبيون ببعض طريقه واعتذروا مما كان منهم من الخروج . فقال المامون لمتكلمهم: كف واستمع منى . أولنـــا وأولـكم ما تعلمون ، وآخرنا وآخركم إلى ما ترون ، وتناسوا ما بين هذين .

قال ابن أبى طاهر : لما دخل المأمون مدينة السلام تلقته الأنصـار فقالت : الحمد لله الذى شد بك الحق وردك الى دارك مدفوعاً عنك ـ مستجابا لنا فيك ـ فأنت كما قال ابن عمنا حسان فى ابن عمك رسول الله ﷺ يوم دخل المدينة :

وكُنّا حِينَ تُذْكَرُ مِنْكَ نُعمَى ... يَجِلُّ الوصفُ عَن وَصْفِ المَقَالِ

بِحَمد الله حِينَ حللتَ فِينَـا ... بِنُورِكَ تَجْتَلِى ظُـلَمَ الضَّلَالِ

وكُنْتَ كَرَامَةً نَزَلَتْ عَلَيْنَا ... بِأَسْعَدِ طَائِرٍ وبِخَيرِ حَالِ

قال : أبو زكرياء يحيى بن الحسن بن عبد الحق : كان قدوم المأمون بغداد فى النصف من ربيع الأول سنة اربع ومائتين ، ودخل بغداد من باب خراسان والحربة بين يديه فى يد محمد بن العباس بن المسيب بن زهير وكان خليفة لابيه على الحربة والعباس بن المسيب بن زهير وراء ابنه ، وكان منقرساً بين يدى المأمون .

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، عن على بن أبى سعيد أنه حدثه قال : لقى الفضل بن الربيع طاهر بن الحسين عند دخول المأمون بغداد فثنى عنانه معه وقال له : ياأبا الطيب . ما ثنيت عنانى مع أحد قط قبلك إلا مع خليفة ولى حاجة. قال : ما هى ؟ قال : تكلم أمير المؤمنين فى الرضاء عنى وتعجل ذلك . قال : فمضى طاهر من فوره ذلك وكلم امير المؤمنين فيه . فأمره بادخال الفضل عليه قال : فقال طاهر : فأدخلته حاسراً لا سيف عليه ، ولا طيلسان ، ولا قلنسوة . فلما توسط الدار وثب المأمون عن عرشه فصلى ركعتين ثم التفت اليه قبل أن يسلم عليه بالخلافة . فقال : أتدرى لم صليت يافضل ؟ . فقال : لا ياامير المؤمنين .قال : شكراً لله اذ رزقنى العفو عنك ، قد كلمنى ابو الطيب فيك وقد عفوت عنك. قال : فقال الفضل : فلى حاجة يا امير المؤمنين . قال : ما هى ؟ . قال : الرضاء . قال أجل: لا يكون العفو إلا مع الرضاء . قال : أخرى ياأمير المؤمنين . قال: ماهى؟ قال: تجعل لى مرتبة فى الدار . قال : عجلت يافضل اخرج فخرج . قال : وقال له يوما وقد دخل عليه: أخبرنى يافضل عن شتمك اياى، ومقاماتك التى كنت تقوم بها على وتثلبنى بها كيف أمنت أن أسرع الى غضبة من الغضبات فافعل فعلا أندم عليه حين لا تنفع الندامة . قال . فأنشده لبعض الشعراء فيه . —

صَفُوحٌ عَن الأجْرامِ حَتَّى كأنَّهُ مِنَ العفْوِ لَمْ يعرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمَا
وَلَيسَ يُبالى أَنْ يكونَ به الأذَى إذَا ما الأذَى لَمْ يَغْشَ بالكُرْهِ مُسْلِمَا

قال عبدالله بن عمرو . حدثنى جعفر بن المأمون قال : لما دخل المأمون بغداد لقيه الفضل بن الربيع مع طاهر فلما رأى الفضل نزل من قبته وكان عديله على بن هشام ومر يعدو حتى سجد . فقال المأمون : الحمد لله قديما ما كنت اسلم عليه

فافرخ برده فسبحان الذى الهمنى الصفح عنه فلذلك سجدت قال : فقال طاهر : فعجبت لسعة حلمه .

وذكر زيد بن على بن الحسين قال : لما كان فى العيد بعد قدوم المأمون سنة اربع ومائتين والمأمون يتغدى وعلى مائدته طاهر بن الحسين ، وسعيد بن سلم ، وحميد بن عبد الحميد،وعلى رأسه سعيد الخطيب وهو يقرظه ويذكر مناقبه، ويصف سيرته ومجلسه اذ انهملت عينا المأمون بالدموع فرفع يده عن الطعام فأمسك القوم حين رأوه بتلك الحال حتى اذا كف قال لهم : كلوا . قالوا :يا امير المؤمنين وهل نسيغ طعاما ، أو شرابا وسيدنا بهذا الحال . قال : أما والله ما ذلك من حدث ، ولا لمكروه هممت به باحد ولكنه جنس من أجناس الشكر لله لعظمته وذكر نعمته التى أتمها على كما أتمها على أبوى من قبل . أما ترون ذاك الذى فى صحن الدار يعنى الفضل بن الربيع . قال : وكانت الستور قد رفعت ووضعت الموائد للناس على مراتبهم وكان يجلس الفضل مع أصحاب الحرس ، وكان فى أيام الرشيد وحاله حاله يرانى بوجه أعرف فيه البغضاء والشنآن ، وكان له عندى كالذى لى عنده ، ولكنى كنت اداريه خوفا من سعايته ، وحذراً من اكاذيبه ، فكنت اذا سلمت عليه فرد على أظل لذلك فرحا ، وبه مبتهجاً وكان صفوه الى المخلوع فحمله على أن اغراه بى ، ودعاه الى قتلى ، وحرك الآخر ما يحرك القرابة والرحم الماسة فقال : أما القتل فلا اقتله ولكنى اجعله بحيث اذا قال لم يطع ، وإذا دعا لم يجب فكان احسن حالاتى عنده أن وجه مع على بن عيسى قيد فضة بعد ماتنازعا فى الفضة والحديد ليقيدنى به وذهب عنه قول الله جل وعز : (ثم من بغى عليه لينصرنه الله (١)) فذاك موضعه من الدار باخس مجالسها ، وأدنى مراتبها وهذا الخطيب على رأسى وكان بالأمس يقف على هذا المنبر الذى يازائى مرة، وعلى المنبر الغربى أخرى فيزعم أنى المأمون ولست بالمأمون . ثم هو الساعة يقرظنى تقريظه المسيح ، ومحمداً

---

(١) سورة الحج مدنية : ٦٠

عليهما السلام.قال : فقال طاهر بن الحسين ياسيدنا . فما عندنا فيهما ، وقد أباحك الله اراقة دمائهما فحصنتهما بالعفو والحلم . قال : فعلت ذلك لموضع العفو من الله ثم قال : مدوا أيديكم إلى طعامكم . قال : فأكل وأكلوا .

حدثنا أحمد بن اسحاق بن برصوما . قال : حدثنى أيوب بن جعفر بن سليمان قال : كنا مع المأمون بعد مقدمه بغداد باشهر يوماً وهو راكب والفضل بن الربيع واقف له على مدرجته فرميناه بأبصارنا ننظر ما يكون منه . قال : فمر طاهر ومعه الحربة بين يدى المأمون : فنظر المأمون إلى الفضل بن الربيع وصرف وجهه عنه. ثم أقبل العجم معهم القسى والنشاب وطلع المأمون ينظر الى الفضل بمؤخر عينه مصروفا عنه وجهه . قال :فقال: أولئك العجم كأنهم يريدون أن ينحوه بعنف فأقبل المأمون يكفهم بيده ووجهه محول عنه :

قال احمد بن اسحاق . وحدثنى : بشر السلمانى . قال : سمعت احمد بن أبى خالد يقول : كان المأمون إذا أمرنا بأمر فظهر من أحدنا فيه تقصير يقول : أترون انى لاعرف رجلا يبالى لو قلدته أمورى كلها لقام بها . قال بشر : فقلت لاحمد ابن أبى خالد : ياأبا العباس من يعنى ؟ قال : الفضل بن الربيع .

وقال محمد بن اسحاق : حدثنى رجل ممن كان يدخل الدار ذهب عنى اسمه . قال : لما أذن المأمون للفضل بن الربيع فى لبس السواد ومنعه من الركوب بسيف حمائل . فكان يلبس سيفا بمعاليق . قال : فأنا ذات يوم فى الدار اذ جاء الفضل فوقف على الباب الخارج ودخل على بن صالح وهو الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين الفضل بن الربيع بالباب ، فى اى المراتب انزله ؟ قال : فى اخسها . قال : فخرج اليه على ماشياً الى الباب الخارج فقال : يا ابا العباس : انزل فهذه مرتبتك . قال : فجلس وجلست قريباً منه . وقام المأمون فدخل فلم يمر بالفضل أحد من بنى هاشم والقواد إلا جلس اليه فكان آخر من جاء حميد الطوسى فلم يزل الفضل يحضر الدار كل اثنين وكل خميس فيجلس على البساط فإذا انصرف الناس قعدوا له .فأنا ذات يوم

عنده إذ جاء السندى بن شاهك آخر من جاء . فقال الفضل بيده ما الخبر ؟ . وكان السندى بن شاهك جهورى الصوت لا يقدر أن يتكلم سراً . قال: خبر عجيب قال : ما هو ؟ قال : سمعته اليوم قدم على بن أبى طالب على العباس بن عبد المطلب وما ظننت أنى أعيش حتى أسمع عباسياً يقول هذا . فقال له الفضل : تعجب من هذا ؟ هذا والله كان قول أبيه قبله .

قال ابو جعفر احمد بن اسحاق : وأول غضب المأمون على الفضل أن الرشيد كان اوصى الفضل بن الربيع إن حدث به حدث أن يحمل خزائنه ، وأمواله وسلاحه ، وجميع عسكره الى المأمون ، فلما توفى الرشيد حمل ذلك كله الى محمد . وحدثنى الحسن بن عبد الخالق قال : حدثنى محمد بن أبى عوف وكان منقطعا إلى على بن صالح قال : حضرت على بن صالح عشية فى أول مدخل المأمون بغداد فجاء آذنه فقال له : بالباب أبو القاسم اللهبى ، ومحمد بن عبدالله العثمانى ، ومصعب ابن عبدالله الزبيرى قال : فائذن لابى القاسم اللهبى فدخل فاجلسه فى صدر مجلسه . ثم اذن للعثمانى والزبيرى فاقعد العثمانى عن يمينه ، والزبيرى عن يساره ثم تحدثوا فذكروا الفضل بن الربيع . فقال اللهبى : احسن الله جزاء الفضل عنا فقد كان براً بنا ، وقال العثمانى : كان والله ما علمنا قضاء لحوائجنا عارفاً باقدارنا ،موجبا لحقوقنا وقال الزبيرى : لقد كانت يده عندنا وعند آبائنا . فقال على بن صالح : اما اذا ذكرتم ذلك فانى كنت عند أمير المؤمنين أعزه الله امس فقال لى ياعلى: متى عهدك بصديقك ؟ قال : فقلت اطال الله بقاء امير المؤمنين صديقى كثير فعن أيهم يسألنى امير المؤمنين ؟ قال :عن الفضل بن الربيع . قال : قلت امس الأدنى وجد علة فى يومه فاتيته عائداً . قال : ولم تأته الا فى يوم علته ؟ قال قلت : كذا عودته .قال : فكأنى اذا جلس الآن وجلست انت وسعيد بن سلم ،وعبدالله بن مالك وجعل وسادة على ركبتيه ثم قال : وقد وضع يديه عليها قال لى المنصور وقلت له فاما الرشيد فلا يحتاج الى كلام فيه قلت: أدنى ذلك أمس ما زال يحدثنا عن المنصور

وعن مكانه ومكان أبيه منه . قال : فقال له المأمون : ما اعجب امور الخلفاء يثبتون الرجل ثم يخطؤنه فلا يبقون غاية من الامور الا بلغوه إياها فى مقدار قريب . قال ثم امسك وأمسكت ثم قال : ياعلى كأنى فى نفسك الساعة تقول كيف أخطيت الفضل بن الربيع ؟ نعم . كان يدبر الخطأ فيقع صوابا ، ويبعث بالجيش الضعيف فيقع به النصر وادبّر انا فيقع بغير ذلك ، فلما وقفت على البصيرة من امرى ، وفكرت فى نفسى ، وعملت بالاحزم فى ذلك ملت الى الحزم فوردت العراق ، وان الفضل ابن الربيع بقية الموالى فلا تخبره بذلك عنى فإنى اكره أن يبلغه عنى ما يسره .

وحدثنى يحيى بن الحسن قال : كان على بن صالح اذا جاءه خبر يسره من قبل المأمون فى الفضل قال لخادمه يسر : قل لنجاح خادم الفضل كذا . وكذا . لئلا يحنث إن وقعت يمين .

وحدثنى : يحيى بن الحسن قال : كان الفضل يقول فى أيام المأمون : ما بقى لى من عقلى أحب الى مما ذهب من مالى . قال : واخبرنى ابو الحسن بن عبد الخالق قال : كان الفضل يقول : لايسود الرجل حتى يشتم ، ويعرض ، ويحلم . وحدثنى يحيى بن الحسن قال : رأيت الفضل بن الربيع وقد دخل المقصورة يوم الجمعة ايام المأمون فقدم دابته حيث خرج فوق مرتبته . فقال ياغلام : اردد الدابة لست اركب من هاهنا .

وحدثنى يحيى . قال : حدثنى ابو الحسن بن عبد الخالق قال : كنت عند الفضل ابن الربيع ذات عشية فى ايام المأمون وهو فى منظرته التى تشرع الى الميدان ومعه فى مجلس المنظرة امرأة تحدثه لا ادرى من هى وهو مقبل عليها وذلك فى الدار الذى حوله المأمون اليها وهى دار العباس ابنه وكان يؤدى عنها الفاً فى الشهر اذ دخل عليه أبو حليم خادمه فقال : ابو العتاهية بالباب . قال : أدخله . قال : فدخل فحادثه ساعة ثم قال له : يا أبا اسحاق فى قلبك من عتبة شىء ؟ قال ذهب ذاك وخرج قال : فبقيت منه باقية ؟ قال لا والله . قال : فهذه والله عتبة . قال : فنظر اليها وخرج

يعدو وترك نعليه .

حدثنى احمد بن اسحاق بن ابراهيم بن ميمون قال : حدثنى ابى قال : لما قدم المأمون بغداد بعثت ام جعفر الى ابى العتاهية احب أن تقول ابياتا تعطف بها امير المؤمنين على فبعث اليها بهذه الأبيات : —

أَلَا إِنَّ رَيْبَ الدَّهْرِ يُدْنِى وَيُبْعِدُ ... وَيُؤْنِسُ بِالْآلَافِ طَوْراً وَيُفْقِدُ
أَصَابَتْ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنِّى يَدِى يَدَى ... فَسَلَّمْتُ لِلْأَقْدَارِ وَاللّٰهَ أَحْمَدُ
وَقُلْتُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ إِنْ ذَهَبَتْ يَدٌ ... فَقَدْ بَقِيَتْ وَاللهِ يَادَهْرُ لِى يَدُ
إِذَا بَقِىَ الْمَأْمُونُ لِى فَالرَّشِيدُ لِى ... وَلِى جَعْفَرٌ لَمْ يُفْقَدَا وَمُحَمَّدُ

قال : فبعثت بها الى المأمون فلما قرأها بكى وزاد فى الطافها ورق لها ، وعطف عليها .

وقال أصحاب التاريخ : لما دخل المأمون بغداد اقام بالرصافة الى أن بنى منزله على شط دجلة عند قصره الأول فانتقل اليه ، وكان يسأل عن أمور الناس وما يصلحها ، فرفع اليه فى شهر رمضان أن التجار يعتدون على ضعفاء الناس فى الكيل فأمر بقفيز يسع ثمان مكاكيك سرد مرسل وصير فى وسطه عوداً وسمى الملجم وأمر التجار يعيروا مكاكيكهم عليها صغارها وكبارها ففعلوا ذلك ورضى الناس

قال : ولما كان يوم الفطر خرج فصلى بالناس فى عيساباذ وعبأ الجند تعبئة لم ير مثلها قبل ذلك لأحد من الخلفاء من اظهار السلاح وكثرته وكثره الجندولم يصل بالناس صلاة العيد حتى قرب نصف النهار .

وذكر : أبو حسان الزيادى وغيره من أصحاب الاخبار أنه ولى مكة والمدينة فى سنة اربع ومائتين عبد الله بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن على بن أبى طالب عند قدومه بغداد . فلما حضر الموسم كتب اليه بالولاية على الموسم وأن يقيم الحج بالناس.

قالوا : ولما دخلت سنة خمس ومائتين ولى أمير المؤمنين طاهر بن الحسين الجزيرة والشرط والجانبين وكان ذلك يوم الاحد وقعد طاهر للناس من عين اليوم الذى ولى فيه وكان يوم عاشوراء.

فحدثنى يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال : لما انقضت سنة اربع ومائتين وعلى شرطة المأمون العباس بن المسيب بن زهير وكان منقرساً . فقال له المأمون: قد كبرت وثقلت عن حمل الحربة . قال : فهذا ابنى يا امير المؤمنين مكانى وهى صناعتى وصناعة أبى . وقد علمت أن الرشيد يتبرك بحمل الحربة فى يد المسيب ونحن أهلها قال : فقد رأيت تولية طاهر . قال : فرأى امير المؤمنين افضل وأصوب . قال : فولى طاهر بن الحسين .

وقال يحيى : فكتب طاهر الى الفضل بن الربيع وكان بينهما صداقة : إن فى رأيك البركة ، وفى مشورتك الصواب فإن رأيت تختار لى رجلين للجسر . فكتب اليه : قد وجدتهما لك وهما: خيار السندى بن يحيى. وعياش بن القاسم فولاهما الجسرين

قال: وكان المأمون فى اليوم الذى ولى طاهراً فيه الشرطة قد ولى جماعة من الهاشميين كور الشأم كورة. كورة فلم يتم لاحد منهم شىء من ولايته حتى انقضت السنة .

قال يحيى البوشنجى القصير حاجب ذى اليمينين طاهر بن الحسين قال : لما ولى طاهر بن الحسين الشرطة رفع اليه أن فى الحبس رجلا تنصر فأمر يحيى هذا ان يحمل السيف والنطع ويأتى به دار أمير المؤمنين الى مجلسه، ثم اتى دار امير المؤمنين فدعا بالرجل فقال : ياعدو الله تنصرت بعد الاسلام ؟ قال : اصلح الله الامير والله ما تنصرت وما انا الا مسلم ابن مسلم ولكن حبست فى كساء بدرهمين سنتين فلما رأيت أمرى قد طال وليس لى مذكر يذكرنى قلت إنى مصرانى، وأنت أيها الامير مصرانى وهذا مصرانى وأنا رجل من أصحابك ايها الامير . فكبر طاهر ودخل على المأمون فاخبره الخبر وأمر أن يوهب له ثلثمائة درهم وأن يخلى سبيله فأمر طاهر بذلك .

فقال الرجل : لا والله ايها الأمير ما اقدر أن امشى فادع لى بحمار فدعا له بحمار وخلى سبيله .

وذكر ابو حسان الزيادى : أن العباس بن عبدالله المأمون قدم من خراسان فى سنة خمس ومائتين وكان دخوله بغداد يوم الخميس لاربع عشرة ليلة بقين من شعبان وقدم معه من خراسان موسى وعبدالله ابنـا محمد المخلوع فى ذلك اليوم واستقبله وجوه الناس من بنى هاشم والقواد حتى دخل على امير المؤمنين .

حدثنا ابو زكرياء يحيى بن الحسن قال : اخبرنى محمد بن اسحاق بن العباس ابن محمد قال : دخل طاهر بن الحسين على المأمون وعنده عبدالله بن موسى الهادى فقال له المأمون : مرحبا بك ياذا اليمينين . فقال له عبدالله بن موسى: والله ما جعله الله أهلا لعينين فكيف بيمينين . فقال له طاهر : لكن الله جعل لامك زوجين . قال ويلك تعيرنى بخليفتين . قال : فأمر المأمون بعبدالله بن موسى فأقيم وكانت أم عبدالله أمة العزيز أم ولد موسى الهادى ثم تزوجها هارون الرشيد . قال: وقال بعض اصحاب المأمون يوما فى سنة خمس ومائتين وقد خرج الى منتزه له ومعه طاهر بن الحسين فبينا هو يسايره اذ قال له ياابا الطيب : ما اطول صحبة هذا البرذون لك ؟ قال ياامير المؤمنين : بركة الدابة طول صحبتها ، وقلة علفها . قال : فكيف سيره ؟ . قال :سيره أمامه ، وسوطه عنانه وما ضرب قط الا ظلما .

حدثنى الفضل بن محمد العلوى قال : قال عبيدالله بن الحسن للمأمون لما دخل بغداد وطاهر يساير المأمون ، ملأك الله ياأمير المؤمنين النعمة — وجعله مقدم سلامة ، وأدام لك العز والسلامة — والحمد لله الذى تلاقانا عند ظهور الفتنة وشمولها — وتراخى دارنا عنك واغترابها ـ بذى اليمينين صنيعتك ـ وسيفك المسلول على أهل معصيتك ـ فجمعنا على طاعتك ـ حتى انا بحمدالله من عند أخرانا كالنبال المطرورة نصالها ـ المقومة صعارها ـ إن نقرتها حنت لك وإن ازللتها ـ عن كبد قوسك شكت عدوك ـ فنسأل الله أن يحسن جزاءك ـ عنا ـ

وجزاؤه على ما حفظ فينا ـ من غيبك ـ وركب منا من منهجك وقصدك . قال : وقال المأمون لطاهر بن الحسين ياأبا الطيب صف لى اخلاق المخلوع . قال: كان ياامير المؤمنين واسع الطرب ، ضيق الادب ، يبيح نفسه ما تعافاه همم ذوى الاقدار ، قال : فكيف كانت حروبه ؟ . قال كان يجمع الكتائب ويفضها بسوء التدبير . قال: فكيف كنتم له؟ قال : كنا أسوداً تبيت وفى اشداقها علق الناكثين ، وتصبح وفى صدورها قلوب المارقين . قال : أما إنه أول من يؤخذ بدمه يوم القيامة ثلاثة لست انا ولا انت رابعهم ولا خامسهم وهم : الفضل بن الربيع ، وبكر بن المعتمر ، والسندى بن شاهك هم والله ثأر أخى وعندهم دمه .

وحدثنى محمد بن عيسى كاتب محمد بن عبد الله بن طاهر قال : لما دخل المأمون بغداد . ضمن لطاهر بن الحسين قضاء كل مايسأله من حاجة فما سأله حاجة لنفسه ولا لولده ولكنه سأله العفو عن المجرمين فى الفتنة وإلحاقهم بما كانوا عليه قبله فى دواوينهم وطبقات عطائهم وأن يضاعف أجر المحسنين ففعل ذلك ، ثم دعاه لرفع حوائجه فلم يسأله شيئاً الا اقامة الدولة لأهلها وردلباس السواد ، وإطراح الخضرة فاجابه الى ما سأل من ذلك .

وحدثنا يحيي بن الحسن قال : حدثنى أبو زيد الحامض قال : حدثنى حماد بن الحسن قال : حدثنى بشر بن غياث المريسى قال : حضرت عبد الله المأمون انا، وثمامة، ومحمد ابن ابى العباس، وعلى بن الهيثم فتناظروا فى التشيع فنصر محمد بن ابى العباس الإمامية ونصر على بن الهيثم الزيدية وجرى الكلام بينهما الى أن قال محمد لعلى يانبطى ماانت والكلام ؟ . قال : فقال المأمون ـ وكان متكئاً ـ الشتم عى، والبذاء لؤم إنا قد ابحنا الكلام وأظهرنا المقالات فمن قال بالحق حمدناه ، ومن جهل ذلك وقفناه ومن جهل الأمرين حكمنا فيه بما يجب فاجعلا بينكما اصلا فان الكلام فروع فإذا افترعتم شيئاً رجعتم الى الأصول قال : فانا نقول لا اله الا الله وإن محمداً رسول الله ﷺ واذكروا الفرائض والشرائع فى الإسلام وتناظروا بعد ذلك . فأعاد محمد لعلى بمثل المقالة الأولى فقال على : والله لولا جلالة مجلسه، وماوهب الله من خلافته

ورأفته، ولولا مانهي عنه لأعرقت جبينك وبحسبك من جهلك غسلك المنبر بالمدينة. قال : فجلس المأمون وكان متكئاً فقال : وما غسلك المنبر ألتقصير مني في أمرك ام لتقصير المنصور كان في أمر ابيك لولا ان الخليفة اذا وهب شيئاً استحي ان يرجع فيه لكان اقرب شيء بيني وبينك الى الارض رأسك قم وإياك وما عدت. قال : فخرج محمد بن ابي العباس ومضى الى طاهر بن الحسين وكان زوج اخته فقال له كان من قصتي كيت وكيت وكان يحجبه على النبيذ فتح الخادم ، وياسر يتولى الخلع وحسين يسقي ، وابو مريم غلام سعيد الجوهري يتخلف في الحوائج ، فركب طاهر الى الدار فدخل فتح فقال : طاهر بالباب . فقال إنه ليس من أوقاته . إئذن له فدخل طاهر فسلم فرد عليه السلام وقال : اسقوه رطلا فاخذه في يده اليمنى وقال له : اجلس فخرج وشربه ، ثم عاد وقد شرب المأمون رطلا آخر فقال : اسقوه الثاني . ففعل كفعله الأول . ثم دخل فقال له المأمون اجلس فقال : يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشرطة ان يجلس بين يدي سيده . قال المأمون ذاك في مجلس العامة فأما مجلس الخاصة فطلق . قال : وبكى المأمون وتغرغرت عيناه فقال له طاهر : يا امير المؤمنين لم تبكي لا ابكى الله عينك ، فو الله لقد دانت لك البلاد ، وأذعن لك العباد ، وصرت الى المحبة في كل أمرك . فقال : أبكي لامر ذكره ذل ، وستره حزن ، ولن يخلو احد من شجن فتكلم بحاجة إن كانت لك . قال يا أمير المؤمنين: محمد [بن ابي العباس] اخطأ فأقله عثرته وارض عنه. قال: قد رضيت عنه وأمرت بصلته ورد مرتبته ولولا انه ليس من اهل الانس لأحضرته . قال : وانصرف طاهر فأعلم ابن ابي العباس ذلك ثم دعا بهارون بن جيغويه فقال: إن للكتاب عشيرة وإن أهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض فخذ معك ثلاثمائة الف درهم فاعط الحسين الخادم مائتي الف ، واعط كاتبه محمد بن هارون مائة الف وسله ان يسأل المأمون لم بكى ؟ قال : ففعل ذلك . قال : فلما تغدى قال ياحسين : اسقني . قال : لا . والله لا سقيتك أو تقول لي لم بكيت حين دخل عليك طاهر ؟ قال ياحسين : وكيف عنيت بهذا حتى سألتني عنه ؟ . قال لغمي بذلك . قال هو امر إن خرج من رأسك

قتلتك. قال ياسيدي ومتى اخرجت لك سراً ؟ . قال : إني ذكرت محمداً اخي وما ناله من الذلة فخنقتني العبرة فاسترحت الى الافاضة ولن يفوت طاهراً مني ما يكره . قال : فاخبر حسين طاهراً بذلك فركب طاهر الى احمد بن ابي خالد فقال له : ان الثناء مني ليس برخيص ، وان المعروف عندي ليس بضائع ، فغيبني عن عينه . فقال له سأفعل فبكر علي غداً . قال : وركب ابن ابي خالد الى المأمون فلما دخل عليه قال له ما نمت الليلة . فقال له : ولم ويحك . قال : لأنك وليت غسان خراسان وهو ومن معه أكلة رأس فاخاف ان يخرج عليك خارجة من الترك فتصطلمه . فقال : لقد فكرت فيما فكرت فيه. قال : فمن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين قال : ويلك يا احمد هو والله خالع . قال : انا الضامن له . قال له : فأنفذه قال : فدعا بطاهر من ساعته فنزل في بستان خليل بن هاشم فحمل اليه في كل يوم اقام فيه مائة الف فاقام شهراً فحملت اليه عشرة آلاف الف التي تحمل الى صاحب خراسان

قال ابو حسان الزيادي : وكان قد عقد له على خراسان والجبال من حلوان الى خراسان وكان شخوصه من بغداد يوم الجمعة لليلة بقيت من ذي القعدة سنة خمس ومائتين وقد كان عسكر قبل ذلك بشهر فلم يزل مقيماً في عسكره . قال ابو حسان وكان سبب ولايته فيما اجمع الناس عليه ان عبدالرحمن المطوعي [جمع جموعا بنيسابور ليقاتل بهم الحرورية (١)] بغير امر والي خراسان فتخوفوا ان يكون ذلك لأجل عمل عمله وكان غسان بن عباد يتولى خراسان من قبل الحسن بن سهل وهو ابن عم الفضل بن سهل. وذكر ابو العباس محمد بن علي بن طاهر عن علي بن هارون ان طاهر ابن الحسين قبل خروجه الى خراسان وتوليته لها ندبه الحسن به سهل للخروج الى محاربة نصر بن شبث فقال حاربت خليفة وسقت الخلافة [الى خليفة] وأومر بمثل هذا وإنما كان ينبغي ان توجه لهذا قائداً من قوادي فكان سبب المصارمة بين طاهر والحسن . قال : وخرج طاهر الى خراسان لما تولاها وهو لا يكلم الحسن بن سهل فقيل له في ذلك فقال : ما كنت لأحل عقدة عقدها لي في مصارمته .

---

(١) من تاريخ ابن جرير

ذكر خروج عبدالله بن طاهر
الى مضر لمحاربة نصر بن شبث
واستخلافه اسحاق بن ابراهيم على مدينة السلام

حدثنى يحي بن الحسن بن عبد الخالق قال : لما كان فى شهر رمضان من سنة خمس أو ست دعا المأمون عبدالله بن طاهر فلما دخل عليه قال له ياعبد الله : إنى استخير الله منذ شهر وأرجو أن يخير الله لى . ورأيت الرجل يصف ابنه ليطريه لرأيه فيه وليرفعه ورأيتك فوق ما قال ابوك فيك وقد مات يحي بن معاذ واستخلف ابنه احمد بن يحي وليس بشىء ، وقد رأيت توليتك مضر ومحاربة نصر بن شبث . فقال : السمع والطاعة ياأمير المؤمنين ، وأرجو أن يجعل الله لأمير المؤمنين الخيرة وللسلمين . قال : فعقد له . ثم أمر أن تقطع حبال القصارين عن طريقه [وتنحى (١)] عن الطرقات [المظال] لئلا يكون فى طريقه ما يردلواءه ثم عقد له لواء [مكتوبا] عليه بصفرة ما يكتب على الألوية وزاد فيه المأمون يامنصور . وخرج ومعه الناس فصار إلى منزله . ولما كان من غد ركب اليه الناس وركب الفضل بن الربيع فأقام عنده الليل . قال : فقام الفضل فقال عبدالله : ياابا العباس قد تفضلت وأحسنت وقد تقدم ابى وأخوك الى أن لا اقطع امرآ دونك ، واحتاج ان استطلع رأيك واستضىء بمشورتك ، فان رأيت أن تقيم عندى الى أن تفطر فافعل ؟ قال : فقال الفضل : إن لى حالات ليس يمكننى معها الإفطار ههنا . قال : إن كنت تكره طعام أهل خراسان فابعث الى مطبخك يأتوا بطعامك فقال له : إن لى ركعات بين العشاء والعتمة . قال : فى حفظ الله قال: وخرج معه الى صحن داره يشاوره فى خالص اموره .

---

(١) هكذا فى ابن جرير وفى الأصل (تسقط).

قال وكان خروج عبدالله الصحيح الى مضر لقتال نصر بن شبث بعد خروج ابيه الى خراسان بستة أشهر واستخلف اسحاق بن ابراهيم على بغداد والسندى ابن يحي على الجانب الشرقى ، وعياش بن القاسم على الجانب الغربى قال : ولما ولى طاهر ابنه عبدالله ديار ربيعة كتب اليه كتابا نسخته : —

عليك بتقوى الله وحده ، لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ، ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيتك ، ولزوم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ، ومسئول عنه ، والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم لقائه من عذابه وأليم عقابه ، فان الله قد أحسن اليك وواجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبلهم ، وإدخال الراحة عليهم فى معايشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك وموقفك عليه وسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك ، وعقلك ، وبصرك ، ورؤيتك ولا يذهلك عنه ذاهل ، ولا يشغلك عنه شاغل ، فانه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول مايوفقك الله به لرشدك . وليكن اول ما تلزم به نفسك ، وتنسب اليه فعالك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك فى مواقيتها وعلى سننها فى اسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل فى قراءتك وتمكن فى ركوعك وسجودك ، وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك ، وتحت يدك ، وادأب عليها فانها كما قال الله ، تأمر بالمعروف ، وتنتهى عن المنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله ﷺ والمثابرة على فرائضه [خلائقه] واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، واذا ورد عليك امر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله فى كتابه من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن النبي ﷺ ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تمل عن العدل فيما احببت أو كرهت

لقريب من الناس أو بعيد ، وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن افضل ما تزين به المرء الفقه فى دين الله والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب فيه منه الى الله فانه الدليل على الخير كله ، والقائد له والآمر به ، والناهى عن المعاصى والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله تعالى ذكره واجلالا له ، ودركا للدرجات العلى فى المعاد مع ما فى ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك، والثقة بعدلك

وعليك بالاقتصاد فى الأمور كلها ، فليس شيء أبين نفعاً ، ولا أحضر امناً ، ولا أجمع فضلا من القصد ، والقصد داعية الى الرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق منقاد الى السعاده . وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فآثره فى دنياك كلها ، ولا تقصر فى طلب الآخرة ، وطلب الآجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ، ومعالم الرشد ، فلاغاية للاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه فى دار كرامته ، واعلم أن القصد فى شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فأته وأهتد به تتم أمورك وتزد به مقدرتك ، وتصلح به خاصتك وعامتك وأحسن الظن بالله جل ذكره يستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة اليه فى الأمور كلها تستدم به النعمة عليك ، ولا تنهض احداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ، فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه عنهم ، يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان فى أمرك مغمزاً فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم فى سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك . واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس الى محبتك ، والاستقامة فى الأمور كلها لك ، ولا يمنعك حسن الظن باصحابك ، والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك، والمباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرعية ، والنظر فيما يقيمها ويصلحها ، بل

لتمكن المباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرعية ، والنظر فى حوائجهم ، وحمل مؤوناتهم آثر عندك وأوجب اليك مما سوى ذلك ، فانه اقوم للدين ، وأحيا للسنة وأخلص نيتك فى جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ، ومجزى بما أحسن ، ومأخوذ بما أساء ، فإن الله جعل الدين حرزاً وعزاً ، ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسهم وترعاهم نهج الدين وطريقة الهدى .

وأقم حدود أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوا ، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان تفريطك فى ذلك مما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينـــك ، وتقم لك مروتك ، وإذا عاهدت عهـــداً فف به ، وإذا وعدت بالخير فأنجزه واقبل الحسنة وانتفع بها وأغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وأبغض أهله ، وأقص اهل النميمة فان أول فساد أمرك فى عاجل الامور وآجلها تقريب الكذبة وأهل الجرأة على الكذب لان الكذب رأس المآثم ، والزور [والنميمة خاتمتها لأن] صاحب النميمة لا يسلم له صاحب ، ولا يستقم لمطيعه أمر ، وأحبب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق ، وواس الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله ، وعزة امره والتمس فيه ثوابه والدار الاخرة منه ، واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك ، وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى . واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم ، واياك والحدة ، والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك تقول إنى مسلط افعل ما أشاء فإن ذلك سريع فيك الى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له . أخلص الله لنا ولك النية فيه ، واليقين به .

واعلم ان الملك لله يعطيه من يشاء ، وينزعه عمن يشاء ، ولن تجد تغير النعمه وحلول نقمه الى احد اسرع منه الى حملة النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم

فى الدولة اذا كفروا بنعمة الله وإحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تذخر وتكنز البر والتقوى و المعدلة واستصلاح الرعية وعمـــارة بلادهم ، والتفقد لامورهم ، والحفظ لدهمائهم ، والاغاثة لملهوفهم .

واعلم أن الأمـوال اذا كثرت وذخرت فى الخزائن لا تثمر ، واذا كانت فى صلاح الرعية وإعطاء حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم نمت ، وزكت ، وصلحت به العامة ، وتزينت به الولاة ، وطاب به الزمان ، وأعقب فيه العز والمنعة . فليكن أكثر خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، واوف رعيتك من ذلك حصصهم ، وتعهد مايصلح امورهم ومعايشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله . وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر ، وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب أنفساً لكل ما أردت فأجهد نفسك فيما حددت لك فى هذا الباب ، ولتعظم خشيتك فيه فانما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل حقه . واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه ، واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فإن التهاون يورث التفريط ، والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله وفيه تعالى وارج الثواب فان الله قد أسبغ عليك نعمته وأظهر عليك فضله فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً وإحسانا ، فان الله يثيب بقدر شكر الشاكرين ، وسيرة المحسنين ، واقض الحق فيما حمل من النعيم وألبس من العافية والكرامة . ولا تحقرن ذنباً ، ولا تمايلن حاسداً ، ولا ترحمن فاجراً ولا تصلن كفوراً ، ولا تداهنن عدواً ، ولا تصدقن نماماً ، ولا تأتمنن غداراً . ولا توالين فاسقاً ، ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن مرائياً ، ولا تحقرن انسانا ، ولا تردن سائلا فقيراً ، ولا تجيبن باطلا ، ولا تلاحظن مضحكا ، ولا تخلفن وعداً ولا ترهبن فخراً ، ولا تعملن غضباً ، ولا

تأتين بذخا، ولا تمشين مرحا، ولا تركبن سفها،ولا تفرطن فى طلب الآخرة ولا تدفع الأيامى عباسا، ولا تغمض عن ظالم رهبة منه ومحاباه، ولا تطلبن ثواب الآخرة فى الدنيا

وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم . وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تدخلن فى مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولا تسمعن لهم قولا ، فان ضررهم أكثر من منفعتهم ، وليس شىء اسرع فساداً لما استقبلت فى أمر رعيتك من الشح ، واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، واذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن اموالهم ، وترك الجور عليهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك بالإفضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، واجتنب الشح واعلم انه اول ما عصى به الإنسان ربه ، وان العاصى منزله خزى وهو قول الله عز وجل فى كتابه : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[1]) فسهل طريق الجود بالحق، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود افضل اعمال العباد ،واعدد لنفسك خلقاً وارض به عملا ومذهباً ، وتفقد امور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم، وأدرر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم فى معايشهم يذهب الله بذلك فاقتهم ، ويقوى لك امرهم ، ويزيد به قلوبهم فى طاعتك وأمرك اخلاصاً وانشراحا ، وحسب ذى السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته ذا رحمة فى عدله ، وحيطته ، وانصافه ، وعنايته ، وشفقته ، وبره وتوسعته . فزايل مكروه أحد البابين باستشعار فضيلة الباب الآخر ، ولزوم العمل به تلق إن شاء الله نجاحا ، وصلاحا ، وفلاحاً .

واعلم ان القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شىء من الأمور لأنه ميزان الله الذى يعتدل عليه احوال الجميع فى الأرض وباقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية، وتأمن السبل ، وينتصف المظلوم ؛ ويأخذ الناس حقوقهم، وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن

---

(١) سورة الغاشية ١٦

والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل فى القضاء . واشتد فى أمر الله ، وتورع عن النطف ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك وانتبه فى صمتك واسدد فى منطقك، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وابلغ فى الحجة، ولا يأخذك فى احد من رعيتك محاباة ، ولا محاماة ،ولالومة لائم، وتثبت وتأن ، وراقب ، وانظر ، وتدبر ، وتفكر ، واعتبر ، وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن الى سفك دم فان الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها : وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للاسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظاً ، ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلا وصغاراً . فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية ، والعموم فيه . ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غنى لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا احد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ، ولا تكلفن أمراً فيه شطط ، واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فان ذلك أجمع لألفتهم والزم لرضى العامة .

واعلم انك جعلت بولايتك خازناً، وحافظاً، وراعياً وإنما سمى أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقيمهم تأخذمنهم ما أعطوك منعفوهم ومقدرتهم ، وتنفقه فى قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم اودهم فاستعمل عليهم فى كور عملك ذوى الرأى والتدبير ، والتجربة ، والخبرة بالعمل ، والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل ، ولا يصرفنك عنه صارف فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الأحدوثة فى عملك واحترزت المحبة من رعيتك وأعنت على الإصلاح فدرت الخيرات ببلدك ، وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر الخصب فى كورك، فكثر خراجك ، وتوفرت أموالك ، وقويت بذلك على ارتباط

جندك ، وإرضاء العامة باضافة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ، ومرضى العدل فى ذلك عند عدوك ، وكنت فى امورك كلها ذا عدل وقوة ، وآلة وعدة، فنافس فى هذا ولا تقدم عليه شيئاً تجد مغبة امرك إن شاء الله. واجعل فى كل كورة من عملك أميناً يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب اليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاين لأموره كلها ، وإن اردت أن تأمره بأمر فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فأمضيه ، وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم به . ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل الى امر من امره قد واتاه على ما يهوى فقواه ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر فى عواقبه اهلكه ونقض عليه أمره ،فاستعمل الحزم فى كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوة ، واكثر استخارة ربك فى جميع أمورك . وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك ؛ واكثر مباشرته بنفسك فان لغد اموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت ؛واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بما فيه؛ واذا أخرت عمله اجتمع عليك أمور يومين فيشغلك ذلك حتى تعرض عنه ؛ واذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك؛ وبدنك وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ؛ ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ؛ فاستصلحهم وأحسن اليهم . وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤونتهم وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا لخلتهم مساً ، وأفرد نفسك للنظر فى أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك ، والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه فسل عنه أخفى مسائله ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله فى العطف عليهم والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشهم، ويرزقك به بركة وزيادة.

وأجر للأضراء من بيت المال، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية على غيرهم، وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم، وقواما يرفقونهم، وأطباء يعالجون أسقامهم، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال.

واعلم أن الناس إن أعطوا حقوقهم، وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك، ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعاً في نيل الزيادة، وفضل الترفق منهم؛ وربما برم المتصفح لأمور الناس بكثرة ما يرد عليه ويشغل ذهنه وفكره منها ما يناله به مؤونة ومشقة، وليس من يرغب في العدل، ويعرف محاسن أموره في العاجل، وفضل ثواب الآجل كالذي يستقبل مايقر به الى الله جل وعز ويلتمس رحمته به. وأكثر الإذن للناس عليك، وأبرز لهم وجهك، وسكن لهم أحراسك واخفض لهم جناحك، وأظهر لهم بشرك، ولاين لهم في المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك، واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والأجر غير مكدر ولا منان؛ فان العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله.

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا، ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرئاسة في القرون الخالية. والأمم البائدة. ثم اعتصم في احوالك كلها بامر الله، والوقوف عند محبته، والعمل بشريعته وسنته، وإقامة دينه وكتابه، واجتنب مافارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال وينفقون منها، ولا تجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً. واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من إنهاء ذلك اليك في سر، واعلامك ما فيه من النقص فان اولئك أنصح أوليائك ومظاهريك. وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وأمور كورك ورعيتك، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك، وفهمك، وعقلك وكرر النظر اليه والتدبير له. فما كان موافقاً للحزم والحق فأمضه واستخر الله

فيه وما كان مخالفاً ذلك فاصرفه الى التثبت فيه ، والمسألة عنه ، ولا تمنن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تأتيه اليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة والعون فى أمور أمير المؤمنين ، ولا تصنعن المعروف الا على ذلك .

وتفهم كتابى اليك وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله جل وعز مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأعظم رغبتك ما كان لله جل وعز رضى ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللملة والذمة عدلا وصلاحاً ، وأنا اسأل الله أن يحسن عونك ، وتوفيقك ، ورشدك ، وكلاءتك . وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسناهم ذكراً وأمراً ، وأن يهلك عدوك ، ومن ناوأك وبغى عليك ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك ووساوسه حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق إنه قريب مجيب .

قال : ولما عهد طاهر بن الحسين الى عبدالله ابنه هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون فدعا به وقرىء عليه وقال : مابقّى أبو الطيب شيئاً من أمر الدين والدنيا ، والتدبير والرأى ، والسياسة واصلاح الملك ، والرعية وحفظ البيعة ، وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال فى نواحى الأعمال . وتوجه عبد الله الى عمله فسار بسيرته واتبع أمره وعمل بما عهد اليه .

وذكر أبو حسان الزيادى وغيره : أن طاهراً لما تولى خراسان كان خروجه من بغداد يوم الأحد لليلة بقيت من ذى القعدة ، وكان عسكر قبل ذلك بشهرين فلم يزل مقيما فى عسكره حتى خرج فى هذا اليوم ، وإنما كان سبب ولايته أنه قتل عبد الرحمن المطوعى الحرورى بغير أمر والى خراسان فتخوفوا أن يكون لذلك أصل وكان والى خراسان غسان بن عباد ابن عم الفضل بن سهل .

وقال محمد بن موسى الخوارزمى المنجم : عقد المأمون لواء ذى اليمينين طاهر ابن الحسين على المغرب كله بعد قدومه مدينة السلام بشهر، وكان طاهر كلم المأمون فى لباس الخضرة فطرحها بعد دخوله بغداد بثمانية أيام، ولما تولى طاهر بغداد الشرطة لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة . ثم ولى طاهر خراسان فى سنة خمس ومائتين فى ذى القعدة وخرج طلحة بن طاهر على مقدمته إلى خراسان ؛ ثم كان خروجه من بغداد الى خراسان فى ذى الحجة ، وكان خروج ابى العباس عبدالله بن طاهر بعد خروج طاهر الى خراسان الى الجزيرة لمحاربة نصر بن شبث العقيلى، وكان ظفر عبدالله بن طاهر بنصر بن شبث وادخاله مدينة السلام يوم الاثنين للنصف من رجب سنة تسع ومائتين .

قال القاسم بن سعيد : سمعت الفضل بن مروان يقول ركب طاهر بن الحسين ويحى بن معاذ ، وأحمد بن أبى خالد يوما من الأيام بعد دخول المأمون بغداد حراقة وعصفت عليهم الريح عصوفا شديداً وقد قربوا من دار ابى اسحاق فقالوا: نخرج الى ابى اسحاق فان الريح قد منعتنا من السير . قال : فخرجوا الى ابى اسحاق فقامت عليه القيامة لمفاجأتهم اياه . قال : ولم يكن تغدى بعد فوظيفته على حالها قال الفضل : فوجهت فى الإزدياد ، وأمرت بطبق صغير فيه رغيف أو اثنان وفروج وما أشبه ذلك فوضع بين ايديهم ليتشاغلوا به الى أن يدرك ماتقدمت فى تهيئته . قال : فقال أحمد بن أبى خالد : ليس هذا وقت طعام ارفعوا هذا الساعة . فقال طاهر : أما اذكان هذا ليس وقت طعام لأحمد بن يزيد فليس وقت طعامنا نحن إلا بعد ثلاثة ايام . قال : ثم أدرك الطعام فكان الأمر جميلا جدا . وبلغ المأمون فسأل أبا اسحاق عنه . فأخبره فجعل يقول: لقداحتال الفضل وملح طاهر

سيرة المأمون ببغداد

وطرائف من أخباره وأخبار أصحابه، وقواده، وكتابه، وحجابه

قال جعفر بن محمد الأنماطي : لما دخل المأمون بغداد وقرّبها قراره وأمر أن يدخل عليه من الفقهاء ، والمتكلمين ، وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته وكان يقعد فى صدر نهاره على لبود فى الشتاء ، وعلى حصر فى الصيف ليس معهما شيء من سائر الفرش ، ويقعد للمظالم فى كل جمعة مرتين لا يمتنع منه أحد . قال : واختير له من الفقهاء لمجالسته مائة رجل فما زال يختارهم طبقة بعد طبقة حتى حصل منهم عشرة كان احمد بن أبى دواد احدهم ، وبشر المريسى . قال جعفر بن محمد الأنماطي وكنت أحدهم . قال : فتغدينا يوماً عنده فظننت أنه وضع على المائدة اكثر من ثلاثمائة لون فكلما وضع لون نظر المأمون اليه فقال : هذا يصلح لكذا وهذا نافع لكذا . فمن كان منكم صاحب بلغم ورطوبة فليجتنب هذا . ومن كان صاحب صفراء فليأكل من هذا ، ومن غلبت عليه السوداء فليأكل من هذا ، ومن أحب الزيادة فى لحمه فليأ كل من هذا، ومن كان قصده قلة الغذاء فليقتصر على هذا قال : فوالله ما زالت تلك حاله فى كل لون يقوم حتى رفعت الموائد . قال : فقال له يحيى بن اكثم ياأمير المؤمنين : إن خضنا فى الطب كنت جالينوس فى معرفته ،أو فى النجوم كنت هرمس فى حسابه ، أو فى الفقه كنت على بن أبى طالب صلوات الله عليه فى علمه، أو ذكر السخاء فأنت فوق حاتم فى جوده، أو ذكرنا صدق الحديث كنت أبا ذر فى صدق لهجته ، أو الكرم كنت كعب بن مامة فى إيثاره على نفسه قال : فسر بذلك الكلام . وقال ياابا محمد : إن الإنسان إنما فضل على غيره من الهوام بفعله ، وعقله ، وتمييزه . ولولا ذلك لم يكن لحم أطيب من لحم . ولا دم اطيب من دم .

وذكر لنا عبدالله بن محمد الفارسى ، عن ثمامة بن اشرس قال : لما قدم المأمون من خراسان وصار الى بغداد امر أن يسمى قوم من أهل الادب يجالسونه ، ويؤامرونه فذكر له جماعة منهم : الحسين بن الضحاك وكان من جلساء محمد المخلوع فقرأ اسماءهم حتى بلغ الى اسم الحسين فقال : أليس الذى يقول فى المخلوع :—

هَلَّا بَقِيتَ لِسَدِّ فَاقَتِنَا فِينَا وَكَانَ لِغَيْرِكَ التَّلَفُ

فَلَقَدْ خَلَفْتَ خَلَائِفاً سَلَفُوا وَلَسَوْفَ يَعُوزُ بَعْدَكَ الخَلَفُ

لا حاجة لى به لا يرانى والله إلا فى الطريق ، ولم يعاقب الحسين على ما كان منه فى هجائه له والتعريض به .

وحدث محمد بن عيسى ، عن عبد الله بن طاهر قال : كان المأمون اذا أمر اصحابه أن يعودوا للغداء والمقام قال لبعض غلمانه : أعلم الخباز أنا قد أمرناهم بالعود . قال : فرآهم كأنهم يعجبون من ذلك فقال : أظنكم أنكرتم ما تسمعون ؟ . قالوا : نعم ياامير المؤمنين لأنا لا نشك أن كلما نحتاج اليه عتيد . قال : يجيء لنا ما يجيء فيكون فضله للغلمان فإذا احتبسناكم استغرقتم ما يكون لهم فنأمرهم أن يزدادوا ما يفضل عنا لهم .

قال : وعاتب المأمون المطلب بن عبدالله بن مالك فأجابه المطلب بالنفى عن نفسه فقال : تقول هذا وانت أول كل فتنة وآخرها ومن فعلك وفعلك . فقال له المطلب : ياأمير المؤمنين لا يدعونك استبطاؤك نفسك الى كثرة التجنى على مما لعلى برىء منه . قال : أستغفر الله أرضيت؟ قال نعم ياامير المؤمنين .

وذكر عن ثمامة قال : ارتد رجل من أهل خراسان فأمر المأمون بحمله الى مدينة السلام فلما أدخل عليه أقبل بوجهه اليه ثم قال له : لأن أستحييك بحق واجب أحب الى من أن أقتلك بحق ، ولأن أدفع عنك بالتهمة وقد كنت مسلما بعد أن كنت نصرانياً وكنت فى الاسلام أفيح [مكانا] وأطول أياما فاستوحشت مما كنت به آنساً ثم لم تلبث أن رجعت عنا نافراً فخبرنا عن الشيء الذى أوحشك من الشيء الذى

صار آنس لك من ذلك القديم وأنسك الأول، فان وجدت عندنا دواء داءك تعالجت به إذ كان المريض يحتاج الى مشاورة الأطباء ، فان أخطأك الشفاء ، ونبا عن داءك الدواء وكنت قد أعذرت ، ولم ترجع عن نفسك بلائمة فان قتلناك بحكم الشريعة ترجع أنت فى نفسك الى الاستبصار والثقة، وتعلم أنك لم تقصر فى اجتهاد ، ولم تدع الأخذ بالحزم . فقال المرتد : أوحشنى ما رأيت من كثرة الاختلاف فى دينكم. قال المأمون : فان لنا اختلافين . احدهما : كالاختلاف فى الأذان ، وتكبير الجنائز والاختلاف فى التشهد ، وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ، ووجوه القراءآت ، واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك وليس هذا باختلاف إنما هو تخير وتوسعة وتخفيف من المحنة . فمن أذن مثنى ، وأقام فرادى . لم يؤثم . من أذن مثنى وأقام مثنى لايتعايرون ولا يتعايبون ، انت ترى ذلك عيانا ، وتشهد عليه بياناً . والاختلاف الآخر : كنحو الاختلاف فى تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث عن نبينا ﷺ مع اجماعنا على أصل التنزيل ، واتفاقنا على عين الخبر . فان كان الذى أوحشك هذا حتى انكرت كتابنا ، فقد ينبغى أن يكون اللفظ بجميع مافى التوراة والانجيل متفقاً على تأويله كالاتفاق على تنزيله ، ولا يكون بين الملتين من اليهود والنصارى اختلاف فى شىء من التأويلات ، و ينبغى لك ألا ترجع إلا الى لغة لا اختلاف فى ألفاظها ، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبياءه ، وورثة رسله لا تحتاج الى تفسير لفعل . ولكنا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع الينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة ، وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله جل وعز الدنيا . فقال المرتد : أشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأن المسيح عبد الله ورسوله . وأن محمداً صلى الله عليه صادق . وأنك أمير المؤمنين حقاً . قال: فانحرف المأمون نحو القبلة فخر ساجداً ثم أقبل على أصحابه فقال : وفروا عليه عرضه . ولا تبروه فى يومه ريثما يعتق اسلامه كيلا يقول عدوه أنه يسلم رغبة ، ولا تنسوا نصيبكم من بره ونصرته وتأنيسه والفائدة عليه .

حدثني عبد الله بن غسان بن عباد : أن أباه قدم من السند بسبعة آلاف ألف فعرضها على المأمون وقال : هذا المال فضل معي عن النفقة . فقال له المأمون : خذه فهو لك. قال : لا والله يا أمير المؤمنين لا أقبله . فقال : خذ منه خمسة آلاف ألف فامتنع من ذلك فأمره أن يأخذ اربعة آلاف ألف وقال : لا أشفعك في امتناعك من ذلك . فأخذها وفرق المال على ولد المأمون ، وامهات أولاده ، وحشمه فارتجع المأمون المال وقال : انما دفعناه اليك لتنتفع به ليس لتنفعنا به . فكنت أنا ممن ارتجع منه من هذا المال ثلاثين ألف درهم .

وقال أحمد بن ابي طاهر : قال محمد بن سعد كاتب الواقدي : رفع الواقدي رقعة الى المأمون يشكو عليه الدين فوقع فيها بخطه: فيك خلتان . السخاء، والحياء . فأما السخاء فهو الذي أطلق يديك بما ملكت ، وأما الحياء فهو الذي حملك على ذكر بعض دينك . وقد أمرنا لك بضعف ما ذكرت ، فان قصرنا عن بلوغ حاجتك فبجنايتك على نفسك، وان كنا بلغنا بغيتك فزد في بسط يدك فإن خزائن الله مفتوحة ، ويده بالخير مبسوطة .

وذكر عن ثمامة قال : لما دخل المأمون مدينة السلام حضرت مجلسه يوماً وقد جاءوه برجل زعم أنه خليل الرحمان فقال لى المأمون : سمعت أحداً أجرأ على الله من هذا ؟ فقلت: ان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لى في مناظرته ؟ قال شأنك به . قال فقلت له : ياهذا :إن ابراهيم كانت معه براهين وآيات . قال : وما كانت براهينه وآياته ؟ قلت أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليه برداً وسلاماً فنحن نضرم لك نار أو نطرحك فيها فان كانت عليك برداً وسلاما صدقناك وآمنا بك. قال : هات غير هذا . قلت :براهين موسى . قال وما براهينه ؟ قلت عصاه التي ألقاها فاذا هي حية تسعى، وفلق بها البحر فصار يبساً، وألقاها فالتقفت ما افك السحرة قال : هات غير هذا .قلت : براهين عيسى . قال : وماهي ؟ قلت : يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ويخبر بما في الضمير .قال :مامعي من هذا الضرب شيء وقد قلت لجبريل إنكم توجهوني الى شياطين فأعطوني حجة أذهب بها وإلا لم أذهب فقال لى جبريل

وغضب : قد جئت بالشر من الساعة اذهب أولا فانظر ما يقول لك القوم ؟ فضحك المأمون وقال : هذا طيب . قلت يا أمير المؤمنين : هذا رجل هاج به المرة وأعلام ذلك بينة فيه . قال : صدقت . وأمر به الى الحبس، وأن يعالج من مرة إن كان به .

قال بعض أصحابنا ، عن أبيه ، قال : بينا الحسن اللؤلؤى فى مجلس المأمون وهو يطارحه شيئاً من الفقه والمسائل إذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤى [1] : أنمت يا أمير المؤمنين ؟ ففتح المأمون عينه ثم قال : سوقى والله يا غلام خذ بيده فجاء الغلمان فأقاموه . وقال : لا يدخل مثل هذا على . قال : فتمثل بعض أصحابه :—

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِّى إلاّ وَشِيجُهُ ... وَتُنْبِتُ إلاّ فى مَغَارِسِها النَّخْلُ

وذكر القاسم بن سعيد أن هذا الخبر كان والمأمون ولى عهد بالرقة فى حياة الرشيد فبلغ الرشيد ذلك فتمثل ببيت زهير .

وحدثنى ابو الحسن على بن محمد ختن على بن الهيثم وكيل ولد المأمون . قال أخبرنى هارون بن المأمون بن سندس وكان بيت الاعتزال ان المأمون قال له : لأجمعن بينك وبين بشر فإن وجبت عليك الحجة ضربت عنقك ، وكان هارون يقول: لم أزل أتجنب مجلس بشر عند المأمون الى أن فرق الدهر بيننا .

حدثنى الرامهرمزى وكان قدرياً ، عن محمد بن اسحاق بن ابراهيم اليزيدى أنه سمع ثمامة يقول : إن المأمون عامى لتركه القول بالقدر .

حدثنا احمد بن اسحاق بن جرير المرزى قال : سمعت ابراهيم بن السندى يقول : بعث المأمون الى فأتيته فقال يا ابراهيم إنى اريدك لامر جلل والله ما شاورت فيك احداً ، ولا اشاور بك على أحد فاتق الله ولا تفضحنى . قال :قلت يا أمير المؤمنين : والله لو كنت شر من ذرأه الله لقدح فىّ هذا الكلام من مولاى فكيف ونيتى فى طاعته نية العبد الذليل لمولاه قال : قد رأيت توليتك خبر ما وراء بابى

(١) كانت وفاة اللؤلؤى سنة ٢٠٤ هـ قبل دخول المأمون بغداد فالخبر رواية مجهول عن مجهول والخبر بعده ترقيع للكذب (ز)

الى مصر فانظر أن تعمل بما يجب لله عليك ولا تراقب أحداً غيره . قلت: فإني أستعين بالله على مرضاته وأستوفقه لطاعة مولاى ثم نهضت فبثثت أصحاب الأخبار فى أرباع بغداد فرفع إلى ان صاحب الحرس أخذ امرأة مع رجل نصرانى من تجار الكرخ فهجم عليهما فافتدى النصرانى نفسه بالف دينار .قال : فرفعت الخبر بهذا الى المأمون فدعا المأمون عبدالله بن طاهر وهو ببغداد فقال : انظر فى هذا الخبر الذى رفعه ابراهيم بن السندى فقرأه فقال : ياأمير المؤمنين رفع اليك الباطل والزور وجعل يغريه بى ويحمله على وكان المأمون لين المكسر . قال : فأثر ذلك فى قلبه فبعث الى فقال : ياابراهيم . ترفع الى الكذب وتحملنى على عمالى . قال : فكتبت رقعة ووجهتها الى فتح غلامه ليوصلها اليه وقلت فيها : ياأمير المؤمنين متى وقف صاحب خبر على ما وقفت عليه، ولو كانت الأخبار لا تصح إلا بشاهدى عدل ما صح خبر ولا كتبت به ، ولكن مجيء الأخبار ان لم يحضرها أقوام على غير تواطىء ولا تشاعر من كانوا ومن حيث كانوا، وانما يحضر الأخبار الطفل والمرأة والمحتال والذمر وابن السبيل فان كان أحب الأمرين الى امير المؤمنين ألا نكتب بخبر ولا نرفعه حتى يصح بالعدول ويصح بالبراهين فعلت ذلك . وعلى أن لا يتهيأ ذلك فى سنة إلامرة أو مرتين .

قال : فلما قرأ المأمون الرقعة جاءنى رسوله مع طلوع الفجر فقال : أجب . فأتيته بعدان صليت فدخلت من باب الحمام فلما رآنى قال: اطمأن ثم قام وقد طلعت الشمس فصلى ركعتين أطال فيهما ثم سلم والتفت الى وما فى مجلسه أحد ثم قال : يا ابراهيم إنى إنما قمت الى الصلاة ليسكن بهرك ، ويفرخ روعك ، وتقوى متنك ، وتمكن فى قعودك . قال : وكنت قعدت على ركبتى فقلت : والله . والله لا أضع قدر الخلافة ولا اجلس إلا اجلوس العبد بين يدى مولاه . قال : فقام فصلى ركعتين دون الأولتين ثم سلم وحمد الله وأثنى عليه وقال : هذه رقعتك فى ثنى وسادتى قد قرأتها الليلة أربع مرات وقد صدقت فيما قلت ألا إنى آمر وأدارى عمالى وعمالهم مدارة الخائف والله ما أجد الى حملهم على المحجة البيضاء سبيلا فاعمل لى على حسب

ما تراني أعمل ولن لهم تسلم لك أيامك ، وبعض دينك وفي حفظ الله اذا شئت .
قال : فانصرفت ودعوت أصحاب الاخبار فقلت داروا هؤلاء القوم وارفقوا بهم.

وذكر ابراهيم بن السندي قال : وجدنا رقاعاً في طرقات بغداد فيها شتم للسلطان وكلام قبيح فكرهت رفعها على جهرتها لما فيها ، وكرهت أن أطوي ذكرها وأنا صاحب خبر فينقلها من جهة أخرى فيلحقني ما اكره فكتبت : إنا أصبنا يا امير المؤمنين رقاعاً فيها كلام السفهاء والسفلة ، وفيها تهدد ووعيد ، وبعضها عندنا محفوظة الى ان يأمر أمير المؤمنين فيها بامره . فكتب الى بخطه : هذا أمر إن أكبرناه كثر غمنا به ، واتسع علينا خرقه . فمر أصحاب أخبارك متى وجدوا من هذه الرقاع رقعة أن يمزقوها قبل أن ينظروا فيها فإنهم اذا فعلوا ذلك لم يرلها أثر ولا عين . قال ابراهيم : ففعلنا ذلك فكان الأمر كما قال .

حدثني عمرو بن سليمان بن بشير بن معاوية قال : اخبرني ابي أن المأمون ولى ابراهيم بن السندي الخبر بمدينة السلام ، وعياش بن القاسم يتولى الجسرين قبل عبد الله بن طاهر ايام المأمون .قال : فركب ابراهيم الى الجسر في أول يوم تولى فدعا عياش بقوم من أهل الجرائم للعرض فمر به رجل من الأبناء فشتمه وتناوله فرد الرجل عليه مثل ذلك فاختلط عياش من رده عليه وشتمه اقبح الشتم فرد عليه الرجل ايضاً مثل ذلك فقال له ابراهيم بن السندي : ليس لك أن تشتمه انما لك أن تمثل ما أمرت به وما لك أن تتعدى ذلك الى شتمه فيلزمك الحد له . فقال له عياش : انما انت صاحب خبر تكتب ما تسمع وما ترى ، وليس لك أن تتكلم في مجلسي وامري ونهيي فان امسكت والا امرت من يجر برجلك حتى يرمى بك في دجلة . قال : فقام ابراهيم من المجلس مغضباً فقال لعياش : ساعرفك نبأ ماتكلمت به وصار من فوره الى دار امير المؤمنين فخرج اليه فتح . فقال له : مالك ؟ فقال له : ان عياش ابن القاسم فعل كذا . وكذا . وقص عليه قصته الى آخرها . فقال فتح لابراهيم : فتحب أن أنهي ذلك الى امير المؤمنين . ؟ قال : نعم لم احضر إلا لهذا . فدخل

فتح الى المـأمون فقـال : ما وراءك ؟ . قال : ابراهيم بن السنـدى مولاك يخبر بـكذا . وكذا . قال :أحضر اسحـاق بن ابراهيم . قال فأحضر اسحاق وابراهيم جالس . فقـال المأمون لاسحاق ألا تأخذ على أيدى عمالك وتنهـام عن الخرق بالنـاس والسفه وأعلمه ما كان من أمر عياش وتقدم اليه فى نهيه عما كان منه .

قال: فانصرف اسحاق الى منزله وأرسل الى عياش بن القاسم ،والسندى بن الحدثى، وابراهيم بن السندى بن شـاهك حاضر فشتمهما واستخف بهما . فلما كان من بعدذلك اليوم ولى المأمون من قبل بشر بن الوليد القاضى من الجانب الغربى الحسين القاضى حضور الجسر مع عياش ، وولى عـكرمة ابا عبد الرحمن الجسـر الشرقى مع السندى فلم يـكن لعياش ولا للسندى نهى فى أصحاب الجنايات إلا بحضورهما . قال : ولم يزل ذلك كذلك الى آخر أيام المأمون وكان صاحب الجسر اذا انصرف عياش من مجلسه جلس فى المسجد الذى فى ظهر مجلس الشرطة ، وكان الآخر اذا انصرف السندى صـار الى مسجد حسنة ام ولد المهدى وهو المسجد الذى بباب الطاق فى الحدادين وهنالك دار حسنة .

وذكر لى: أن رجلين تنازعا ببـاب الجسر احدهما من العظمـاء . والآخر من السوقة . فقنع الذى من الخاصة الذى من العامةفصاح العامى:واعمراه ذهب العدل مذ ذهبت فأخذ الرجـل وكتب ابراهيم بن السنـدى بخبره . فدعا به المأمون فقال : ما كانت حالك ؟ فاخبره . فأحضر خصمه فقال له : لم قنعت هذا الرجل ؟ . قال ياأمير المؤمنين : ان هذا الرجل يعاملنى وكان سىء المعاملة فلما كان فى هذا اليوم مررت بباب الجسر فأخذ بلجامى ثم قال : لا أفارقك حتى تخرج لى من حقى وغرمه. إنى كنت صبوراً على سوء معاملته لى . فقلت له : إنى اريد دار اسحاق بن ابراهيم . فقال : والله لو جاء اسحاق بن ابراهيم ما فارقتك ، ولو جاء من ولى اسحاق وعنف بى فما صبرت حين عرض بالخلافة ووهن من ذكرهـا أن

قنعته فصاح واعمراه ذهب العدل مذ ذهبت. فقال للرجل ماتقول فيما قال خصمك؟ فقال: كذب علي، وقال الباطل. فقال خصمه: لي جماعة ياأمير المؤمنين تشهد على مقالته، وإن اذن لي امير المؤمنين احضرتهم. قال. فقال المأمون للرجل: ممن انت؟. فقال: من اهل فامية فقال: اما ان عمر بن الخطاب رحمه الله كان يقول: من كان جاره نبطيا واحتاج الى ثمنه فليبعه فإن كنت انما طلبت سيرة عمر فهذا حكمه في اهل فامية ثم امر له بألف درهم وأطلقه. فقال لي الذي حدثني بهذا الحديث فحدثت هذا الحديث بعض مشايخنا فقال اما الذي عندنا: فخلاف هذا: انما مر بعض الزهاد في زورق فلما نظر الى بناء المأمون وأبوابه صاح. واعمراه. فسمعه المأمون فامر باحضاره ثم دعا به فلما صار بين يديه قال: ما أحرجك الى أن قلت ما قلت؟: قال رأيت آثار الأكاسرة، وبناء الجبابرة. فقال له المأمون: أفرأيت ان تحولت من هذه المدينة فنزلت ايوان كسرى بالمدائن كان لك ان تعيب نزولي هناك؟ قال: لا. قال: فأراك انما عبت اسرافي في النفقة؟ قال. نعم قال: فلو وهبت قيمة هذا البناء أكنت تعيب ذاك. قال: لا. قال: فلو بنى ذلك الرجل بما كنت اهب له بناء اكنت تصيح به كما صحت بي؟ قال: لا. قال: فأراك انما قصدتني لخاص نفسي لا لعلة هي غيري. قال: واسحاق بن ابراهيم حاضر قال: فقال ياامير المؤمنين: مثل هذا لا يقومه القول دون السوط، أو السيف قال: هما ارش جنايته ثم قال له: ياهذا إن هذا اول ما بنيناه وآخره، وانما بلغت النفقة عليه ثلاثة الآلف ألف وهو ضرب من مكايدتنا الاعداء من ملوك الامم كما ترانا نتخذ السلاح والادراع، والجيوش، والجموع، وما بنا الى أكثرها حاجة الساعة. وأما ذكرك سيرة عمر رحمه الله فانه كان يسوس أقواما كراما قد شهدوا نبيهم صلى الله عليه ونحن انما نسوس اهل بز وفر، وفامية، ودستميسان ومن اشبه هؤلاء الذين إن جاعوا أكلوك، وان شبعوا قهروك، وان ولوا عليك استعبدوك، وكان عمر يسوس قوماً قد تأدبوا بأخلاق نبيهم صلى الله عليه الطاهرة، وصانوا أحسابهم

الشريفة ، وما أثله لهم آباؤهم فى الجاهلية والإسلام من الافعال الرضية ، والشيم الكريمة ونحن نسوس من ذكرنا لك من هؤلاء الاقوام الخبيثة . قال : ثم امر بصلته فقال : لا تعودن الى مثل هذا فتمسك عقوبتى فان الحفظة ربما صرفت رأى ذى الرأى الى هواه فاستعمله وخلى سبيل الحلم .

قال التغلبى : سمعت يحيى بن اكثم يقول : امرنى المأمون عند دخوله بغداد أن اجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من أهل بغداد فاخترت له من أعلامهم اربعين رجلا وأحضرتهم وجلس لهم المأمون فسأل عن مسائل وأفاض فى فنون الحديث والعلم . فلما انقضى ذلك المجلس الذى جعلناه للنظر فى أمر الدين قال المأمون : ياابامحمد كره هذا المجلس الذى جعلناه للنظر طوائف من الناس بتعديل اهوائهم ، وتزكية ارائهم فطائفة عابوا علينا ما نقول فى تفضيل على بن ابى طالب رضى الله عنه وظنوا انه لا يجوز تفضيل على إلا بانتقاص غيره من السلف والله ما أستحل أو قال ما استجيز أن انتقص الحجاج فكيف السلف الطيب . وإن الرجل ليأتين بالقطعة من العود ، أو بالخشبة ، أو بالشىء الذى لعل قيمته لا تكون إلا درهما أو نحوه فيقول : إن هذا كان للنبى ﷺ ، أو قد وضع يده عليه ، أو شرب فيه ، أو مسه وما هو عندى بثقة ولا دليل على صدق الرجل إلا أنى بفرط النية والمحبة أقبل ذلك فاشتريه بألف دينار وأقل وأكثر ثم اضعه على وجهى وعينى وأتبرك بالنظر اليه وبمسه فأستشفى به عند المرض يصيبنى أو يصيب من اهتم به فأصونه كصيانتى نفسى وإنما هو عود لم يفعل هو شيئاً ولا فضيلة له تستوجب به المحبة إلا ما ذكر من مس رسول الله ﷺ وسلم له : فكيف لا أرعى حق اصحابه وحرمة من قد صحبه وبذل ماله ودمه دونه وصبر معه أيام الشدة، وأوقات العسرة وعادى العشائر والجبائر ، والأقارب ، وفارق الأهل والأولاد واغترب عن داره ليعز الله دينه ويظهر دعوته . ياسبحان الله والله لو لم يكن هذا فى الدين معروفاً لكان فى الأخلاق جميلا ، وان من المشركين لمن يرعى فى دينه من الحرمة ما هو اقبل من

هذا . معاذ الله مما نطق به الجاهلون . ثم لم ترض هذه الطائفة بالعيب لمن خالفها حتى نسبته الى البدعة فى تفضيله رجلا على أخيه ونظيره ومن يقاربه فى الفضل وقد قال الله جل من قائل : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » (١) ثم وسع لنا فى جهل الفاضل من المفضول فما فرض علينا ذلك ولا ندبنا اليه اذ شهدنا لجماعتهم بالنبوة فمن دون النبيين من ذلك بعد اذ أشهد لهم بالعدالة والتفضيل أمر لو جهله جاهل رجونا ألا يكون اجترح إثماً وهم لم يقولوا بدعة ؟ . فمن قال بقول واحد من أصحاب النبي ﷺ وشك الآخر واحتج فى كسره وإبطاله من الأحكام فى الفروج ، والدماء ، والأموال التى النظر فيها أوجب من النظر فى التفضيل فيغلط فى مثل هذا أحد يعرف شيئاً أو له رؤية ، أو حسن نظر ، أو يدفعه من له عقل أو معاند يريد الإلطاط ، أو متبع لهواه ذاب عن رئاسة اعتقدها ، وطائفة قد اتخذ كل رجل منهم مجلساً اعتقد به رئاسة لعله يدعو فئة الى ضرب من البدعة ؛ ثم لعل كل رجل منهم يعادى من خالفه فى الأمر الذى قد عقد به رئاسة بدعة ، ويشيط بدمه وهو قد خالفه من امر الدين بما هو اعظم من ذلك الا ان ذلك امر لا رئاسة له فيه فسالمه عليه، وأمسك عنه عند ذكر مخالفته اياه فيه، فاذا خولف فى نحلته ولعلها مما وسع الله فى جهله أو قد اختلف السلف فى مثله فلم يعاد بعضهم بعضاً ، ولم يروا فى ذلك اثماً ، ولعله يكفر مخالفه ، أو يبدعه ، أو يرميه بالأمور التى حرمها الله عليه من المشركين دون المسلمين بغياً عليهم وهم المترقبون للفتن ، والراسخون فيها لينتهبوا أموال الناس ويستحلوها بالغلبة ، وقد حال العدل بينهم وبين ما يريدون، يزأرون على الفتنة زئيراً الأسد على فرائسها وإنى لأرجو ان يكون مجلسنا هذا بتوفيق الله وتأييده ومعونته على اتمامه سببا لاجتماع هذه الطوائف على ماهو ارضى وأصلح للدين . اما شاك فيتبين ويتثبت فينقاد طوعا ، واما معاند فيرد بالعدل كرهاً

---

(١) سورة البقرة

أخبرنا عبد العزيز . (١) المكى الكنانى المتكلم قال : اجتمعت انا وبشر المريسى عند المأمون فقال لى ولبشر : قد اجتمعتما على نفى التشبيه ورد الأحاديث الكاذبة عن رسول الله ﷺ فتكلموا فى الكفر والإيمان . قال قلت :وفقك الله ياأمير المؤمنين : اما إن مطهرا البـاقى اخبرنى . قال : اخبرنى ابو الزبير ،عن جابر ابن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : « إن اليهود كذبت على موسى ، وان النصارى كذبت على عيسى وسيكذب على اناس من امتى فاذا بلغكم عنى حديث منكر فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فهو منى وأنا قلته ،وماخالف كتاب الله فليس منى ولم أقله » . فكيف يقول رسول الله ﷺ بخلاف كتاب الله، وبكتاب الله هدى الله نبيه ﷺ . ثم قال : ياامير المؤمنين القوم شركاؤنا فى المجلس فهل ينصب بشر علما نعرف به انتقاض المنتقض وصحةالصحيح؟.قال : فقال بشر : نعم . حدثنى محمد بن طلحة بن مصرف . قال : اخبرنى زبيد الايامى عن مرة الهمدانى ، عن رجل من بنى هاشم قال : قال رسول الله ﷺ : « كل قوم أولى رتبة من أمرهم ، ومصلحة من أنفسهم يردون على من سواهم ويتبين الحق من ذلك بالملابسة بالعدل عند ذوى الألباب (٢) » قال : والهاشمى على بن ابى ظالب رحمة الله عليه . قال المكى : فقلت هل تذكر شيئا تعرف به صحيح القياس من متناقضه؟ قال : ليس عندى شىء أكثر من هذا . قلت : ولكن عندى ياأمير المؤمنين وهى احد المخبآت التى اعددت لهذا المجلس منذ نحو ثلاثين سنة . قال : فقال بشر : ماكان ينبغى لك أن تكتم علماً عندك . قلت : إن لأهل العلم حلية

(١) كان من أصحاب الشافعى توفى فى حدود سنة ٢٤٠ هـ وهو من رجال الميزان، قال ابن السبكى : كتاب الحيدة المنسوب اليه فيه أمور مستشنعة لكنه كما قال شيخنا الذهبى لم يصح إسناده اليه ولا ثبت أنه من كلامه فلعله وضع عليه اهـ وشيخه فى الحديث الآتى لعله مطهر الطائى المتروك عندهم ، وحرف الطائى الى الباقى والله أعلم (ز)

(٢) لعله رواية بالمعنى ولم نجد هذا اللفظ فى دواوين أهل العلم (ز)

يتزينون بها ، ويزينون بها مقالتهم ، ولا يعلمونها أهل البدع لئلا يزينوا بها بدعهم وقد أقاموا حجتهم فى سرى ذلك على مخالفيهم قال : قلت ان النـاس اختلفوا ثم تحاجوا بعد الاختلاف فلو كانت غايتهم فى الاحتجاج التخطئة كان أحدهم قدخطأ صاحبه فى الابتداء فما أراد الى العناء ولكنه أراد النقض أو ينصب له علما يعرف به فان القوم شركاؤنا فى المجلس . قال أمير المؤمنين : هات . قلت : يعرف انتقاض كل منتقض تكلم الناس فيه من طب ، أو نجوم ، أو فتيا ، أو عربيـة ، أو كلام بأحد وجوه ثلاثة .. فكل قول دخله واحد منها فهو المتناقض . فقال : عند هذا فإن المعرفة قول. قال الله عز وجل (ويقولون فى أنفسهم [1]) قلت : يسمى الفعل قولا فى اللغة وقد يقول الرجل قولا بيده قال الشاعر : ـ

وَقَالَتْ لَهَا العَيْنَان سَمْعاً وَطَاعَةً ... وَحَدَّرَتَا كالدُّر لَمَّـــا يُثَقَّبُ

فقولهما أنهما تهميان بالدمع. وقد قال الله جل وعز : (قالتا أتينا طائعين [2]) وقولهما هو مجيئهما فترك هذا .

قال: وحدثنى عن مشرك كان زانيا فتاب عن شركه وأقام على الزنى أليس قد خرج من الكفر الى الإيمان [قلت] ولم يخرج الإيمان الذى يستوجب به الاسم حتى يدع الزنى قال: والله ليدخلن الجنة ولو بعد ألف سنة. قلت : ماهذا إنما كنا فيه . هذا جواب او مسألة ؟ فأنكر ذلك المأمون. قال ثم قلت له : حدثنى عن الايمان ما هو ؟ قال : معرفة الله بحجة . قلت : بخصلة هو أم بخصال ؟ . قال : خصلة تنتظم معانى . قلت : فهذا المعنى هو منها ذلك المعنى الآخر ؟ فخلط وتركه . فقال آتيك بما هو أسهل من هذا . أكلف الله جل وعز أهل زمان عيسى فى زمان محمد ﷺ قال كلفهم أن يعلموا أنه

---

(١) سورة المجادلة ٨ : والذى فى النفس هو المعرفة فلا يكون الفعل قولا فيما زعم بشر ورد عليه عبد العزيز بورود القول فى غير المعرفة (٢) سورة فصلت ١٠

سيبعثه رسولا . قلت فما كلفنا نحن ؟ . قال : ان نعلم أنه قد بعثه . قلت ياأمير المؤمنين : أفكلام هذا ؟ . قال : لا . قلت : فاذاً عزمت أسأله . . قال:سل. قلت: حدثني عمن آمن بموسى وعيسى ولم يسمع بأن محمداً ﷺ سيبعث هو مؤمن ؟ قال : فلست إذاً من المرجئة إن لم أقل هو مؤمن . قلت : فان سمع بعد ذلك بمحمد ولقي محمداً عليه السلام هل أصاب الإقرار به إيمانا لم يكن أصابه قبل ذلك فعلم أنه ليس له حيلة . فقال ياأمير المؤمنين : على في الوضوء شدة فأذن له .

قال : المكي وقلت للمأمون بعد الخطبة في مجلسي : اعلم ياأمير المؤمنين ان كل سبب اتصل ، او اخاء انعقد على غير التذكير بالله فهو عنده يبور وقديماً ما تمنى لي اخواني هذا المقعد ، وما امكنني الا في ظل سلطانك بخروجك من طبع الحرص وفرط الشره واطراحك ما كان يلهج به غيرك من ملوك وسوقة عتوا فيما [جرت به] المقادير قدرها الله فانقرضوا ، وأضحت ديارهم عافية ، ومساكنهم خاوية ، لا يقترفون سيئة ، ولا يعتذرون من أخرى سلفت ، ولا يزيدون في حسنة ، قد غلقت رهون أكثرهم ، ووجبت شقوتهم ، وانقطع من الفرج رجاؤهم ، وإنما ينتظر بهم لحاق هذا الخلق ، عتوا قليلا ، وشقوا طويلا ، وأضحوا موعوظاً بهم وأدبا لغيرهم بحجة الله عليهم . قال النبي ﷺ : « السعيد من وعظ بغيره » . وكان أبو الدرداء يكثر بأن يقول : ياأهل الشأم :مالي أراكم تجمعون مالاتأكلون ، وتبنون مالا تسكنون ألا ان عاداً اعطيت انعاما وماشية ومد لها ما بين صنعاء الى الشأم فمن يشترى ذلك اليوم مني بربع دينار .

واعلم ياأمير المؤمنين :ان الناس انما يرهبون يوم القيامة من احدى ثلاث ليست هناك رابعة: نقصة عملوها ، وسهوة ارتكبوها ، أو شبهة في الدين انتحلوها ، والداء الأعظم الشبهة هي التي يظن صاحبها الحق باطلا ، والباطل حقاً فهو كمخطىء الطريق اذا ركض ازداد من الطريق بعداً .

وذكر عبيد الله بن عبدالله بن الحسن بن جعفر الحسنى قال: تذاكروا الشجاعة يوما فى مجلس المأمون ، وذكروا الفرسان والأبطال فقال المأمون : لم يكن فى الاسلام بعد على بن ابى طالب صلوات الله عليه ، والزبير بن العوام اهل بيت شهرتهم الشجاعة كالمهلب بن ابى صفرة وآله . ولقد حدثت عن داود بن المساور العبدى قال : لما دخلنا على يزيد بن المهلب حين ظفر بعدى بن أرطاة وغلب على البصرة قال : بينا نحن عنده اذ أتاه رجل من العرب فقال : أصلح الله الأمير إنى — جعلنى الله فداك — جعلت على نذراً إن أرانى الله وجهك فى هذا القصر أميراً أن أقبل رأسك. فقال يزيد : فما للرجل والنذور فى القبل ؟ لله در عسكرين كنا فى احدهما والأزارقة فى الآخر ما كان أبعدهم أن يكون نذورهم مثل نذرك. ياشيخ : لقد رأيتنى يوما وأنا واقف بين الحريش بن هلال السعدى وبين مولى له اذ خرج ثلاثة نفر من صف الخوارج فشدوا على صفنا فخرقوه حتى وصلوا الى عسكرنا ففعلوا ما أرادوا ثم رجعوا سالمين وأحدهم آخذ بسنان رمحه يجره فى الأرض وهو يقول :—

وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نُعَوِّدُ خَيْلَنَا إِذَا ما التَقَيْنَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفِرَا
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحاً ولا مُسْتَنْكَراً أَنْ تُعَقَّرَا

فقلت عند ذلك ما رأيت كاليوم ثلاثة بلغوا من عسكر فيه من فى مثل عسكرنا ما بلغ هؤلاء فقال الحريش : فما يمنعك من مثلها أبا خالد ؟ فقلت : بمن ؟ فقال : بى وبك وبمولاى هذا وشددنا ثلاثة فصنعنا بصفهم كما صنعوا بصفنا ثم خرج الحريش وأخذ بزج رمحه يجره وهو يقول : —

حَتَّى خَرَجْنَ بِنَا مِنْ تَحْتِ كَوْكَبِهِمْ حُمْراً مِنَ الطَّعْنِ أَعْنَاقاً وأَكْفَالا
تِلْكَ المَكَارِمُ لاقَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالا

فمثل هذا فافعلوا وانذروا ولا تنذروا نذر العجائز والضعاف . ثم قال : ادن ياشيخ فأوف بنذرك فدنا فقبل رأسه .

حدثني: رجل من أصحاب المأمون قال : سمعت ابراهيم بن رشيد قال: حدثني من سمع المأمون يقول : الإرجاء دين الملوك .

حدثني محمد بن عبدالله قال : دخل ابو عمر الخطابي على المأمون فتذاكروا عمر ابن الخطاب رحمه الله فقال المأمون : إلا أنه غصبنا . فقال له أبو عمر ياأمير المؤمنين : يكون الغصب إلا بحق يد فهل كانت لكم يد ؟ .قال . فسكت المأمون عنه واحتملها له .

قال: وأصيب المأمون بابنة له كان يجد بها وجداً شديداً فجلس للناس وامر أن يؤذن لمن دخل فدخل عليه العباس بن الحسن العلوى فقال له ياأمير المؤمنين: انا لم نأتك معزين ولكن اتيناك مقتدين . ودخل العباس بن الحسن على المأمون فقال ياأمير المؤمنين : إن لساني ينطلق بمدحك غايباً ، واحب أن يتزيد عندك حاضراً أفتأذن فأقول ؟ قال : قل فإنك تقول فتحسن ، وتشهد فتزين ، وتغيب فتؤتمن . فقال ياأمير المؤمنين : ما اقول بعد هذا ؟ لقد بلغت من مدحي مالا أبلغه من مدحك .

وقال احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن داود : دخل ابي على المأمون فكلمه بكلام كثير ثم حصر فسكت عنه المأمون ليسكن فلما سكن عاد الى الكلام فقال ياأمير المؤمنين : هذا مقام لا يعاب احد بالتقصير فيه عما يستحق أمير المؤمنين من الثناء عليه والدعاء له يدخله من هيبة أمير المؤمنين وإجلاله .قال:صدقت ياابراهيم

وقال احمد بن ابراهيم : قال جدي اسماعيل بن داود للمأمون وذكروا المساوى والمحاسن فى مجلسه :ما من كريم إلا وفيه خصلة تعفى على مساويه ،ولا من سفلة إلا وفيه خصلة تعفى على محاسن ان كانت فيه . فقال : صدقت يااسماعيل .

قال: وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي : بلغني ان فيك سرفاً .فقال ياأمير المؤمنين: إن من منع الموجود متوطن بالله، وإني لاهم بالإمساك فاذكر قول أشجع السلمي لجعفر بن يحيي :

يُحِبُّ الْمُلُوكُ نَدَى جَعْفَر ... وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِى الْغِنَى ... وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ
وَكَيْفَ يَنَالُونَ غَايَاتِه ... وَهُمْ يَجْمَعُونَ وَلَا يَجْمَعُ

وكيف السبيل الى الإمساك يا أمير المؤمنين بعد قول صالح المرى : لا تنال كثيراً مما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره ، ولا تنجو مما تكره حتى تصبر على كثير مما تحب . قال : فأمر له المأمون بمائة الف درهم وقال : استعن بها على مروتك .

قال : وسأل موبذ موبذان فقال له : ما ثمرة العقل . قال : ثماره الكريمة كثيرة منها : احراز المرء نصيبه من الشكر ، وأن تتم نيته فى الحرص على مكافأة كل ذى نعمة ويبلغ من ذلك بالفعل غاية القدرة .

ومنها : أن لا يسكن الى الدنيا على حال ، ولا يطيعها فى التفريط فى الاستعداد.

ومنها : أن لا يدع السرور ، ولا يتعرض لزوال النعمة .

ومنها : ألا يعمل عملاً فى غير موضعه ، ولا يغفله فى موضعه الا بعد النظر والتثبت .

ومنها : ألا تبطره السراء ولا يشتكى الضراء .

ومنها : أن يسير ما بينه وبين صديقه سيرة لا يتجاوز معها طعن حاكم، ويسير ما بينه وبين عدوه رفقاً يشركهم به فى حسناتهم.

ومنها : أن لا يبدأ أحداً بأذى ، واذا أوذى لم يتجاوز فى الانتقام حد العدل

ومنها : أن يكون الهوى مع الحق حيث كان .

ومنها : أن لا يفرحه مدح المادح بما ليس فيه ، ولا يحمل عيب من عابه بما هو منه برىء .

ومنها : أن لا يعمل عملا يكتسب منه ندما .

ومنها : احتمال نصب البر وسخاء النفس عن كل لذة .

قال اليزيدى : قال المأمون يوما فى مجلس وعنده جماعة من قريش : أيكم يحفظ أبيات عبدالله بن الزبعرى التى يعتذر فيها الى رسول الله صلى الله ﷺ ؟ فقال مصعب ابن عبد الله الزبيرى : أنا يا أمير المؤمنين . قال : فأنشدنا . فأنشد : ـ

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلَابِلٌ وَهُمُومُ ... وَاللَّيلُ مُعْتَلِجُ الرواق بَهِيمُ
مِمَّا أَتَانِى أَنَّ أَحْمَدَ لَامَنِى ... فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِى مَحْمُومُ
يَاخَيرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا ... عَيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ رَسُومُ
إنى لُمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِى ... أَنْشَأْتُ إِذْ أَنَا فِى البِلَادِ أَهِيمُ
أَيَّامَ يَأْمُرُنِى بِأَغْوَى خُطَّةٍ ... سَهْمٌ وَيَأْمُرُنِى بِهِ مَخْزُومُ
وأَقُودُ أَسْبَابَ الرَّدى وَيَقُودُنِى ... أَمْرُ الغُوَاةِ وأَمْرُهُم مَبْرُومُ
فَالْيَوْمَ آنَسَ بِالنَّبِى مُحَمَّدٍ ... قَلْبِى وَمُخْطِىءُ هذه مَحْرُومُ
فَاغْفِرْ فِدًا لَكَ والدَاىَ كِلَاهُمَا ... ذَنْبِى فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ المَلِيكِ عَلَامَةٌ ... نُورٌ أَغَرُّ وَخَاتَمٌ مَخْتُومُ
أَعْطَى الإِلهُ نَبِيَّهُ بُرْهَانَهُ ... شَرَفًا وَبُرْهَانُ الإِلهِ عَظِيمُ
قَرْمٌ عَلَى تبيانه مِنْ هَاشِمٍ ... فَرْعٌ تَمَكَّنَ فِى الذُّرَى وأُرُومُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ ... حَقٌّ وأَنَّكَ فِى الأَنَامِ عَظِيمُ(١)
واللهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى ... مُتَقَبَّلٌ فِى الصَّالِحِينَ عَظِيمُ
مَضَتِ العَدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا ... وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وحُلُومُ

قال : فأمر المأمون لمصعب بثلاثين الف درهم وقال : ليكن القرشى مثلك .

قال : وقال المأمون للعباس يوماً وهو يعظه : ينبغى يابنى لمن اسبغ الله عليه

---

(١) كذا فى الأصل بتكرار هذا اللفظ

نعمه ، وشركه فى ملكه وسلطانه ، وبسط له فى القدرة أن ينافس فى الخير عما يبقى ذكره ، ويحب أجره ، ويرجى ثوابه وان يجعل همته فى عدل ينشره ، أو جور يدفنه ، وسنة صالحة يحيها ، أو بدعة يميتها ، أو مكرمة يعتقدها ،أوصنيعة يسديها او يد يودعها ويوليها ، ، أو أثر محمود يتبعه .

قال : كان المأمون قد هم بلعن معاوية ، وأن يكتب بذلك كتابا يقرأ يوم الدار، وجفل الناس ففتاه عن ذلك يحي بن اكثم وقال: ياأمير المؤمنين :ان العامة لا تحتمل هذا وسيما اهل خراسان ولا تأمن أن تكون لهم نفرة ، وان كانت لم تدر ما عاقبتها والرأى ان تدع الناس على ما هم عليه ، ولا تظهر لهم انك تميل الى فرقة من الفرق فان ذلك اصلح فى السياسة وأحرى فى التدبير . قال : فركن المأمون الى قوله فلما دخلت عليه قال ياثمامة : قد علمت ما كنا دبرناه فى معاوية وقد عارضنا رأى هو اصلح فى تدبير المملكة وابقى ذكراً فى العامة ثم اخبره ان ابن اكثم خوفه اياها، وأخبره بنفورها عن هذا الرأى . فقال ثمامة: ياأمير المؤمنين والعامة فى هذا الموضع الذى وضعها به يحي . والله لو وجهت انسانا على عاتقه سواد ومعه عصا لساق اليك بعصاه عشرين الفا منها ، والله ياأمير المؤمنين : ما رضى الله جل ثناءه أن سواها بالأنعام حتى جعلها اضل منها سبيلا فقال تبارك وتعالى : (أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا [1]) والله ياأمير المؤمنين :لقد مررت مذ ايام فى شارع الخلد وانا اريد الدار فإذا انسان قد بسط كساءه وألقى عليه ادوية وهو قائم ينادى عليها هذا الدواء لبياض العين ، والغشاء، والغشاوة، والظلمة ، وضعف البصر وإن احدى عينيه لمطموسة وفى الأخرى مؤسى له والناس قد انثالوا عليه واجفلوا اليه يستوصفونه فنزلت عن دابتى ناحية ودخلت فى غمار تلك الجماعة فقلت : ياهذا : أرى عينك أحوج هذه الأعين الى العلاج ، وأنت تصف هذا الدواء وتخبر أنه شفاء لوجع العين فلم لا تستعمله ؟ : فقال : أنا فى هذا الموضع منذ عشر سنين ما مر بى شيخ

(١) الفرقان ٤٦

اجهل منك . قال : فقلت وكيف ذاك ؟ . قال ياجاهل : اين اشتكت عيني ؟. قلت: لا ادرى . قال : بمصر . قال : فاقبلت على تلك الجماعة فقالوا : صدق الرجل انت جاهل وهموا بي . قال : فقلت لا والله ما علمت ان عينه اشتكت بمصر . قال : فما تخلصت منهم إلا بهذه الحجة . فضحك المأمون وقال : ما القيت منك العامة . قال الذى لقيت من الله من سوء الثناء وقبح الذكر اكثر ، قال : اجل .

ذكر حلم المأمون
ومحاسن افعاله ومكارم أخلاقه

قال ابن أبي طاهر : بلغني أن المأمون قال : إنى لألذ الحلم حتى أحسبني لا أوجر عليه . وقال قاسم التمار :قال المأمون : ليس على في الحلم مؤونة ولوددت أن أهل الجرائم علموا رأيي في العفو فذهب عنهم الخوف فتخلص لي قلوبهم .

وقال جعفر ابن أخت العباس وذكر حلم المأمون فقال : لحلمه والله ارجح من حلوم الف كلهم حليم ليس فيهم ملك ولا خليفة ثم انشأ يحدثنا فقال : دخلت عليه امس واذا يده معلقة من شيء رطب اكله قد مسته النار وهو يصيح ياغلام وكلهم يسمع صوته فما منهم أحد يجيبه فخرجت اليهم وأنا أفور غضبا فإذا بعضهم يلعب بالكعاب ، وبعض يلعب بالشطرنج ، وبعض يحارش بين الديوك . فقلت يابنى الفواعل : اما تسمعون أمير المؤمنين يدعوكم ؟ فقال واحد:حتى أقيس هذا الكعب وأجيء ، :وقال الآخر قد بقيت لى على هذا ضربة ، وقال آخر : اذهب فإني اتبعك . فما علمت ما كنت أخاطب به من الغيظ والحنق عليهم . قال : فاذا المأمون قد صوت بي وانا اقذف امهاتهم فاتيته وهو يضحك فقال:ارفق بهم فانهم بشر مثلك قال قلت : والعق أنت يدك . فضحك وقال . هذا معاشرتك خدمك ؟ قال قلت : والله لو فعل بي ابنى هذا دون خدمى لقتلته . قال : هذه اخلاق السوقة وأخلاقنا اخلاق الملوك . قال قلت : لا والله ماهذه اخلاق الملوك ولا اخلاق الأنبياء أيضا .

حدثني هارون بن مسلم . قال : حدثتني شكر مولاة ام جعفر بنت جعفر بن المنصور قالت : سمعت المأمون أمير المؤمنين وكانت عنده أم جعفر فدعا بمقاريض قالت : أو بمقراض قال : فقال الغلام : قد ذُهب بالمقاريض الى الشماسية . ثم قال ياغلام : بل لنا الخيش فوق . فقال الغلام : لا . قال : يبل . فقالت ام جعفر : سبحان الله ياأمير المؤمنين ما هذا ؟ . وأنكرت أن يكون سأل عن شيئين فلم يعملا . فقال المأمون : من قدرت على عقوبته لسوء فعله، وقبيح جرمه فقدرتك عليه كافيتك نصراً لك منه ولا معنى لعقوبة بعدقدرة ، الحلم عن الذنب ابلغ من الأخذ به .

قال : وكان للمأمون خادم يتولى وضوءه فكان يسرق طساسه[1] فبلغ ذلك المامون فعاتبه ثم قال له يوما وهو يوضيه ويحك لم تسرق هذه الطست ، لو كنت اذا سرقتها اتيتنى بها اشتريتها منك . قال : فاشتر هذا الذى بين يديك. قال : بكم ؟ . قال : بدينارين . قال المأمون : اعطوه دينارين . قال : هذا الآن فى الأمان ؟ . قال : نعم .

قال احمد بن ابى طاهر انشد الحسن بن رجاء لنفسه يصف حلم المامون وعفوه :—

صَفُوحٌ عَن الاجْرام حَتّى كَأنّهُ ... منَ العَفْو لم يَعرف منَ النّاس مُجْرِمَا
وَلَيْس يُبَالى أنْ يَكون به الأذَى ... إذَامَا الأذَى لَمْ يغْشَ بالكُرْه مُسْلما

وأنشد لآخر فيه : —

أميرَ المُؤمنينَ عفَوتَ حَتّى ... كأنّ النّاسَ لَيس لَهُمْ ذُنُوبُ

قال رزقان : قال بشر بن الوليد للمأمون : إن بشراً المريسى يشتمك، ويعرض بك ، ويزرى عليك ، قال فما أصنع به ؟ ثم دس المأمون اليه رجلا فحضر مجلسه

---

(١) الطساس جمع طست كسهم وسهام ، وأصل التاء سين .

وتسمع ما يقول فأتاه الرجل يوما فقال : سمعته يقول حين اراد القيام وفرغ من الـكلام بعد حمد الله والثناء عليه : اللهم العن الظلمة ، وأبناء الظلمة من آل مروان ومن سخطت عليه ممن آثر هواه على كتابك وسنة نبيـك ﷺ . اللهم وصاحب البرذون الأشهب فالعنه . فقال المأمون : أنا صاحب البرذون الأشهب وسـكت عليها . فلما دخل عليه بشر قال له بعد أن ساء له : يااباعبـد الرحمن متى عهـدك بلعن صاحب الأشهب ؟ فطأطأ بشر رأسه ثم لم يعد بعد ذلك إلى ذكـره ولا التعرض به .

قال العتبي : جاءني رجل من اصحاب الصنعة فقال اذكرني لأمير المؤمنين فانى احل الطلق بين يديه في يوم وبعض آخر . فقلت ياهذا : اربح العناء واجلس فى بيتك ولا تعرض لأمير المؤمنـين من نفسك . قال فالحـل عليـه حرام ، وماله صدقة ، وكل مملوك له حر إن كان كذبك فيما قال . ثم قال وأخرى والله ماآخذ منكم شيئاً عاجلا ، وقد ادعيت امراً فامتحنونى فيه فإن جاء كما ادعيت كان الأمر فى اليـكم ، وإن وقع بخلاف ذلك انصرفت الى منزلى . فاخبرت المأمون بها .قال: فتمثل بيت الفرزدق : —

وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَيْتُ كَاسِرَ عَيْنِه زِيَاداً فَلَمْ يَقْدرْ عَلَىَّ حَبَائِلُهْ

ثم قال : لعـل هذا اراد أن يصل الينا فاحتال بهذه الحيـلة ؛ وليس الرأى ان يعرض علينا احد علماً فنظهر الزهد فيه فأحضره . قال : فجئت بالرجل وقعـد له المأمون وأحضرت اداة العمل . قال : فاذا هو بحل الطلق اجهل منى بما فى السماء السابعة . فنظر الى المأمون وقال : ألم تزعم أنه قد حلف لك بالطلاق ، والعتاق ، وصدقة ما يملك ، قلت . بلى . قال : قد حنث . فقلت للرجل والمـأمون يسمع : ألم تحلف بالطلاق ؟ قال : ليست لى امرأة ، قلت : فالعتاق ؟ . قال : ومالى مملوك قلت : فصدقة ما تملك ؟ . قال : ما املك خيطاً ومخيطا .قلت كذب ياأمير المؤمنين

معه دابة وله غلام . قال : هذا عارية . فتبسم المأمون وقال : هذا بحل الدراهم اعلم منه بحل الطلق . ثم امر أن يعطى خمسة الف درهم فلما خرج قال للعتبي :رده.فرده وقال : زيدوه مثلها فليس يجد فى كل وقت من يحترق عليه . فقال الرجل : ياأمير المؤمنين عندى باب من الحلان ليس فى الدنيا مثله . قال احمله على هذه الدراهم فان كنت صادقا صرت ملكا .

قال بعض القحاطبة وذكر المأمون فقال : ولى صاحبنا قحطبة بن الحسن همذان ، واعمالا من اعمال الجبل فدق عليه خراجه فحبسه به فكان اذا جاءه المستخرج لحمله على أداء ما احتجن قام فصلى فلا يزال راكعاً وساجداً حتى ينصرف ويتركه فأخبر بذلك المأمون . فقال : قولوا له : يقول لك أمير المؤمنين هذه النوافل لا يقبلها الله حتى تؤدى الفرائض احمل الينا مالنا قبلك فكان لا يزيدهم على الصلاة فلما كشف على المأمون ذلك وقع يطلق قحطبة ويسوغ ما صار اليه ولا يستعان به الا أن يترك التسبيح وصلاة الضحى والنوافل ظاهراً .

حدثونى عن ابراهيم بن المهدى قال : قال المأمون يوما وفى مجلسه جماعة :هاتوا من فى عسكرنا من يطلب ما عندنا بالرياء . قال : فقال كل واحد بما عنده ، اما أن يقول فى عدو بما يقدح فيه أو يقول بما يعلم أنه يسر خليفته . فلما قالوا ذلك قال : ما أرى عند احد منكم ما يبلغ إرادتى ثم انشأ يحدث عن اهل عسكره اهل الرياء حتى والله لو كان قد اقام فى رجل كل واحد منهم حولا محرماً ما زاد على معرفته . قال : فكان مما حفظت عنه فى ثلب اصحابه أن قال حين ذكر اهل الرياء وما يعاملون به الناس : تسبيح حميد الطوسى ، وصلاة قحطبة ، وصيام النوشجانى ، ووضوء المريسى ، وبناء مالك بن شاهى المساجد ، وبكاء ابراهيم بن بريهة على المنبر ، وجمع الحسن بن قريش اليتامى ، وقصص منجا ، وصدقة على بن الجنيد ، وحملان اسحاق بن ابراهيم فى السبيل ، وصلاه ابى رجاء الضحى ، وجمع على بن هشام القصاص . قال : حتى عددنا جماعة كثيرة . فقال لى رجل من عظماء

العسكر حين خرجنا من الدار باالله هل رأيت أو سمعت بملك قط أعلم برعيته ولا اشد تنقيراً من هذا ؟ قلت : اللهم لا . فحدثت بهذا الحديث رجلا من اصحاب الأخبار والعلم فقال : وما نصنع بهذا قد شهدت رسالته الى اسحاق بن ابراهيم فى الفقهاء يخبر بمعائبهم رجلاً رجلاً حتى لهو بها اعلم منهم بما فى منازلهم .

قال : وقعد المأمون يوماً للظالم فقدم سلم صاحب الحوائج بضعة عشر رجلافنظر فى مظالمهم وامر فقضى حوائجهم وكان فيهم نصرانى من اهل كشكر كان قد صاح بالمأمون غير مرة وقعد له فى طريقه فلما بصر به المأمون اثبته معرفة فقال ابطحوه : فضربه عشرين درة ثم قال لسلم قل له : تعود تصيح بى؟ فقال له سلم وهو مبطوح فقال النصرانى قل له : اعود ، وأعود ، وأعود، حتى تنظر فى حاجتى فابلغه سلم ما قال . فقال : هذا مظلوم موطن نفسه على القتل أو قضاء حاجته ، ثم قال لأبى عباد : اقض حاجة هذا كائنا ما كانت الساعة .

حدثنى بعض اصحابنا قال : شهدت المأمون وقد ركب بالشماسية وخلف ظهره احمد بن هشام فصاح به رجل من اهل فارس . الله . الله ياأمير المؤمنين فإن احمد بن هشام ظلمنى واعتدى على . فقال : كن بالباب حتى أرجع ، ثم مضى فلما جاز الموضع بعدوة التفت الى احمد فقال : ما اقبح بنا وبك أن تقف وصاحبك هذا على رؤوس هذه الجماعة وتقعد فى مجلس خصمك ، ويسمع منه كما يسمع منك ثم تكون محقاً أم تكون مبطلا فكيف إن كنت فى صفته لك ، فوجه اليه من يحوله من بابنا الى رحلك وأنصفه من نفسك ، وأعطه ما أنفق فى طريقه الينا ، ولا تجعل لنا ذريعة الى ما تكره من لائمتك فوالله لو ظلمت العباس ابنى كنت أقل نكيراً عليك من أن تظلم ضعيفاً لا يجدنى فى كل وقت، ولا بجلواً له وجهى وسنيا من تجشم السفر البعيد وكابد حر الهواجر وطول المسافة . قال : فوجه اليه احمد فجاء به وكتب الى عامله يرد عليه ما اخذ منه ويشتمه ويعنفه ووصل الرجل بأربعة الف درهم وأمره بالخروج من يومه .

حدثنى ابو زيد الحكم بن موسى بن الحسن قال : شهدت ابى وقف للمأمون فى مربعة الحرشى وكان يتظلم اليه من محمد بن ابى العباس الطوسى فلما اقبل المأمون من داره يريد الشماسية فصار الى المربعة عند الربع نزل ابو الحسين يعنى اباه ونظر اليه المأمون فأقبل عليه فقال له : —

دَعَوتَ حَرَّانَ مَظلُوما ليأتيكُمْ   فقَدْ أتاكَ غَرِيبُ الدَّارِ مَظْلُومُ

فوقف المأمون عليه فقال : ممن تتظلم ؟ . قال : من محمد بن ابى العباس الطوسى . قال ياعمرو : انظر فى حاجة الشيخ وأنصفه وأعلمنى ما يكون ، ثم أوما الى الشيخ أن اركب فركب وجاز المأمون فوقف الناس ينظرون الى ابى الحسين يعجبون منه ومن اقدامه ومن اكرام الخليفة له .

قال : قال قثم بن جعفر : قال المأمون فى يوم خميس وقد حضر الناس الدار لعلى ابن صالح : ادع اسماعيل . قال : فخرج فأدخل اسماعيل بن جعفر . وأراد المأمون اسماعيل بن موسى فلما بصر به من بعيد وكان اشد الناس له بغضاً رفع يديه مادهما الى السماء ثم قال : « اللهم أبدلنى من ابن صالح مطيعاً فإنه لصداقته لهذا آثر هواه على هواى » . قال : فلما دنا اسماعيل بن جعفر سلم فرد عليه ثم دنا فقبل يده فقال : هات حوائجك . قال : ضيعتى بالمغيثة غصبتها وقهرت عليها . قال : تأمر بردها عليك . ثم قال : حاجتك : قال : يأذن لى أمير المؤمنين فى الحج . قال : قد اذنا لك . ثم قال : حاجتك . قال : وقف ابى اخرج من يدى وصار الى قثم والقاسم ابنى جعفر . قال : فتريد ماذا ؟ . قال : يرد الى. قال : اما ما كان بمكننا من امرك فقد جدنا لك ، وأما وقف ابيك فذاك الى ورثته ومواليه فان رضوا بك والياً عليهم وقيما لهم رددناه اليك ، وإلا أقررناه فى يد من هو فى يده ثم خرج . فقال المأمون لعلى بن صالح : مالى ولك عافاك الله متى رأيتنى نشطت لإسماعيل بن جعفر وعنيت به وهو صاحبى بالأمس بالبصرة . قال : ذهب عن فكرى ياأمير المؤمنين . قال : صدقت . لعمرى ذهب عن فكرك ما كان يجب عليك حفظه ،

وحفظ فكرك ما كان يجب عليك ألا يخطر به . فأما اذ اخطأت فلا تعلم اسماعيل ما دار بيني وبينك في امره . فظن على أنه عنا بقوله هذا اسماعيل بن موسى فأخبر اسماعيل بن جعفر القصة حرفا . حرفا فاذاعها . وبلغ الخبر المأمون فقال : الحمدلله الذي وهب لي هذه الأخلاق التي اصبحت احتمل بها على بن صالح ، وابن عمران وابن الطوسى ، وحميد بن عبد الحميد ، ومنصور بن النعمان ، ورعامش .

قال : وبلغني ان المأمون قال لابي كامل الطباخ يوماً وعلى بن هشام عنده اتخذ لنا رؤوس حملان تكون غداءنا غداً . قال نعم ياأمير المؤمنين . وقال لعلى بن هشام : إن من آئن الرؤوس أن توكل في الشتاء خاصة ، وأن يبكر آكلها عليها ، وألا يخلط بها غيرها ، ولا يستعمل بحقبها الماء ، فصل الغداة وصر الينا . فلما صلى على جاء ودعا المأمون اباكامل فقال : احضر المائدة وقدم الرؤوس . فقال : إن آدم نسى فنسيت . فقال : خذ لنا الساعة من فرصة جعفر قدر باقلي يكون غداءنا منه وأحب أن لا تنسى .

قال : ودخل ابو طالب صاحب الطعام على المأمون وكان من استخف الناس واجهلهم فقال للمأمون :كان ابوك يابا صديقنا ، وكنا يابابجارة ، وأنت يابا لا تعرف حقنا ولا ترفع بنا رأساً ، ونحن يابا جيرانك ، وانت يابا لا تبعنا ونحن يابا نوفيك . قال : والمأمون يطرق مايرد عليه شيئا ولا يزيده على التبسم .

قال : وحدثني احمد بن الخليل . قال : حدثني القاسم بن محمد بن عباد . قال : حدثني ابي . قال : دخلت على المأمون وعليه مبطنة فيها رقاع وهو جالس على لبد في يده عود وهو يقلب جمراً بين يديه في كانون . قال : فبقيت انظر الى مبطنته . قال : ففطن لي . فقال : لعلك تنظر الى الرقاع التي في منطقتي يامحمد ؟ . قال : قلت نعم ياأمير المؤمنين قال : اما سمعت قول الشاعر : —

إِلْبَسْ جَدِيدَكَ إِنِّي لَابِسٌ خَلَقِي ... وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا يَلْبَسُ الْخَلَقَا

قال: قال : ورأيت المأمون فى الحلبة وجاء فرس لغيره سابقا فوثب اليه فضرب وجهه قال : فسمعت البحترى يقول له : يادغاء . يادغاء . يريد ياضغاء

ومن أخبار طاهر بن الحسين

قال احمد بن ابى طاهر : حدثنى ابو العباس محمد بن على بن طاهر قال حدثنى محمد بن عيسى الكاتب . قال : حدثنى عبدالله بن جعفر البغوى . قال : سمعت محمد بن يقطين بمرو وهو على حرس ذى اليمينين بخراسان يقول : ما اعجب اشياء حدثها الامير يعنى ذا اليمينين من توليته عيسى بن عبد الرحمن الحجابة وهو كاتب . وتوليته سعيد بن الجنيد ديوان الخراج وهو بستانى وبا داب البقر احذق منه بالكتابة ، وتوليته فلاناً وكان البغوى يكنى عنه

قال: ابو العباس محمد بن على وولى ابا زيد ديوان التوقيع والخاتم وهو لا يحسن من الكتابة قليلا ولا كثيراً . قال : فقلت له ياابا جعفر أحكى هذا للامير عنك ؟ . فقال : ماهو : ما هو شيء اقوله انا وحدى . فأكره أن يرجع اليه واحسبك قد سمعتَ ما سمعتُ. قلت : اجل . ولكن له عنك موقعه فأذن لى فى اخباره،

قال: وكان طاهر ذو اليمينين اذا تغدينا معه وخرج عن حد الجد بسطنا فى اخبار العامة وفيما يحسن من الهزل . فقلت له يوما بعقب ما سمعت من محمد: عندى اعز الله الامير حديث ظريف مما آثره عن بعض اولياء الأمير وخدمه . فقال :ما الحديث ، وعن من هو ؟ . فخبرته قال قل له: تزيد فيه وكما وليتك حرس خراسان وكان ابوك أبزاريا . ثم قال لى اخبرك بمعان فى هذه الاشياء: اما توليتى عيسى الحجابة فإنه رجل خراسانى الدار عراقى الاب له ظرف الكتاب ولباقتهم وذكاؤهم وفهمهم وموقعه منى الموقع الذى لا احتشمه فى كل حالاتى فاردت ان يكون بينى وبين الناس من يفهمنى ويفهم عنى ، ويخبرنى عن الوارد يأتى اذا ورد والداخل على اذا دخل بما اكتفى به عن بحث الرجل عن اسمه ونسبه وأصله . ويخبر الرجل بما يحب ان يلقانى به ويخاطبنى بما يضع عنى مؤونة العناء ، ولم أنتقصه عمله الذى هو فيه

فإنما كان توليتي اياه الحجابة عبثا ، ثم نقلته من عمل الى عمل فأما وقد زدته فليس بعيب عند من يفهم ويعرف حجتي قال : ثم قال لى خرجت من هذه الواحدة ؟. قلت : نعم اعز الله الامير .

قال: وأما توليتي سعيداً ديوان الخراج فإنه رجل لى به حرمة وخدمة فاردت أن أنوه باسمه عند من يعرفه وعرفني وأن أنفعه برزق هذا الديوان، وأحببت مع ذلك أن يعرف أمير المؤمنين اولا ، ثم موسى به خاقان ، ومحمد بن يزداد أني لم أفتقر اليهما حين قعد عنى موسى واستعفى محمد بن يزداد امير المؤمنين حين ضمه الى وأن يعلم الناس أني المتولى لأعمالى لا كتابي ، وان الدليل على ذلك أني وضعت فى ديوان الخراج حماراً هو عندهم كما وضعت لو ظننت أنه ينفذ له امر فى ديوان الخراج فى سحاءة ما أقررته ساعة ولكني جعلت الاسم لما وصفت ، ونصبت له خليفة يعاملني فى اخذه بخبر ذلك الديوان وشره . خرجت من هذه الثانية ؟ . قلت نعم : والله انهى الأمير وكان ذلك الرجل المنصوب لخلافة سعيد موسى بن الفضل .

قال: واما توليتي ابا زيد فرجل بيني وبينه إلف الصبى ، وانس الحداثة ، ولم أتسع له فى عاجل أيامى بكل ما أحب من خالص مالى فاحببت أن يكون اسمه بهذا الديوان الى ما أجرى له من مالى فتعجل نفعه ، وليس فى هذا الديوان كثير عمل فاخترته لئلا يظهر قلته فى الكتابة ، وأنا بعد من وراء أتصفح عمله وعمل غيره . خرجت من هذه ايضا ؟ . قلت : نعم والله أعز الله الأمير .

قال: واستحسنته فى كل ما اجاب منها . فقلت له : فأحدث بهذا عن الامير ؟ . قال : افعل وددت أن الناس كلهم عرفوا عذرى فيما آتى وأذر لتخف على المؤونة ويسلم صدرى للجميع .

قال وحدثني محمد بن عيسى قال : حدث احمد بن خالد بن حماد ، عن ابيه خالد ابن حماد قال : كان ذو اليمينين لما صار الى خراسان ولى العباس بن عبد الله

ابن حميد بن رزين سمرقند فتسخط ذلك ، وأراد ان يجمع له ماوراء النهر كلهـــا فاستعفى فوجد عليه ذو اليمنيين من ذلك فطلب إرضاءه فتحسر عليه وكان ممن رام ذلك من قبله خالد بن حماد فلم يجبه فصار العباس بعد اشهر الى خالد يسأله الركوب فى أمره قال له خالد : ما كنت لأعاوده فى شيء ردنى عنه ،ولا اعلمه انه ردنى منذ قدم فى خراسان فى حاجة . فقال له العبـاس : لست أسـألك كلامه ولـكنى أسأل أن تحضر إيصال سعيد بن الجنيد رقعة لى فإن وجدت مقالا قلت قال : اما هذا فلا امتنع منه عليك .

قال خالد : فصرت الى ذى اليمينين وكنت أتحرى أن يـكون حضورى فى آخـر مجلسه لانه كان يشتغل بى اذا دخلت عليه ، ويوجب لى ما كان يوجب ظاهراً من ايجابه ، وكان لا يستأذن لى عليه لبروزه أبداً .فدخلت فألفيته قد استلقى معتمداً على يديه ولما تمـكن الأرض من ظهره فانتصب حين سمع الوطىء حتى فهمنى ثم عاد الى حالته الأولى . فلما دنوت من البساط استوى جالساً فرد ورحب كما كان يفعل ، واستدنانى الى حيث كنت أجلس فسأل بى وسألنى وقال : وقفت على معناى فى الانتصاب ، ثم عودى الى حالى والاعتماد على يدى ؟ قلت :نعم أعز الله الامير : اردت أن تعلمنى انك لم تحتشمنى . قال : اجل . قال : خـذوا ما بين أيدينا من الـكتب والدواة وهاتوا الطعام . وقل ما كنت اصير اليـه الا حبسنى فتغديت عنده . فلما بلغ سعيداً حضورى عنده ودعاءه بالطعام دخل ودنا وأظهر من طرف كمه رقعة . فقال له ذو اليمينين ما هذه معك ؟ . وكان كثيراً ما يفعـل ذلك . قال : رقعة للعباس بن عبدالله بن حميد بن رزين . قال : أتنكر بعد انشراح وطيب نفس معى أو سعتها رأيا ، واحسن بها كذا من نفسك لا يـكنى عن السوءة مفصحاً بها . فتراجع سعيد وخرج وأوتينا بالمـائدة ودخـل من كانت له نوبة فى مؤاكلته فى ذلك اليوم ، وكـذلك كان اصحابه الذين يأكلون معـه مؤاكلتهم اياه نوائب بينهم ، وكان اذا بلغهم أنه قد دعا بالمائدة دخل من كانت له نوبة وانصرف

الباقون لا يحتاج من كانت نوبته الى أن يدعى ، الا أن يشتهى ذوالبمينين أن يدعو رجلا فى غير نوبته فيدعو به فلما اخذنا فى الاكل لم يرنى أنبسط فى الحديث كما كنت أفعل ، أو كما كان يريده من جميع مؤاكلته من الانشراح وترك الانقباض واستطابة الطيب فقال لى ياابا الهيثم : أحسبك انكرت ما اجبت به سعيداً ؟ .قال قلت : إى والله اصلح الله الأمير ولوددت انى لم اكن حضرت هذا اليوم . فقال لى ياابا الهيثم : انى منيت بأمر عظيم ، ووقفت بين خطتين صعبتين خرجت من خراسان وانا رجل من اهلها إن لم اكن من ارفعهم قدراً فلم اكن من أوضعهم حالا وليس بخراسان اهل بيت من أهل بيوتاتها ، ولا اهل نعمة الا وبيننا وبينهم معاشرة ومخاتنة أو مصاهرة ، أو مجاورة فهذا توسطنا بين القوم ومن كان هذا موقعه لم يخل من صديق ، وعدو ، وولى ، وحاسد ثم ندبت لهذا الوجه فخشى الوالى أن لا أفى له فاغتم وساءه ، ورأى ما كنت فيه بين اظهرهم وتحرك من اسمى بينهم ما كان كافياً لى ولهم فى يومهم ، وسر العدو والحاسد ورجا ان يكون قصورى عن القيام بما اهيب بى اليه تسقطنى فخرجت على هذا الخطر العظيم فأعطى الله جل وعز اكثر من الأمنية وله الحمد .

ولم يكن لى غاية بعد ما منح الله واحسن إلا أن ارجع بنعمتى وجاهى وعزى الى بلدى ودارى ، واخوانى ، وجيرانى ومعارفى ليشركونى فى ذلك كما شركونى فى الاعتداد به وليغيظ العدو والحاسد من ذلك ما يغيظ . فلما ولانى أمير المؤمنين خراسان لم اضع ثيابى فى منزلى حيناً حتى ندمت وأظهرت ذلك لمن حضرنى ممن آنس به فى الإفضاء بمثل ذلك اليه ، وفكرت فيما يلزمنى من حق السلطان وحق الإخوان ومثلت فيما اوجب للصنفين فرأيت أنى إن وفرت على السلطان كل حقه اخللت بالإخوان ، واذا اخللت بهم وأخطأهم ما كانوا يقدرون قالوا : لا كان هذا ولا كان يومه الذى كنا نؤمله وتعلقت اطماعنا به ، وإن وفرت عليهم ما كانوا يقدرون فى انفسهم لم يجز ذلك فى التدبير وأخللت بالسلطان ولم يكن ذلك حقه

على ولم يتحمله لى ايضاً فما ظنك ياابا الهيثم بمن يريد أن يسقط بين هذين ما يلزمه لكل واحدمنهما كيف لاتكون حالته الا حالة صعبة . هذا العباس بن عبدالله بن حميد احد من لا ادفع اسبابه فان رزيناً وزريقاً قدما خراسان، فى وقت واحد ثم لم يزالا منذ ذلك على المودة والائتلاف ، وأورثنا ذلك اعقابهما الى يومنا هذا ، وليت العباس ما وليت فتسخط واراد اكثر مما سميت له وعمل على ما استوجبه فى نفسه بموالاته . ولم يجز فى التدبير الا ما فعلت فاحتاج الى أن يترضى ويطلب ما كان عنه غنياً لو نفذ لوجهه وطلب لكان ما يروم أسهل من أن يطلب . ما هذه الدالة والتحكم فى هذا الوقت .

قال : قلت : اصلح الله الامير اغتممت بعدوتى هذه وقد سررت بما سمعت من الامير ابقاه الله وأنا فى اذن أن احكيه . قال · شديداً ياابا الهيثم وأبدى من عندك بما رأيت ، وعلى حسب ما عرفت من معانى فيه فإنى احب أن تحدث به عنى وتقرره عند الجميع .

حدثنى عبدالله بن عمرو ، عن رجل من آل عيسى بن محمد بن ابى خالد ، عن عبدالله بن احمد قال : خرج مهزم بن الفرز مع طاهر بن الحسين الى خراسان فلما جاء الشتاء قسم طاهر الوبر على أصحابه وأغفل حظ مهزم فدخل مهزم اليه فقال ايها الامير : قلت بيتا . قال : انشده . فقال : —

كفى حَزَناً أَنَّ الفراءَ كثيرةٌ ... وأنّى بمرْو الشّاهجَان بِلاَ فَرْو

فقال لمن حضر : اجيبوا الرجل . فكأنه ارتج عليهم فقال مهزم : أنا أولى باجابة نفسى . قال : فافعل فقال : —

صَدَقْت لَعمْرى إنها لَكثيرَةٌ ... وَلَكنَّهَا عنْدَ الكرام أولى السّرْو

فَإِنْ كنْتَ عَبْدياً فَمَا بِكَ حَاجَة ... إِلَى لُبْس فَرْو فى الشْتَاءِ مَعَ الفَسْو

قال : فضحك طاهر منه وقال : اما لإن اغفلناك حتى حملناك على سوء القول

فى نفسك لنحسنن صفدك فأمر له بعشرة اثواب وبر بالخز والوشى فباع منها تسعا بتسعين الفاً وأمسك واحداً .

حدثنا يحيى بن الحسن قال . كان طاهرا يتمنى أن يخطب على منبر مرو فوليها سنة خمس وست ومأتين وخطب فى سنة سبع لم يصل بهم الا ذلك اليوم فانه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ولم يدع للمأمون وكان على البريد رجل يقال له كلثوم بن ثابت بن ابى سعد النخعى وهو مولى محمد بن عمران من فوق فولاه محمد بن عمران بريد خراسان قال : فقلت المأمون رجل كريم من قتل فى طاعته فكان له خلف يصلح للولاية ولاه ولى ابن وأخ . قال : فدخلت منزلى وعلمت انه يقتلنى فلبست ثياب الأكفان وتطيبت لذلك وخرطت الخريطة الى المأمون بالخلع وقد كتب هذا الخبر فى وقت موت طاهر على تمامه .

وقال احمد بن ابى طاهر كان طاهر بن الحسين بخراسان قبل أن يتحرك به الحال يتعشق جارية فى جيرانه يقال لها ديذا ، وكانت توصف بجمال عجيب وكان يختلف اليها فلما تحركت به الحال وصار الى مدينة السلام وقع فى سجنه جار لديذا بجرم خفيف وطال حبسه ولم يعرف احداً يشفع فيه فاحتال بمن يرفع رقعة لطيفة فوصلت له الى طاهر تخبره انه حبس بجرم يسير وليس له احد يسعى فى امره وتوسل اليه بجوار ديذا فلما قرأ طاهر الرقعة كتب فى ظهرها : —

وَياجَارَ ديذَا لاَ تَخَفْ سِجْنَ طَاهرٍ فَوَلِيكَ لَوْ تَدْرى عَلَيْكَ شَفيقُ
أياجَارَ ديذَا أنْتَ فِى سِجْنِ طَاهرٍ وَأنْتَ لديذا مَا عَلِمْتَ طَليقُ

ثم كتب فى اسفل البيتين يخلى سبيله ويعطى اربعة آلاف درهم وعليه لعنة الله فقد حرك منى ساكنا .

وحدثنى احمد بن محمد بن عبد الرحمن المهلبى قال : ديذا صناجة كانت بنيسابور بارعة فى صناعتها تنزل فى موضع يقال له دروان كوشه بنيسابور وفيها

يقول طاهر فى شعر له : ـ

فَيَالَيْتَ شِعْرِى هَلْ أبيتَنَّ بعدَهَا بِلَيْلَةِ مَسْرُور بحيثُ أُرِيدُ
وَهَلْ تَرْجعَنْ خَيْلِى إلَى رَبطَاتها وَبِجمعى وَالْمَازقين صَعيدُ
وَهَلْ عَرَفَتْ ديذَا مَقَامى وَمَوْقفى إذَا أُضْرِمَتْ نَارٌ وَلَيْسَ رقُودُ

قال : وكان كثيراً ما يحارب الشراة فى أول امره ويجمع لهم الجموع يدفعهم عن بلده بوشنج وغيرها .

قال ابو العباس محمد بن على بن طاهر : كانت ديذا الصناجة تنزل عند ميدان زياد وفى ديذا يقول طاهر بن الحسين : ـ

أما أنَى لك ديذَا أنْ تزورينى يَوماً إلى اللَّيلِ أو أن تَسْتَزِيرينى

حدثنى محمد بن العباس ثعلب الكاتب حاجب طاهر عن ابيه العباس قال: ارسل طاهر الى جارية له يعلمها انه يصير اليها فى يومه فأصلحت ما تريدان تصلحه ثم خرج يريدها فاعترضته فى قصره جارية اخرى فاجتذبته فدخل اليها واقام عندها باقى يومه فلما كان من الغد كتبت اليه الأولى : ـ

ألَا يَا أيُّهَـــا الْمَلِكُ الْهُمَامُ لأمْرِكَ طَاعَةٌ وَلَنَـــا ذِمامُ
خُلِقْنَا للزِّيارَةِ وَاغْتُفِلْنَـــا وَلَمْ يَكُ غَيْرُ ذَلِكَ والسَّلَامُ

وحدثنى ابو طالب الجعفرى قال : قال لى محمد بن عبدالله بن طاهر رأيت ذا اليمينين ؟ . قلت نعم أصلحك الله رأيته على اشهب هملاج مجدوف فأنكرت . هملاج مجدوف . فقال محمد بن عبدالله تدرى ما العلة فى ذلك ؟ قلت لا . قال :إن ذا اليمينين لما كان يحارب رافع وهذا من أسرار اخبارنا كان واقفا فى يوم نوبته على دابته فحرك الدابة ذنبه فالقا فى عينه الصحيحة طيناً من ذنبه فتنحى ناحية حتى اخرج ما فى عينه ثم رجع الى مقامه فجعل على نفسه ألا يركب إلا مجدوفاً .

قال ابو العباس محمد بن علي بن طاهر قال : كان اسد بن ابى الأسد ممن خرج مع جدى طاهر بن الحسين الى خراسان : فلما كان بمرو احتاج ان يوجه قوماً الى خوارزم ، وبخارى فسمى فيمن سمى مع القائد الذى يتوجه الى تلك الناحية فالتوى ورفع كتابا يشتط فى المسألة والأرزاق فوقع فى كتابه بيت :ـ

لَاتَكُونَنَّ جَاهِــلاً　　　أَنْتَ فِى البَعْثِ يَاأَسَدْ

فعاوده وضرب اصحابه حتى كاد ان يبطل امر القائد المتوجه الى الناحية فدعا به فقال له : لعلك تحسبك ببغداد تريد أن تفسد عملى فأمر فضربت عنقه بين يديه .

حدثنى محمد بن عبد الله بن طهمان قال : حدثنى محمد بن سعيد اخو غالب الصغدى قال : كان ابو عيسى وطاهر يتغديان مع المأمون فأخذ ابو عيسى هندباة فغمسها فى الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة فغضب طاهر وعظم ذلك عليه وقال : ياأمير المؤمنين : احدى عينى ذاهبة والاخرى على يدى عدل يعمل بى هذا بين يديك . فقال ياابا الطيب : إنه والله يعبث معى باكثر من هذا العبث . قال : وكان ابو عيسى عبيثا .

وذكر عن يحيى بن اكثم عن المأمون أنه كان يقول : ما حابى طاهر فى جميع ما كان فيه احداً ولا مالأ احداً ، ولا داهن ، ولا وهن ، ولاونى ، ولا قصر فى شيء ، وفعل فى جميع ما ركن اليه ووثق به فيه اكثر مماظن به وأمله، وانه لايعرف احداً من نصحاء الخلفاء وكفاتهم فيمن سلف عصره ومن بقى فى ايام دولته على مثل طريقته ، ومناصحته ، وغنائه ، واجرائه . قال : ثم كان يحلف على صدق ما يقول فى ذلك مجتهداً مؤكداً لليمين على نفسه .

قال : شكى منصور النمرى الى طاهر بن الحسين كلثوم بن عمرو العتابى فبعث طاهر الى العتابى وأخفى منصوراً فى مجلسه فسأل طاهر العتابى أن يصفح عن منصور فقال : اصلح الله الأمير إنه لا يستحق ذاك ، فدعا منصوراً فخرج اليه فقال له : ولم لا استحق ذاك منك ؟ . فقال له العتابى لأنى :ـ

أَصْحَبْتُكَ الْفَضْلَ إِذْ لاَ أَنْتَ مُعْرِبُه كلاَّ وَلاَ لَكَ فِي اسْتِصْحَابِهِ أَرَبُ
لَمْ تَرْتَبِطْكَ عَلَى وَصْلِي مُحَافَظَةٌ وَلاَ أَجَارَكَ مَا أَعْنِي(١) بِكَ الأَدَبُ
مَا مِنْ جَمِيلٍ وَلاَ عُرْفٍ نَطَقْتَ بِهِ إِلا إِلَيَّ وَإِنْ أَنْكَرْتَ تَنْتَسِبُ

فأصلح بينهما طاهر بن الحسين وأمر له بثلاثين الف درهم. قال: وكان منصور النمري ممن علمه العتابي الكلام

ومن كلام طاهر بن الحسين وتوقيعاته

قال احمد بن ابى طاهر: قال محمد بن عيسى المزوى: حدثنى ابو زيد محمد بن هانىء قال: كان ذو اليمينين طاهر بن الحسين يقول: لا تستعن باحد فى خاص عملك إلا من ترى أن نعمتك نعمته تزول عنه بزوالها عنك وتدوم عنده بدوامها لك. قال: ثم التفت الى ابى زيد أو الى من كان يحدثه فقال له: لا يكون هذا إلا عند من اكمله الله بالعقل ثم قال محمد بن هانىء مقرظاً لذى اليمينين: أو تعلم لما جعله بالعقل كاملا، قال محمد بن عيسى المزوى: فقلت له نعم. لأن الآداب والعلوم لو حويت لرجل ومنع العقل لكان منقوصاً مدخولا، ولو حرم الآداب وكان مطبوعا على العقل مركبا ذلك فيه كان تاماً كاملا يدبر به امر الدنيا والآخرة قال: صدقت

توقيع لذى اليمينين طاهر بن الحسين
الى يحيى بن حماد الكاتب النيسابورى

قلة نظرك لنفسك حرمتك سنى المنزلة، غفلتك عن حظك حطتك عن درجتك وجهلك بموضع النعمة أحل بك الغير والنقمة، وعماؤك عن سبيل الدعة أسلكك في طريق المشقة حتى صرت من قوة الأمل معتاضا شدة الوجل، ومن رجاء الغد معقباً بإياس الأبد، حتى ركبت مطية الخوف بعد مجلس الأمن والكرامة، وصرت موضعاً للرحمة بعد أن تكنفتك الغبطة على أني اري امثل أمريك أدعاهما للمكروه

(١) كذا في الأصل

اليك ، وانفع حالتيك اضيقهما متنفساً بقول القائل : ـ

إِذَا مَا بَدَأْتَ امْرءاً جَاهِلاً ... بِبِرٍّ فَقَصَّرَ عَنْ حَمْلِهِ
وَلَمْ تُلْفِهِ قَائِلاً بِالْجَمِيلِ ... وَلَا عَرَفَ الْعِزَّ مِنْ ذُلِّهِ
فَسُمْهُ الْهَوَانَ فَانَّ الْهَوَانَ ... دَوَاءٌ لِذِى الْجَهْلِ مِنْ جَهْلِهِ

وقد قرأت كتابك بأغراقك واطنابك فوجدت أرجاه عندك آيسه لك ، وأرقه فى نفسك أقساه لقلبي عليك ، ومن صافه ما اذهبت وخامره ما ذكرت ، خرس عن تشقيق وتزويق الكذب والآثام ، ولعمرى لولا تعلقك منى بحرمة المعاينة ، واتصالك منى بسبب المفاوضة ، وإنحائي بهما لمن نالهما بسط المنفعة ، وقبض الأذى والمعرة مع استدامتى النعمة بالعفو عن ذى الجريمة ، واستدعائى الزيادة بالتجاوز عن ذى الهفوة ، واستقالتى العثرة بإقالة الزلة لنالك من عقوبتى مايؤذيك ، ومسك من سطوتى ما ينهكك ، وبحسبك ما اجترمته لنفسك من العجز ذلا وجهلا ، وما اخلدت اليه من الخمول وضعاً ، وبما حرمته من الفضل عقوبة ونقصاً ، وفى كفاية الله غنى عنك ، وفى عادته الجميلة عوض منك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل اقوى معين وأهدى دليل .

وهذا نسخة كتاب يحي بن حماد الذى هذا التوقيع جواب عنه لماحبسه لتركه ما أراد أن يقلده من كتابته

«بسم الله الرحمن الرحيم : تمم الله للأمير السلامة ، وادم له الكرامة ، ووصل نعمه عليه بالزيادة ، وقوى احسانه اليه بالسعادة ، ضعف صبرى اعز الله الأمير عما أقاسي من ثقل الحديد ، ومكابدة الهموم ، ومصاحبة الوحشة فى دار الغربة عن انقطاع الأهل ، وتعقب الوحل ، واستخلاف البلاء من وثيق الرجاء وتذكرى ما افاتنى القضاء الماضى من راى الامير اعزه الله فىّ ، وموجدته على ، لقد تخوفت أن يسرع لزوم الفكرة إياى فى فسادى ، ويصير بى تمكن الهم الى تغير حالى ولولا ان سخط الامير ايده الله لا يصبر عليه ، ووجده لا يقام له لرأيت الامساك عن

ذكر أمرى وشكوى ما بى الى ان يستوى غيرما انا فيه لسرور ما كنت صرت اليه من اكرام الامير ايده الله وبره وتشريفه وتقريبه ، ولعمرى ان شديد ما اقاسى ولو دام حيناً من دهرى ليصغر عند لحظة لحظها الى بيره فضلا عن رأيه الذى جل عن قدرى ، وعجز عن احتماله شكرى ، وقد تبين للامير اعزه الله امرى ، وتحقيق شأنى ، فان كان ما انافيه للهفوة التى كانت منى ، والجناية التى جنيتها على نفسى بالجهل بصباى ، فقد وضع الله عن الصبي فرائضه علماً بحاله وكانت حالى فى الصباء قريبة من حاله ، والامير اعزه الله أولى من عطف فى ذات الله عن زلتى ، واحتسب الأجر فى اقالة عثرتى وهفوتى ؛ فإن راى الامير ابقاه الله أن يأمر بالدعاء بى واستماع منى فعل منعا ان شاءالله ».

قال: ووقع طاهر فى قصة رجل متظلم من اصحاب نصر بن شبث : طلبت الحق فى دار الباطل ـ . ووقع فى قصة قهرمان له شكا سوء معاملة : ـ اسمح يسمح لك ـ . قال : ووقع الى رجل يطلب قبالة بعض أعماله : ـ القبالة فساد ولو كانت صلاحا لم تكن لها موضعاً .

قال : ووقع الى السندى بن شاهك جواب كتابه اليه يسأله الامان :ـ عش مالم أرك ـ . ووقع الى خزيمة بن خازم فى كتابه اليه ـ . الاعمال بخواتيمها ، والصنيعة باستدامتها ، والى الغاية ما جرى الجواد يحمد السابق ويذم الساقط ـ . ووقع الى العباس ابن موسى استبطاءه فى خراج الكوفة : ـ

وَلَيْسَ أَخُو الحَاجَاتِ مَنْ بَاتَ سَاهِراً وَلَكِنْ أَخُوهَا مَنْ يَبِيتُ عَلَى وَجَلْ

ووقع فى قصة رجل شكا أن بعض قواده نزل فى دار له وفيها حرمه ـ . اذا رأيته فى ناحية دارك فقد حل لك قتله ـ . ووقع فى قصة رجل ذكر أن أخاه قتل فى طاعة المأمون ـ سالكٌ طاعة الله وهو ولى جزاءه ـ . ووقع فى قصة رجل ذكر أنه قتل فى يوم واحد عشرة من اصحاب المخلوع ـ لو كنت كما وصفت لم يخف علينا ما ذكرت ـ . ووقع فى قصة رجل ذكر أن منزله احرق بالنار ـ اخطاءك من قصدك ـ .

قال: ودخل على طاهر بن الحسين ذى اليمينين كاتب العباس بن موسى وكان ركيكا فقال : اخيك ابن موسى يقرئك السلام . قال : وما تلى من امره ؟ قال : أنا كاتبه الذى اطعمه الخبز فوقع ـ يعزل العباس بسوء اختياره للإكفاء ـ ووقع فى قصة رجل محبوس ـ يخرج ولا يحوج ـ ووقع فى قصة آخر ـ يطلق ويعتق ـ ووقع فى قصة مستمنح ـ يبل حاله ـ ووقع فى قصة مستوصل ـ يقام أوده ـ ووقع فى قصة مستجير ـ انا جاره ـ ووقع فى قصة مستأمن ـ يؤمن سربه ـ ووقع فى قصة قاتل ـ لا يؤخر قتله ـ ووقع فى قصة شاعر ـ يعجل ثوابه ـ ووقع فى قصة لص ـ ينفذ حكم الله فيه ـ ووقع فى قصة ساع ـ لا يلتفت اليه ـ ووقع فى قصة قوم شغبوا على عاملهم ـ الشغب للفرقة سبب ، فلتمح اسماؤهم، ويحسن آدابهم، ويقطع بالنفى آثارهم

ذكر وفاة طاهر بن الحسين

وولاية طلحة ابنه

قال ابو محمد مطهر بن طاهر : كانت وفاة ذى اليمينين من حمى وحرارة اصابته

وانه وجد ميتاً فى فراشه وقيل أن عميه على بن مصعب ، وأحمد بن مصعب صارا اليه يعودانه فسألا الخادم عن خبره وكان يغلس بصلاة الصبح فقال الخادم : هو نائم لم ينتبه فانتظراه ساعة . فلما انبسط الفجر وتأخر عن الحركة فى الوقت الذى كان يقوم فيه للصلاة انكرا ذلك . وقالا للخادم :ايقظه . فقال الخادم : لست اجسر على ذلك . فقالا له : طرق لنا ندخل عليه فدخلا فوجداه ملتفاً فى دواج قد ادخله تحته وشده عليه من عند رأسه ورجليه فحركاه فلم يتحرك فكشفا عن وجهه فوجداه قد مات ، ولم يعلما الوقت الذى توفى فيه ، ولا وقف احد من خدمه على وقت وفاته ، وسألا الخادم عن خبره ، وعن آخر ما وقف عليه منه فذكر : انه صلى المغرب ، والعشاء الآخرة ثم التف فى دواجه قال الخادم : وسمعته يقول بالفارسية كلاماً وهو : « در مرك نيز مردى بايد » تفسيره انه يحتاج فى الموت ايضاً الى الرجولة .

قال : وجاء نعي طاهر بن الحسين في سنة سبع ومائتين . فحدثني يحيى بن الحسن ابن عبد الخالق ، عن ابي زيد حماد بن الحسن ، قال: حدثني كلثوم بن ثابت ابن ابي سعد وكان يكنى ابا سعدة .قال : كنت على بريد خراسان ومجلسي يوم الجمعة في اصل المنبر . فلما كان في سنة سبع ومائتين بعد ولاية طاهر بسنتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما بلغ الى ذكر الخليفة امسك عن الدعاء له . وقال : اللهم اصلح امة محمد ﷺ بما اصلحت به اولياءك ، واكفها مؤونة من بغى فيها وحسد عليها من لم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين . قال : فقلت في نفسي انا اول مقتول لأني لا اكتم الخبر فانصرفت واغتسلت بغسل الموتى، واتزرت بازار ، ولبست قميصاً ، وارتديت رداء وطرحت السواد وكتبت الى المأمون.قال: فلما صليت العصر دعاني وحدث به حادث في جفن عينيه وفي مآقيه فسقط ميتاً . قال : فخرج طلحة بن طاهر فقال : ردوه . ردوه . وقد خرجت فردوني . فقال : هل كتبت بما كان ؟ . قلت : نعم . قال : فاكتب بوفاته واعطاني خمسمائة الف ومائتي ثوب فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بالجيش .

قال : فوردت الخريطة على المأمون بخلعه غدوة فدعى ابن ابي خالد فقال : اشخص فأت به كما زعمت وضمنت . قال : ابيت ليلتي . قال : لا لعمري لا تبيت الا على ظهر . فلم يزل يناشده حتى اذن له في المبيت ، ووافت الخريطة بموته ليلا فدعاه فقال له : قد مات فمن ترى ؟ قال : ابنه طلحة . قال : الصواب . فاكتب بتوليته . فكتب بذلك وأقام طلحة فيما ذكر لنا يحيى بن الحسن والياً على خراسان في ايام المأمون سبع سنين بعد موت طاهر ، ثم توفي وولي عبدالله بن طاهر خراسان وكان يتولى حرب بابك فاقام بالدينور ووجه الجيوش ووردت وفاة طلحة على المأمون فبعث الى عبدالله بن طاهر بيحيى بن اكثم يعزيه عن أخيه ويهنئه بولاية خراسان وولي علي بن هشام حرب بابك .

وحدثني يحيي بن الحسن قال : لما مات طاهر بن الحسين بخراسان كتم المأمون عبدالله بن طاهر موته قال : وكتب الى عبدالله مولى لهم كان أسلم على يد طاهر : ان أباك قد مات فتحرز . فكتب عبدالله الى المأمون يستعلمه موت طاهر . فكتب اليه المأمون : لم أستر عنك عليه إلا لأنى خشيت ان تضعف وانت فى وجه حرب فخفت عليك من الفكرة والتوانى وقد كان ذلك فرحمه الله . قال : وكتب اليه القواد والوجوه يعزونه وكتب اليه الفضل بن الربيع يعزيه وكتب : إن أمير المؤمنين ستر عنك موت ابيك خوف التوانى لجد فى الأمر الذى انت فيه ، متولياً له بما يرضيه ، وما تعلم به أنك قد قمت بالواجب وأثره أثراً تعجله فى الكلب الذى انت بإزائه وأصدقه فانى اعلم انك ستظفر به وأنا عارف بضعفه . قال:ابو زكريا : حدثنى يزيد بن عقال بذلك . قال وكتب اليه عبدالله يخبره بخبر نصر .

وحدثنى بعض الوجوه من اهل العسكر وأصحاب السلطان قال: أشهد انى كنت عند العباس ، وكان بى آنساً ، ولى مكرماً فحدثنى أنه شهد مجلس المأمون وقد أتاه نعى طاهر فقال . لليدين وللفم الحمد لله الذى قدمه وأخرنا ، ثم ذكر بعد ذلك كلاماً طويلا تركناه على عمد وإن كان من حسن ما الفنا من هذا الكتاب .

فأما أصحاب الأخبار والتاريخ فذكروا أن طاهراً لما مات بخراسان وثب الجند بها فانتهبوا بعض خزائنه وسلاحه ومتاعه فقام بأمرهم سلام الابرش الخصى وأعطاهم رزق ستة أشهر حتى رضوا وسكنوا ، وأن المأمون ولى عبدالله مكانه وكان مقيما بالرقة قد ولاه المأمون إياها وجمع له الشأم معها فبعث اليه بعهده على خراسان ، فضم اليه عمل ابيه فولى اخاه طلحة خراسان واستخلف بمدينة السلام اسحاق ابن ابراهيم وذكروا ان سعر الطعام كان فى سنة سبع ومائتين ببغداد، والكوفة، والبصرة غالياً وأن قفيز الحنطة بالهارونى بلغ اربعين درهما الى الخمسين بالقفيز الملجم .

وحدثنى القاسم بن سعيد الكاتب قال : لما توفى طاهر بن الحسين بخراسان وعبدالله بن طاهر فى وجه نصر بن شبث كتب المأمون الى عبدالله بن طاهر يعزيه .

قال : وكتب اليه احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح يعزيه عن نفسه اما بعد : فانه قد حدث من أمر الرزء العظيم بوفاة ذى اليمينين ما الى الله جل وعز فيه المفزع والمرجع وفيه عليه المستعان وإنا لله وإنا اليه راجعون إتباعا لأمر الله ، واعتصاما بطاعته وتسليما لنازل قضائه ، ورجاء لما وعد الصابرين من صلواته ورحمته وهداه وعندالله نحتسب مصيبتنا به وقد كان سبق الى القلوب عند بداهة الخبر من اللوعة واطلاع الفجيعة ما كنا نخاف احباطه من الاجر لولا ما تدارك الله به من الذكر عما وعد اهل الصبر ، فنسأل الله أن يذاب هذه الثلمة ، ويسد هذه الخلة بأمير المؤمنين اولا ، وبك ثانياً وأن يعظم مثوبتك ، ويحسن عقباك ، ويخلف بك ذو اليمينين ، ويعمر بك مكانه من أمير المؤمنين ومن كافة المسلمين، فأما ما يحتاج اليه من التسلية والتعزية فانك فى فضل رأيك ، واتساع لبك فى حالة العزة والنماء لم تكن تخلو من عوارض الذكر ، وخواطر الفكر فيما تعرو به الايام من نوائبها ويبعث به من حوادثها وفى هذا المن وفق له أعداد للنوازل ، وتوطين الأنفس على المكاره فلا يكون معه هلع ، ولا إفراط ولا جزع باذن الله مع أن مرد كل ذى جزع الى سلوة لاثبات عليها فأولى بالراغب فى ذات الله أن يتهل الى الله مثوبته فى اوانها من بعض الأسى ، وفجأة النكبة ، وأولى بذى اللب اذا علم ما هو لا بد صائر اليه ألا يبعد منه ابعاداً يلزمه التفاوت عند التأمل واختلاف الحالين فى بعد الأمد بينهما . وقد كنت احب ألا اقنع فى تعزيتك برسول ولا كتاب دون الشخوص اليك بنفسي لو امكنني المسير اجلالا للصيبة ، وتأنساً بقربك بعد الذى دخلني من الوحشة ، فقد عرفت ما خصني من المرزئة بذى اليمينين لما كنت اتعرف من جميل رأيه ، وعظيم بره حاضراً وما كان يذكرني به غائباً ذكره الله فى الرفيق الاعلى وأنت وارث حقه على الى ما كنت لك عليه من صدق المودة وخالص النصيحة والى الله جل وعز ارغب فى تأدية شكره والقيام بما اوجبه لك فان رأيت أن تأمر بالكتاب الىّ بما ابلاك الله فى نفسك ، وألهمك من العزاء والصبر مع ما احببت وبذلك فعلت إن شاء الله

ومن أخبار ابن طاهر بن الحسين

وحدثني: محمد بن الهيثم أن عبدالله لما خرج الى نصر بن شبث بعد أن استحكم أمره ، واشتدت شوكته ، وهزم جيوشه فكتب اليه المأمون كتابا يدعوه فيه الى طاعته ، والمفارقة لمعصيته والمخالفة له فلم يقبل . قال: فكتب عبدالله اليه وكان الكتاب الى نصر من المأمون كتبه عمرو بن مسعدة :

أما بعد: فانك يانصر بن شبث قد عرفت الطاعة وعزها . وبرد ظلها ، وطيب مرتعها ، وما فى خلافها من الندم والخسار ، وإن طالت مدة الله بك فإنه إنما يملى لمن يلتمس مظاهرة الحجة عليه لتقع عبره بأهلها على قدر اضرارهم واستحقاقهم وقد رأيت اذكارك وتبصيرك لما رجوت أن يكون لما أكتب به اليك موقع منك . فإن الصدق صدق ، والباطل باطل . وانما القول بمخارجه وبأهله الذين يعنون به ، ولم يعاملك من عمال أمير المؤمنين احد انصح لك فى مالك ودينك ، ونفسك ، ولا احرص على استنقاذك والانتياش لك من خطائك منى فبأى اول أو آخر أوسطة أو إمرة إقدامك يانصر على أمير المؤمنين فى أمواله ، وتتولى دونه ماولاه الله وتريد ان تبيت آمناً أو مطمئناً ، أو وادعاً ، أو ساكناً ، أو هادئا فوعالم السر والجهر لئن لم تكن للطاعة مراجعاً ، وبها خانعاً لتستوبلن وخم العاقبة، ثم لأبدأن بك قبل كل عمل ، فان قرون الشيطان إذا لم تقطع كانت فى الارض فتنة وفساد كبير ، ولأطأن بمن معى من أنصار الدولة كواهل رعاع أصحابك، ومن تأشب اليك من دانى البلدان ، وقاصيها ، وطغامها ، وأوباشها ومن انضوى الى حوزتك من خراب الناس ، ومن لفظه بلده ، ونفته عشيرته لسوء موضعه فيهم وقد أعذر من أنذر والسلام .

قال: وأقام عبدالله بن طاهر على محاربة نصر بن شبث خمس سنين حتى طلب الأمان . فكتب عبدالله الى المأمون يعلمه أنه حصره وضيق عليه ،وأنه قد عاذ بالأمان وطلبه . فأمر المأمون أن يكتب له كتاب امان نسخته

أما بعد فإن الإعذار بالحق حجة الله المقرون بها النصر، والاحتجاج بالعدل دعوة الله الموصول بها العز . ولا يزال المعذر بالحق ، المحتج بالعدل في استفتاح أبواب التأييد ، واستدعاء أسباب التمكين حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين. ويمكن وهو خير الممكنين ، ولست تعدو أن تكون فيما لهجت به أحد ثلاثة ، طالب دين ، أو ملتمس دنيا ، أو متهوراً يطلب الغلبة ظلماً . فإن كنت للدين تسعى بما تصنع فأوضح ذلك لأمير المؤمنين يغتنم قبوله ، ان كان حقاً فلعمرى ما همته الكبرى ، ولا غايته القصوى الا الميل مع الحق حيث مال ، والزوال مع العدل حيث زال ، وان كنت للدنيا تقصد فأبلغ أمير المؤمنين غايتك فيها والأمر الذى تستحقها به فان استحققتها وأمكنه ذلك فعله بك فلعمرى ما يستجيز منع خلق ما يستحقه وإن عظم ، وان كنت متهوراً فسيكفى الله أمير المؤمنين مؤنتك . ويعجل ذلك كما عجل كفايته مؤن قوم سلكوا مثل طريقك كانوا أقوى يداً ، وأكثف جنداً ، وأكثر جمعاً وعدداً ونصراً منك فيما أصارهم اليه من مصارع الخاسرين ، وأنزل بهم من حوائج الظالمين وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وضمانه لك فى دينه وذمته الصفح عن سوالف جرائمك ، ومتقدمات جرائرك ، وإنزالك ما تستأهل من منازل العز والرفعة إن أتيت وراجعت إن شاء الله والسلام . ابو اسحاق احمد ابن اسحاق .

قال: حدثنى بشر السلمانى : قال : سمعت احمد بن ابى خالد يقول : كان المأمون اذا امرنا بأمر فظهر من احدنا فيه تقصير انكره عليه . قال : فحدثنى جعفر ابن محمد الرقى العامرى قال : قال المأمون لثمامة بن أشرس ألا تدلنى على رجل من اهل الجزيرة له عقل وبيان ومعرفة يؤدى عنى ما أوجهه به الى نصر بن شبث ؟ قال بلى ياأمير المؤمنين : رجل من بنى عامر يقال له جعفر بن محمد . قال له : أحضرنيه قال جعفر فأحضرنى ثمامة فأدخلنى عليه فكلمنى بكلام كثير ، ثم أمرنى

أن ابلغه نصر بن شبث . قال . فأتيت نصراً وهو بكفر عزون بسروج فأبلغته رسالته فأذعن وشرط شروطاً منها :ألا يطأ بساطه قال : فأتيت المأمون فأخبرته فقال : لاأجيبه والله الى هذا ابداً ولو أفضت الى بيع قميصي هذا حتى يطأ بساطي. وما باله ينفر مني ؟ قال : قلت لجرمه وما تقدم منه . فقال : أتراه أعظم جرماً عندي من الفضل بن الربيع ، ومن عيسى بن أبي خالد أتدرى ما صنع بي الفضل ؟ أخذ قوادي وأموالي ، وجنودي ، وسلاحي وجميع ما أوصى به ابي لي فذهب به الى محمد وتركني بمرو وحيداً فريداً وأسلمني وأفسد علي أخي حتى كان من أمره ما كان وكان أشد علي من كل شيء ، أتدرى ما صنع بي عيسى بن ابي خالد؟ . طرد خليفتي من مدينتي ومدينة آبائي ، وذهب بخراجي وفيء،وأخرب علي دياري وأقعد ابراهيم خليفة دوني ودعاه باسمي . قال قلت ياأمير المؤمنين : أتأذن لي في الكلام فأتكلم. قال : تكلم. قلت الفضل بن الربيع رضيعكم ومولاكم وحال سلفه حالهم ترجع عليه بضروب كلها تردك اليه . وعيسى بن أبي خالد رجل من أهل دولتك وسابقته وسابقة من مضى من سلفه سابقتهم ترجع عليه بذلك . وهذا رجل لم تكن له يد قط فيحتمل عليها ولا لمن مضى من سلفه انما كانوا جند بني أمية . قال : إن ذاك كما تقول فكيف بالحنق والغيظ ولكنني لست أقلع عنه حتى يطأ بساطي . قال : فأتيت نصراً فأخبرته بذلك . قال : فصاح بالخيل صيحة فجالت ثم قال : ويلي عليه هو لم يقو على اربع مائة ضفدع تحت جناحه يعني الزط يقوى على جلبة العرب .

قال احمد بن أبي طاهر فحدثت ان عبدالله بن طاهر لما جاءه للقتال وحصره وبلغ منه اعطى الضمة وطلب الامان فاعطاه وتحول من معسكره الى الرقة سنة تسع ومائتين وصار الى عبدالله بن طاهر فوجه به الى المأمون فكان دخوله بغداد يوم الثلاثاء لسبع خلون من صفر سنة عشر ومائتين وأنزل مدينة ابي جعفر ووكل به من يحفظه .

فحدثت أن المأمون ، وأبا اسحاق المعتصم وآخر من القواد ذهب عني اسمه اختلفوا فى ذكر الشجعاء من القواد ، والجند ، والموالى فقال المأمون : مافى الدنيا احد اشجع من عجم أهل خراسان ، ولا أشد شوكة ، ولا أثقل وطأة على عدو . وقال ابو اسحاق : ما فى الدنيا سود الرؤوس اشجع ولا ارمأ ، ولا أثبت أقداماً على الأعداء من الأتراك وبحسبك انهم بازاء كل أمة من اعدائهم فهم ينتصفون منهم ويغزونهم فى بلادهم،ولا يغزوهم أحد، فقال القائد مافى الدنيا قوم أشجع من أبناء خراسان المولدين، ولا أفتك منهم فانهم هم الذين أدخلوا الاتراك فى السواجير وآباؤهم هم الذين قادوا الدولة ، وهم قاموا بحرب أمير المؤمنين ثم أطاعوه فاستقامت الخلافة بهم . فقال المأمون : ما تصنعون باختلافنا.؟هذا نصر بن شبث نرسل اليه فنسأله عن أشجع من لقى من جندنا وقوادنا من القوم جميعاً . فأمر بنصر فأحضر وسأله عما اختلفوا فيه فقال ياأمير المؤمنين : الحق أولى ما استعمل كل هؤلاء قد لقيت : أما الأتراك : فانما التركى بسهامه فاذا أنفذها أخذ باليد وأما العجمى فبسيفه : فاذا كل استبسل . وأما الأبناء فلم أر مثلهم لا يكلون ،ولا يملون ؛ ولا ينهزمون يقاتلون فى شدة البرد فى الأزر الخلَق بلا درع، ولا جوشن ولا مجن . مرة بالسيف ، ومرة بالرمح ومرة بالسهام يخوضون الثلج فى الأنهار ويخوضون فى الهجير النار لا يكلون ولا يملون . فقال القائد : حسبنا بك حكما بيننا .

ذكر توجيه عبدالله بن طاهر الى عبيدالله بن السَّرىّ

قال ابو حسان الزيادى ، والهاشمى ، والخوارزمى وجميع أصحاب التاريخ كتب المأمون الى عبدالله بن طاهر لما وجه بنصر بن شبث الى بغداد فى سنة عشر ومائتين أن يتوجه الى مصر وكان بينه وبين ابن السرى خلاف ومنعه من الدخول فكتب بذلك الى امير المؤمنين وأعلمه ما كان منه فكتب إليه فى محاربته إن امتنع فلم يزل كذلك حتى طلب الأمان .

فحدثنى الحرانى قال : ذكر عطاء صاحب مظالم عبدالله بن طاهر قال : قال رجل من اخوة امير المؤمنين للمأمون يا أمير المؤمنين : إن عبدالله بن طاهر يميل الى وُلد ابى طالب وكذا كان ابوه وجده . قال فدفع المأمون ذلك وأنكره . ثم عاد بمثل هذا القول فدس اليه المأمون رجلا ثم قال له : امض فى هيئة الغزاة أو النساك الى مصر فادع جماعة من كبرائها الى القاسم بن ابراهيم بن طباطبا واذكر مناقبه ، وعلمه ، وفضائله ، ثم صر بعد ذلك الى بعض بطانة عبدالله بن طاهر ، ثم ائته فادعه ، ورغبه فى استجابته له ، وابحث عن دقيق نيته بحثاً شافياً وأتنى بما تسمع منه . قال : ففعل الرجل ما قال له وأمره به حتى اذا دعا جماعة من الرؤساء والأعلام قعد يوماً بباب عبدالله وقد ركب الى عبيدالله بن السرى بعد صلحه وأمانه فلما انصرف قام اليه الرجل فأخرج من كمه رقعة فدفعها اليه . قال : فأخذها بيده . قال : فما هو إلا أن دخل فخرج الحاجب اليه فأدخله عليه وهو قاعد على بساط ما بينه وبين الأرض غيره وقد مد رجليه وخفاه فيهما فقال له : قد فهمت ما فى رقعتك من جملة كلامك فهات ما عندك . قال : ولى امانك وذمة الله معك ؟ . قال : لك ذلك . قال : فأظهر له ما اراد ودعاه الى القاسم وأخبره بفضائله ، وعلمه ، وزهده فقال له عبدالله اتنصفنى ؟ . قال : نعم ، قال : هل يجب شكر الله على العباد ؟ . قال:

نعم . قال : فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الإحسان والمنة ، والتفضل ؟ قال . نعم . قال : فتجيء الى وأنا فى هذه الحال التى ترى لى خاتم فى المشرق جائز ، وفى المغرب كذلك وفيما بينهما امرى مطاع ، وقولى مقبول، ثم ما التفت يمينى ولا شمالى وورائى ، وقدامى الا رأيت نعمة لرجل انعمها على ، ومنة ختم بها رقبتى ، ويداً لائحة بيضاء ابتدأنى بها تفضلا وكرماً فتدعونى الى الكفر بهذه النعمة، وهذا الإحسان وتقول اغدر بمن كان اولا لهذا واخراً ، واسع فى ازالة خيط عنقه وسفك دمه تراني لو دعوتني الى الجنة عيانا من حيث أعلم أكان الله يحب أن اغدر به ، وأكفر إحسانه ومنته ، وأنكث بيعته .. فسكت الرجل . فقال له عبد الله : أما إنه قد بلغنى امرك وتالله ما أخاف عليك الا نفسك فارحل عن هذا البلد فان السلطان الاعظم إن بلغه امرك وما امن ذلك عليك كنت الجانى على ظهرك وظهر غيرك . قال: فلما أيس الرجل مما عنده جاء الى المأمون فاخبره الخبر فاستبشر وقال : ذاك غرس يدى ، وإلف ادبى . وترب تلقيحى ولم يظهر من ذلك لأحد شيئاً ولا علم به عبد الله الا بعد موت المأمون .

وقال بعض اصحابنا : قال عبدالله بن طاهر وهو بمصر يحاصر لعبيدالله ابن السرى: —

بَكَرَتْ تُسبِلُ دَمْعًا ... إذْ رَأتْ وَشْكَ بَرَاحى
وَتَبَدَّلْتُ صَقيلاً ... وَيَمينا بوشَاحى
[وَتَمَادَيْتُ بسَيْر ... لِغُدو وَرَوَاح]
زَعَمَتْ جَهْلاً بِأَنِّى ... تعِبٌ غَيْرُ مُرَاح
أقْصرى عَنِّى فَإِنِّى ... سَالِكٌ قَصْدَ فَلَاحى
أنَا لِلْمَأمُون عَبْدٌ ... مِنْهُ فى ظِلِّ جَنَاح
إنْ يُعَاف اللهُ يَوماً ... فَقَريبٌ مُسْتَرَاحى

أَوْ يَكُنْ هُلْكٌ فَقَولى بِعَويلٍ وَصِيَاح
حَلَّ فى مصرَ قَتيلٌ وَدَعى عَنْكِ التَّلاحى

وحدثنى أحمد بن محمد الثوابى ، عن ابن ذى القلمين قال : بعث عبيدالله بن السرىّ الى عبدالله بن طاهر لما ورد مصر جماعة صانعوه من دخولها بالف وصيف ووصيفة ، مع كل وصيف الف دينار فى كيس حرير وبعث بهم اليه ليلا فرد ذلك عبد الله عليه وكتب اليه: لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهاراً (بل انتم بهديتكم تفرحون. ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون (١)) قال : فحينئذ طلب الأمان منه وخرج اليه .

قال احمد بن ابى طاهر : خرج عبيدالله بن السرى الى عبدالله بن طاهر يوم الخميس لخمس بقين من رجب سنة احدى عشرة ومائتين وأدخل عبد الله ابن السرى لسبع بقين من رجب وأنزل مدينة ابى جعفر المنصور . قال : وأقام عبدالله بن طاهر بمصر واليا عليها وسائر الشأم .

حدثنى طاهر بن خالد بن نزار الغسانى قال : كتب المأمون الى عبدالله بن طاهر وهو بمصر حين فتح مصر فى أسفل كتاب له :—

أَخى أَنْتَ وَمَوْلاَىَ الَّذى أَشْكُرُ نُعْماهُ
فَمَا أَحْبَبْتَ مِنْ أَمْرٍ فإنِّى اليَومَ أَهْواهُ
وَمَا تَكْرَهُ مِنْ شَىْءٍ فإنّى لَسْتُ أَرْضَاهُ
لَكَ اللهُ عَلى ذَاكَ لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ

وحدثنى عبدالله بن احمد بن يوسف : ان اباه كتب الى عبدالله بن طاهر عند خروج عبيدالله بن السرى يهنئه بذلك الفتح عليه : بلغنى اعز الله الأمير

---

(١) سورة النمل ٣٦ — ٣٧

ما فتح الله عليك ، وخروج ابن السرى اليك ، فالحمد لله الناصر لدينه ، المعز لوليه وخليفته على عباده ، المذل لمن عَنَدَ عنه وعن حقه ، ورغب فى طاعته ، ونسأل الله أن يظاهر له النعم ، ويفتح له بلدان الشرك ، والحمد لله على ما ولاك به منذ ظعنت لوجهك ، فإنا ومن قبلنا نتذاكر سيرتك فى حربك وسلمك ، ونكثر التعجب لما وفقت له من الشدة واللیان ومواضعهما ؛ ولا نعلم سائس جند ، ولا رعية عدل بينهم عدلك ، ولا عفا بعد القدرة عمن آسفه وأضغنه عفوك وأقل ما رأينا ابن شرف لم يلق بيده متكلا على ما قدمت له أبوته ومن أوتى حظا وكفاية وسلطانا وولاية لم يخلد الى ما عفا له حتى يخل بمساماة ما أمامه ، ثم لا نعلم سائسا استحق النجح لحسن السيرة ، وكف معرة الاتباع استحقاقك ، وما يستجيز احد ممن قبلنا أن يقدم عليك احداً يهوى عند الحاقة والنازلة المعضلة فليهنك هبة الله ومزيده، وسوغك الله هذه النعم التى حواها لك بالمحافظة على ما به تمت لك من التمسك بحبل إمامك ومولاك ومولى جميع المسلمين ، وملاك وايانا العيش ببقائه ، وانت تعلم انك لم تزل عندنا وعند من قبلنا مكرما . مقدما ، معظما ، وقد زادك الله فى اعين الخاصة والعامة جلالة وبجالة فاضحوا يرجونك لأنفسهم ، ويعدونك لأحداثهم ونوائبهم ، وارجو ان يوفقك الله لمحابه ، كما وفق لك صنعه وتوفيقه ، فقد احسنت جوار النعمة فلم تطغك ، ولم تزدد الا تذللا وتواضعا فالحمد لله على ما آتاك ، وأبلاك ، وأودع فيك والسلام .

وكتب الى عبدالله طاهر الهدير بن صبيح يستمنحه لشاعر مدحه : جعلت قال : فداك ايها الامير، ومد الله لك فى العمر ممتعا بالنعم ، مكفيا نوائب الدهر ، انت ايها الامير سماء تمطر ، وبحر لا يكدر ، وغيث ممرع يحيا به المجدب ، وانت منتهى ابصار القوم ، ومثنى أعناقهم . أصبحتَ لهم كالوالد تكرم زائرهم، وتصفد مادحهم وتصدر واردهم وقد انفرجت عنه الضيقة ، وانزاحت عنه الكربة وكذلك كان آباؤك للمتعلقين بهم ، والموجهين رعيتهم نحوهم ، وإن كنت قد تمهلت وسبقت

سبقا بينا ، وذهبت بحيث لا يشق احد غبارك ، ولا يجرى الى غايتك ، وفتحت يداً مخلصة مندفعة بالنوال والإفضال على الحالين بساحتك ، والمنتجعين خصب جنابك . وأنا اقدم عليك ايها الأمير فى أشياء تشبه قدرك ، واحب أن تكون أكثر زادك بما أفادك الله صنيعةً تصنعها ، ونعمة تشكرها وتحوز اجرها وتصدق الظن فيها ، وفلان فى الصحبة من ذوى البيوتات التى ترغب فى الصنائع عندها ، والتوسط من الإداد التى توجب احتمال من حملها ،وقداهدى الى الأمير شعراً يتوصل به اليه ، ويستهدى من فضله وكرمه ما أعلم أنه يعينه فى مثله ، وسالنى ان اكون سبب ذلك وفاتحه ، وأولى الناس بالاعتداد بما ذكر والتطاول والابتهاج به رهط الامير الأدنون ، وأسرته الأقربون الذين جعلهم الله سهمهم الذى به يقارعون وعزهم الذى به يعتزون ، وسندهم الذى به يلجؤون ، ومعقلهم الذى به يؤون فراى الامير فى هديته واستماعها منه ووضعه بحيث وضعه امله ورجاؤه .

قال : فدعا عبدالله بن طاهر بالشاعر الذى وجهه اليه ، واستمع منه ، وأحسن جائزته وصرفه اليه .

قال عبدالله بن عمرو : حدثنا ابو محمد العباس بن عبدالله بن ابى عيسى الترقفى قال حدثنى : ابو النهى . قال : كنت حاضراً لما جاء عبدالله بن طاهر الى محمد بن يوسف الفاريابى مخرج عبدالله الى مصر ، وكان محمد بن يوسف بقيسارية وبينها وبين الطريق أميال وعبدالله فى خيله ورجله . قال : فجاء صاحب لوائه حتى وقف على الباب ثم جاء عبد الله بن طاهر فوقف وخرج ابن لمحمد بن يوسف فسلم على عبدالله فقال له : اردت الشيخ قال : فدخل ومعه ختن لمحمد بن يوسف ورجلان سماهما قال : فقلنا له : عبدالله بن طاهر الأمير بالباب ، وعظمنا امره فقال : لا اخرج اليه . قال : فجهدنا به فلم يفعل . قال : فقلنا ما نقول له ؟ قال : فاضطجع ثم قال : قولوا له أنه صاحب فراش . فرجعنا اليه فقلنا : شيخ كبير صاحب فراش . فقال : ما جئنا الى هاهنا إلا ونحن نريد الدخول عليه ، فرجعنا اليه فقلنا له . فقال : ما آذن له . فلم نزل به فإنى اردت أن يأذن له فقلنا : مانقول له ؟ فقال : قولوا صاحب

بول . قال : فصعر وجهه ثم قال : نحن فى سوادنا أزهد من هؤلاء فى صوفهم ثم مضى ولم يلقه ولا عرض له .

حدثنى عبدالله بن عمرو : قال : حدثنى عبدالله بن الحارث بن الحارث بن ملك ابن رزين المرزوى العدوى التيمى. قال: أخبرنى عبدان بن كيلة بن عبدالله بن عثمان ابن جبلة بن ابى رواد قال : سألنى عبدالله بن طاهر عن موت عبدالله بن المبارك قلت له: سنة احدى وثمانين ومائة . فقال عبدالله بن طاهر : مولدنا .

وقال: حدثنى هارون بن عبدالله بن ميمون الخزاعى . قال : حدثنا محمد بن ابى شيخ من اهل الرقة . قال : حدثنى احمد بن يزيد بن اسد السلمى قال : كنت مع طاهر بن الحسين بالرقة وانا احد قواده ، وكانت لى به خاصية أجلس عن يمينه فخرج علينا يوما راكبا ومشينا بين يديه وهو يتمثل :—

عَلَيْكُمْ بِدَارِى فَاهْدِمُوهَا فَإِنَّهَا ... تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يَخَافُ العَوَاقِبَا
إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ... وأَعْرَضَ عن ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا
سَأَدْحَضُ عَنِّى العَارَ بِالسَّيْفِ جَالِباً ... عَلَىَّ قَضَاءُ اللهِ مَا كَانَ جَالِبَا

فـــدار حول الرافقة ثم رجع فجلس فى مجلسه ثم نظر فى قصص ورقاع فوقع فيها صِلات أحصيت الف الف وسبع مائة الف فلما فرغ نظر الىّ مستطعما للكلام فقلت اصلح الله الامير : ما رأيت أنبل من هذا المجلس ولا احسن فدعوت له ثم قلت : لكنه سرف . فقال : السرف من الشرف . فأردت الآية التى فيها : (اذا أنفقوا لم يسرفوا [١]) فجئت بالأخرى : (إن الله لا يحب المسرفين [٢]) فقال طاهر : صدق الله وما قلنا كما قلنا ، ثم ما ضرب الدهر حتى اجتمعنا مع ابنه عبدالله ابن طاهر فى ذلك القصر بعينه فخرج علينا راكباً وهو يتمثل :—

(١) سورة الفرقان (٢) سورة الانعام

يأيها المتمنى أن يكون فتى ... مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا

أنظر ثلاث خلال قد جمعن له ... هل سب من أحد أو سب أو بخلا

ثم دار حول الرافقـة ثم انصرف وجلس مجلسـه وحضرنا وأحضرت رقاع وقصص فجعل يوقع فيها وأنا أحصى فبلغت صلاته الى ألف وسبعمائة ألف زيادة الف الف على ما وصل أبوه ثم التفت لى مستطعا لـكلامى فدعوت له وحسنت فعاله ثم اتبعت ذلك بأن قلت لـكنه سرف . فقال : السرف من الشرف. السرف من الشرف . كررها فقلت : انى كنت أسقطت عند ذى اليمينين وحدثته الحديث فما زال يضحك .

حدثنى ابو الحسن احمد بن محمد المهلبي قال : حدثنى يحيى بن الحسن بن على بن معاذ بن مسلم قال : إنى كنت بالرقة بين يدى محمد بن طاهر بن الحسين على بركة إذ دعوت بغلام لى فكلمته بالفارسية فدخل العتابى وكان حاضراً فى كلامنـا فتـكلم معى بالفارسيـة. فقلت له : ابا عمرو مالك وهذه الرطانة ؟ . قال :فقال لى:قدمت بلدكم هذه ثلاث قدمات وكتبت كتب العجم التى فى الخزانة بمرو ، وكانت الـكتب سقطت الى ما هناك مع يزدجرد فهى قائمة الى الساعة . فقال : كتبت منها حاجتى ثم قدمت نيسابور وجزتها بعشر فراسخ الى قرية يقال لها ذودر فذكرت كتاباً لم أقض حاجتى منه فرجعت الى مرو فأقمت أشهراً. قال : قلت أبا عمرو : لم كتبت كتب العجم ؟ فقال لى : وهل المعـانى الا فى كتب العجم والبـلاغة . اللغـة لنا والمعانى لهم ثم كان يذاكرنى ويحدثنى بالفارسية كثيراً .

وحدثنى عبد الغفار بن محمد النسائى . قال : حدثنى احمد بن حفص بن عمر ، قال : عن ابى السمراء قال : خرجنا مع الأمير عبدالله بن طاهر متوجهين الى مصر حتى اذا كنا بين الرملة ودمشق اذا نحن بأعرابى قد اعترض فإذا شيخ فيه بقية على بعير له اورق فسلم علينا . فرددنا عليه السلام . قال ابو السمراء : وانا واسحاق بن ابراهيم الرافقى ، واسحاق بن ابى ربعى ونحن نساير الامير وكنا يومئذ أفره من الامير

دابة وأجود منه كسوة قال : فجعل الأعرابى ينظر فى وجوهنا قال فقلت : ياشيخ قد ألححت فى النظر أعرفت شيئاً أم أنكرته ؟ قال : لا والله ما عرفتكم قبل يومى هذا ، ولا أنكرتكم لسوء أراه بكم ولكنى رجل حسن الفراسة فى النـاس جيد المعرفة بهم . قال: فأشرت الى اسحاق بن أبى ربعى فقلت ماتقول فى هذا ؟ فقال: ـــ

أَرَى كاتباً دَاهِي الـكِتَابة بَيِّنٌ ... عَلَيْه وَتَأديبُ العرَاق مُنـيرُ
لَهُ حَركاتٌ قَـدْ يُشَاهِدْنَ أَنَّهُ ... عَلِيمٌ بتَقْسِيطِ الخَـراجِ بَصيرُ

قال : ونظر الى اسحاق بن ابراهيم الرافقى فقال : ـ

وَمُظْهِر نُسْك مَا عَلَيْه ضَميرُه ... يُحِبُّ الهَدَايَا بالرِّجَال مَـكُورُ
إخالُ به جُبْناً وبُخْلا وشيمَةً ... تُخَـبِّرُ عَنْـهُ أَنَّه لَوَزِيرُ

ثم نظر الىّ وانشأ يقول : ـــ

وَهَذا نَديمٌ للأمـيرِ وَمُؤْنِسٌ ... يَـكونُ لَهُ بالقُـربِ منه سُرورُ
إخاله الأشعَـارَ وَالعِلْمَ رَاوِياً ... فَبَعضٌ نَديمٌ مرةً وسَمـيرُ

ثم نظر الى الأمير فانشأ يقول : ـــ

وهذَا الأميرُ المُرتَجى سَيْبُ كفِّه ... فَمَـا إنْ لَهُ فيمنْ رَأيْتُ نَظيرُ
عَلَيْه رِدَاءٌ منْ جَمَـال وَهَيْبَة ... وَوَجهٌ بادرَاك النَّجَـاح بَشيرُ
لَقَدْ عصَمَ الإسْلاَمَ منه نَدا يَدٍ ... به عَاشَ مَعْرُوفٌ وَمَاتَ نَـكيرُ
ألا إنَّمـا عَبْدُ الإله بْنُ طَـاهر ... لَنَـا والدٌ بَرٌّ بنَـا وَأَميرُ

قال : فوقع ذلك احسن موقع من عبدالله وأعجبه ماقال الشيخ فأمر له بخمسمائة دينار وامره أن يصحبه .

قال : حدثنى الحسن بن يحيى بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعد الفهرى .قال : لقينا البُطَيْن الشاعر الحمصى ونحن مع عبدالله بن طاهر فيما بين سلمية وحمص فوقف

على الطريق فقال لعبدالله بن طاهر : ـ

مَرْحَبًا مَرْحَبًا أهْلاً وسَهْلاً ... بابْن ذى الجُود طَاهِرْ بن الحُسَيْنِ
مَرْحَبًا مَرْحَبًا أهْلاً وسَهْلاً ... بابْن ذى الغُرَّتين فى الدَّعوَتينِ
مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِمَنْ كَفُّه البَحْـ ... ـرُ إذَا فَاضَ مُزْبِدَ الرَّجَوينْ
مَا يُبَالى المَأمُونُ أيدَهُ اللـ ... ـهُ إذا كُنتُما لَهُ بَاقيَينِ
أنتَ غَرْبٌ وَذَاكَ شَرْقٌ مُقيمًا ... أىَّ فَتىً أتى مِنَ الجَانبَيْنِ
وَحَقيقٌ إذْ كنتُما فى قَديمِ ... لزُرَيقٍ وَمُصْعَبٍ وحُسَيْنِ
أنْ تَنَالا مَا نلْتُماه مِنَ المَجْـ ... ـدِ وأنْ تَعلُوا عَلَى الثَقَلَيْنِ

قال من أنت ثكلتك امك ؟ . قال : انا البطين الشاعر الحمصى . قال : اركب ياغلام وانظر كم بيت قال؟ . قال : قال سبعة فأمر له بسبعة آلاف درهم. أو سبع مائة دينار ثم لم يزل معه حتى دخلوا مصر والاسكندرية حتى انخسف به وبدابته مخرج فمات فيه بالاسكندرية .

حدثنى مسعود بن عيسى بن اسماعيل العبدى . قال : اخبرنى موسى بن عبيدالله

التميمى . قال : وفد الى عبدالله بن طاهر عدة من الشعراء فعلم أنهم على بابه فقال لخادمه وكان أديبا . اخرج الى القوم فقل لهم من كان منكم يقول كما قال كلثوم بن عمرو فى الرشيد حيث يقول : ـ

فُتَ المَمَادحَ إلَّا أنَّ ألسُنَنَا ... مُسْتَنْطقَاتٌ بمَا تُخْفى الضَمائِرُ
مُسْتَنْبطٌ عزَمَاتِ القَلْبِ منْ فِكَرٍ ... مَا بَيْنَهُنَّ وبينَ الله مَعْمُورُ
مَاذَا عَسَى مادحٌ يُثْنى عَلَيْكَ وَقَدْ ... نَادَاكَ فى الوَحْى تَقْديسٌ وَتَطْهيرُ

فمن كان منكم يقول مثـــل هذا وإلا فليرحل إلا اربعة. فخرج اليهم رسوله ثانية

فقال : من يضف الى هذا البيت على حروف قافيته يتأوهو : ـ

لَمْ يَصِحْ لِلْبَيْنِ مِنْهُمْ صُرَدٌ وَغُرَابٌ لاَ وَلَكِنْ طِيطَوَى

فقال رجل من اهل الموصل : ـ

فَاسْتَقَلوا بُكْرَةً يَقْدُمُهُمْ رَجُلٌ يسكنُ حِضْنَى نِينَوى

فقال للرسول : قل له لم تعمل شيئاً فهل عنده غيره شىء فقال ابو السناء القيسى :ـ

وَنُبَيْطِىٌّ طَفَا فى لُجَّةٍ صَاحَ لَمَّا كَظَّهُ التَّغطِيطُ وَى

فصوبه وأمر له بخمسين ديناراً . قال : وامتحن عبدالله بن طاهر غير هؤلاء من الشعراء فقال : ـ

قُنْبرَةٌ تَنْقُرُ فى قَرْيَةٍ وَسْطَ قَرَاحٍ لِبَنِى مِنْقَرِ

من كان منكم يجيب ببيت مثله فيه خمس قافات وخمس راءات؟ فقال بعض الشعراء : ـ

قَرَّتْ بِهِ مِنْقَرٌ وَاسْتأنَسَتْ بِقُمْرِىٍّ يَنْقُرُ مَعَ قُنْبرٍ

فصوبه وأجازه .

حدثنا محمد بن الهيثم بن عدى : قال : حدثنى الحسن بن براق . أن عبدالله بن طاهر اهدى الى المأمون قينة وأمرها ان تنشد شعراً لعبدالله فلما جلست فى مجلس المأمون انشأت تقول كما امرها عبدالله : ـ

أَغْمِدِى سَيْفِى وَقُولِى جَمَّ يَاسَيْفُ طَوِيلاَ
قَدْ فَتَحْتَ الشَّرْقَ وَالغَرْ بَ وَآمَنْتَ السَّبِيلاَ

فلما فرغت قال لها المأمون لا تقطعى صوتك وقولى ما اقول لك : ـ

بِنَا نِلْتَ الَّذِى نِلْـ تَ فَدَعْ عَنْكَ الْفُضُولاَ
أَنْتَ لَوْلاَ نَحْنُ فى الشَّكِّ لَمْ تَسْوَ فَتِيلاَ

ثم قال : ارجعي اليه فانشديه هذا فإن شاء بعد فليردك .

قال ابن ابي طاهر اشترى عبدالله بن طاهر جارية المارقي بخمسة آلاف دينار ، وأهداها الى المأمون فلما أدخلت عليه قال لها : غني يا جارية ،فغنت وهي قائمة . فقال لها : لم غنيت وأنت قائمة ، وما منعك من الجلوس ؟. فقالت ياسيدي: امرتني أن اغني ولم تأمرني أن أجلس فغنيت بأمرك ، وكرهت سوء الأدب في الجلوس بغير إذنك . فوهب لها مالا واستحسن ذلك من فعلها .

وذكر عن ابي السمراء قال : كنت يوماً عند أبي العباس عبدالله بن طاهر رضي الله عنه وليس في المجلس غيري وأنا بالقرب منه ودخل ابو الحسين اسحاق ابن ابراهيم فاستدناه ابو العباس وناجاه بشيء فاعتمد اسحاق على سيفه وأصغى لمناجاته وحولت وجهي وأنا ثابت مكاني وطالت النجوى بينهما واعترتني حيرة فيما بين القعود على ما انا عليه أو القيام وانقطع ما كانا فيه ورجع اسحاق الى موقفه ونظر الى ابو العباس فقال ياابا السمراء : -

إِذَا النَّجِيَّانِ دَسَّا عَنْكَ أَمْرَهُمَا فَازْحْ بِسَمْعِكَ تَجْهَلْ مَايَقُولانِ
وَلَا تُجِمْلْهُمَا ثِقْـــلاً بِخَوفِهِمَا بِهِ تُنَاجِيهِمَا فِي الْمَجْلِسِ الدَّانِي

قال ابو السمراء فما رأيت أكرم منه ، ولا ارفق تأديباً ترك مطالبتي في هفوتي بحق الأمراء وادبني ادب النظراء .

وذكر عن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب : أنه حضر ابا العباس عبدالله بن طاهر وعنده شيخ من الفرس فقال له الشيخ في عرض كلام جرى من حكم الفرس كلمتان أرويهما . فقال له ابو العباس وماهما ؟ قال: كانت الفرس تقول لا توحش الحر فإن اوحشته فلا ترتبطه ، وكانت تقول : اداينك الله تحمل الشر فإني اذا رأيتك حاملا له رأيته واقعا بك .

حدثني محمد بن عيسى قال :قال لى ابو العباس عبدالله بن طاهر: ا فة الشاعر البخل قال قلت : وما مقدار به يبخل الشاعر اعز الله الامير . قال:يقول احدهم من الشعر خمسين بيتاً فيفسده ببيت يبخل يطرحه .

حدثني بعض آل طاهر أن ابا العباس عبدالله بن طاهر لما اراد الخروج الى ناحية الشأم لمحاربة نصر بن شبث سأله المأمون عمن يستخلف بمدينة السلام . فقال : أستخلف اعز الله امير المؤمنين اليقطيني فقال له المأمون لاتخرج هذا الأمر من أهلك . فقال ياأمير المؤمنين : ليس فى اهلى من يصلح لخدمة امير المؤمنين وأرتضيه له . فقال له المأمون : استخلف اسحاق بن ابراهيم .فقال ياأمير المؤمنين: لست أرتضيه ، أو كما قال . فقال له المأمون : استخلفه ونحن نقومه لك . فلما انصرف عبدالله من الشأم ووافى مدينة السلام قال له المأمون يوماً ياابا العباس: كيف رأيت تقويمنا اسحاق بعدك .

قال: وقال المأمون يوماً لاصحابه : هل تعرفون رجلا برع بنفسه حتى مد أهله ، وبرز على جميع أهل دهره فى نزاهة نفسه ، وحسن سيرته ، وكرم حزيبته فذكر قوم ناساً فاطروهم . فقال : لم ارد هؤلاء . فقال على بن صالح صاحب المصلى: ما اعلم ياأمير المؤمنين احداً اكمل هذه الخصال إلا عمر بن الخطاب رحمه الله.فقال المأمون : اللهم غفراً لم نرد قريشاً ولا اخلافها . فأمسك القوم جميعاً .فقال المأمون: ذاك عبدالله بن طاهر وليته مصر وأموالها جمة فعرض عليه عبيدالله بن السرى من الاموال ما يقصر عنه الوصف كثرة فما تعرض لدينار منها ولا درهم ، وما خرج عن مصر إلا بعشرة آلاف دينار وثلاثة افراس وحمارين ولكنه غرس يدى وخريج أدبى ولأنشدنكم ابياتا فى صفته ثم تمثل : ـ

حَلِيمٌ مَعَ التَّقْوى شُجَاعٌ مَعَ الْجدا ... نَدىً حِينَ لاَ يَنْدى السَّحَابُ سَكُوبُ
شَدِيدُ مَنَاطِ القَلْبِ فى المَوْقِفِ الَّذى ... بِهِ لِقُلُوبِ العَالَمِينَ وَجِيبُ
وَيَجْلُو أُموراً لَوْ تَكَلَّفَ غَيْرهُ ... لَمَاتَ خُفَاتاً أَوْ يَكَادُ يَذُوبُ

فَتًى هُوَ مِنْ غَيْرِ التَّخَلُّقِ مَاجِدٌ ... وَمِنْ غَيْرِ تَأْدِيبِ الرِّجَالِ أَدِيبُ

حدثني بعض أصحابنا قال : سمعت عبدالله بن طاهر يعظ منصور بن طلحة وينهاه عن الكلام فى الإمامة يقول : إنما نبت شعرنا على رؤوسنا ببنى العباس ولو كان هؤلاء القوم الذى يعزى اليهم هذا الامر فى مكان هؤلاء لكانت الرحمة من الناس لهم لأن سبيل الناس على ذلك .

ومن اخبار طلحة بن طاهر بن الحسين

قال احمد: بن ابى طاهر : حدثنى ابو مسلم عبد الرحمن بن حمزة بن عفيف ،حدثنى ابى قال : خرجنا الى الصيد مع طلحة بن طاهر فطفنا فلم نصب شيئاً ومعنا ابو السحيل ، وأحمد بن ابى نصر يلعب بالشطرنج قال : فالتفت الى فقال : رأيت مثل هذا اليوم ؟ قال قلت : وقد حضرنى فيه ابيات ثم انشأت اقول :ــ

كَيْفَ بِالصَّيْدِ لَنَا يَا ... قَوْمُ لاَ بَلْ كَيْفَ كَيْفَا
بَلْ بِمَحْدُودَيْنِ قَدْ هَـ ... ـزَّا لَنَا رُمْحاً وَسَيْفَا
فَلَوَ أَنَّ الوَحْشَ طُرّاً ... حُشِرَتْ مَشْتًى وَصَيْفَا
وَخَرَجْنَا وَهُمَا مَعْـ ... ـنَا فَمَا صِدْنَا خُشَيْفَا

المحدودين ابو السحيل، وأحمد بن ابى نصر.

قال: وحدثنى ابى قال : خرجنا مع طلحة الى الصيد ومعنا عقاب فمررنا بامرأة وهى تغسل بنياً لها سميناً كالفهد فمضينا الى صيدنا فلما تباعدنا عن المرأة خلاّ العقاب فأرسلناه فانقض نحو المرأة قال قلت : ذهب والله الصبي . قال : فاتبعناه فوجدناه قد خطف الصبي من المرأة ورفعه الى الهواء فضربنا له الطبل فأرسله ميتا . فقال لى طلحة ما ترى أن اصنع ؟ . قلت : تعطيها ديته فاعطاها ديته .

حدثني ابو العباس محمد بن علي بن طاهر . قال :حدثتني خزامى جارية العباس ابن جعفر الأشعثي الخزاعي اليمامية وكانت قارئة تقرأ قالت : كان عمك طلحة يزور الفضل بن العباس فيخرج جماعة من جواري أبيه اليه ، فذكرت لطلحة جارية مغنية قدم بها من العراق فأمر باحضارها فأحضرت مع مولاها فأدخلت وقعد مولاها خارج الدار فنولت العود وقيل تغني فاندفعت تغني : —

شَوْقِي إِلَيْكَ جَدِيدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ
وَالْعَيْنُ بَعْدَ دُمُوعٍ مِثْلُ السَّحَابِ يَجُودُ

وهي تبكي ودموعها على عودها تقطر فقال لها : ويحك مالك تبكين ؟ فقالت : إنها تحب مولاها ومولاها يحبها .قال : فلم يبيعك؟ .قالت الخلة، فأمر بشراهـا فاشتريت بالثني عشر الف درهم ودفع المال الى المولى ثم امر بمسئلته عن الخبر فوافق قول الجارية فأمر بتسليم الجارية اليه وترك المال عليه .

حدثني احمد بن يحيي الرازي . قال : سمعت محمد بن المثنى بن الحجاج عن قتيبة ابن مسلم قال : بعث الىّ طلحة بن طاهر يوما وقد انصرف من وقعة الشراة وقد اصابته ضربة في وجهه . فقال الغلام : أجب . قال قلت : وما يعمل؟ قال: يشرب فمضيت إليه فأدخل فإذا هو جالس قد عصب ضربته وتقلنس بقلنسوة مكية . فقلت : سبحان الله أيها الامير ما حملك على لبس هذا ؟ . قال : تبرما بغيره . ثم قال بالله غنيني

إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنِ اجْبُلِهَا وَبِاسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنْ إِسْمِ وَادِيهَا
عَمْداً لِيَحْسِبَهَا الوَاشُونَ غَائِبَةً أُخْرَى وَيُحْسَبَ أَنِّي لاَ أُبَالِيهَا

قال : أحسنت والله أعـد . فما زلت اعيدهما عليه حتى حضره العتمة فقال لخادم له : هل بالحضرة من مال ؟ فقال : مقدار سبع بدر . فقال : تحمل معه . فلما خرجت من عنده تبعني جماعة من الغلمان يسئلوني فوزعت المال فيهم . فرجع اليه

الخبر فكأنه وجد على من ذلك فلم يبعث الىّ ثلاثا فجلست ليلة فتناولت الدواة وأنشأت اقول :ــ

عَلَّمَنِى جُودُكَ السَّماحَ فَمَا أبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَىَّ من صِلَتِكْ
تَمَامَ شَهْرٍ ألاَ سَمَحْتُ به كَأنَّ لى قُدْرَةً كَمَقْدرَتِكْ
تُتْلِفُ فى اليَوْمِ بالهِبَاتِ وَفى السَّاعة مَا تَجْتَنِيه فى سَنَتِكْ
وَلَسْتُ أدْرى من أيْنَ يُنْفَقُ لَوْ لاَ أنَّ رَبى يَجْزى عَلَى هِبَتِكْ

فلما كان فى اليوم الرابع بعث الى فصرت اليه فدخلت فسلمت فرفع صوته إلى ثم قال : اسقوه رطلين فسقيت رطلين ثم قال غنى قال : فغنيته بهذه الأبيات . فقال لى : ادن . فدنوت . فقال لى : اجلس فجلست . فقال لى : أعد الصوت . فأعدت ففهمه فلما عرف معنى الشعر قال لخادم له : احضرنى محمداً يعنى الطاهرى فقال له ما عندك من مال الضياع ؟ قال : ثمان مائة الف . قال . احضرنيها الساعة فجيء بثمانين بدرة فقال : غلمان فأحضر ثمانون مملوكا فقال أوصلوا المال ، ثم قال لى يا محمد : خذ المال والمماليك لا تحتاج أن تعطيهم شيئا .

ذكر وفاة طلحة بن طاهر

قال احمد بن ابى طاهر : حدثنى بعض اصحابنا . قال : بعث المأمون الى كاتب لطلحة يقال له على بن يحيى فطلبه فأشخصه اليه وخرج مشيعا له فلما رجع أكل من هذا المبرقط بالريثاء فاشتكى بطنه فقال أجد فى بطنى وجعا . قال: ثم اصبح فوجده فلما كان فى يوم الأحد مات . قال قلت له : بخراسان ريثاء؟ قال: يحمل من العراق أى يابس . قال : وكانت وفاته ببلخ فرثاه ابو السحيل بشعر له طويل يقول فيه :ــ

ألَمْ يَبْلُغَ عَلَى القبور مُسَلِّماً إنَّ القُبُورَ حَقِيقَةٌ بالمَنَام

شَوْقًا إلَى جَدَث أقَامَ بِقَفْرَةٍ مَنْ كَانَ مُعْتلياً عَلَى الأقْوَام
يَاقَبر طَلحَةَ فِيكَ مَثْوَى سَيِّدٍ لِمُسَوَّدينَ مُهَذَّبِينَ كِرام
مِنْ مَعْشَر تُروى السُّيوفَ اكُفُّهم لَا يَحْسِرُونَ سَوَاعداً للظَّامى

قال: وكان عبدالله بن طاهر يسير بين يدى المأمون بالحربة على أصفر فرابو عيسى عن الموكب حتى ساير عبدالله بن طاهر فقال له : كان لى برذون أصفر كأنه برذونك هذا . قال إذاً يكون أصفرى هو المصدوم .

ذكر أخبار من اخبار المأمون عن
عبدالله بن طاهر

قال احمد بن ابى طاهر : ذكر لنا عن عبدالله بن طاهر قال:سمعت المأمون يقول: الهواء جسم ، وكان يخالف من يقول انه غير جسم . قال عبـدالله : وأرانا المأمون دليله على ذلك فدعا بكوز زجاج له بلبلة فوضع اصبعه على البلبلة وملأ الكوز ماء فامتلأ الى اعلاه ولم يدخل البلبلة منه شيء ، فلما رفع اصبعه من البلبلة صار الماء فيها حتى فار فخرج فدل على أن الذى كان فى البلبلة هواء محصور ، وان المحصور جسم .

حدثنى سليمان بن يحيى بن معاذ ، عن عبدالله بن طـاهر ، عن المـأمون قال :

تفسير حديث : « اذا لم تستح فافعل ما شئت»،إنما معناه: اذا كنت تفعل مالا يُستحى منه فافعل ما شئت . قال : وحدثنى سليمان بن يحيى بن معاذ ، عن عبدالله بن طاهر عن المأمون قال : أرسل الوليد بن يزيد الى شراعة بن زيد فدخل عليه فى قلنسوة طويلة وطيلسان فقال الوليد لحاجبه : أهو هو ؟ فقال : نعم ياأمير المؤمنين .قال: إنا لم نبعث اليك نسئلك عن الكتاب والسنة قال : لو سألنى امير المؤمنين عنهما لوجدنى بهما جاهلا فسر الوليد بذلك فقال له : اجلس فأسئلك عن الشراب . فقال:

أى الشراب يسأل أمير المؤمنين ؟ قال : عن السويق . قال : شراب المأتم والنساء ولا يشتغل به عاقل . قال : فأخبرنى عن اللبن ؟ قال : فقال شَرَاعَةَ : إنى لأستحى أمى من كثرة ما ارتضعت من ثديها أن اعود فى اللبن . قال : فأخبرنى عن الماء؟ قال : يشركك فيه كل وغد حتى الحمار والبغل . فقال له : حدثنى عن نبيذ التمر ؟ . قال سريع الأخذ ، سريع الانفشاش . قال : فما تقول فى نبيذ الزبيب؟قال: حثيث المدخل عسر المخرج . قال: فأخبرنى عن الخمر ؟ قال : تلك صديقة روحى . فقال له الوليد : أى الطعام خير لأصحاب الشراب ؟ قال الحلو خير لهم . وهم الى الحامض اقرب . قال : فاى المجالس خير لهم ؟ قال عجبت ممن لا يؤذيه حر الشمس ولا برد ظل كيف يختار على وجه السماء نديماً . فقال له الوليد : انت صديقى فدعا له بقدح يقال له زُبّ فرعون فقال : لا يسقى فيه إلا اخص الناس به فسقاه فيه (١) .

ذكر اخبار ابن عائشة ومقتله
فى ايام المأمون

قال احمد بن ابى طاهر لما كان سنة عشر ومائتين أخذ ابراهيم بن عائشة، ومالك ابن شاهى وأصحابهم يوم السبت لست خلون من صفر وأمر المأمون بحبسهم . وكان مقتل ابن عائشة ، ومحمد بن ابراهيم الإفريقى وأصحابهم ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة وصلبوا يوم الثلاثاء وصلب البغوارى معهم لليلة بقيت من رجب وكان سبب حبسهم أنهم كانوا يدعون الى ابراهيم ابن المهدى .

قال ابن شبانة : اقام المأمون ابراهيم بن عائشة فى الشمس ثلاثة أيام على باب المأمون وضربه يوم الثلاثاء بالسياط ،.وحبسه فى المطبق ، وضرب مالك بن شاهى

(١) والمؤلف عمن يعاقر الراح فلا يصدق فى أقاصيص الأقداح (ز)

وأصحابه وكتبوا للمأمون تسمية من دخل معهم فى هذا الامر من القواد وغيرهم فلم يعرض لهم المأمون ، وكانوا قد اتعدوا على أن يقطعوا الجسر اذا خرج الجند يستقبلون نصر بن شبث فغُمِزَ بهم فأُخذوا ودخل نصر وحده لم يستقبله احد .

حدثنى محمد بن عبدالله بن عمـــرو البلخى قال : حـدثنى يحيى بن الحسن بن عبدالخالق خال الفضل بن الربيع . قال : حدثنى محمد بن اسحاق بن جرير مولى آل المسيب قال: قال عياش بن الهيثم : لما كان فى ليلة المطبق حضرت فى واسط من القوم فرآنى المأمون فقال : يابائع العساكر . ياصديق عيسى ابن ابى خالد تأخر الى الساعة. ما املكه صدقه وقتلنى الله إن لم أقتلك فاختفيت منه . قال . ثم قلت إن لم يرنى فذاك اسرع لذكره . فظهرت له وقد خرج من الطـاقات فنظر الى فقـال : ادنه ، فدنوت فقال : من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منهـا فليأت الذى هو خير وليكفر والكفارة أصلح من قتلك ولا تعد .

قال ابن شبانة: وفى سنة عشر ومائتين قتل ابراهيم بن عائشة ومن كان محبوساً معه وفيهم رجل يقال له ابو مسمار من شطار بغداد ورجـل آخر لم يسمه وكان السبب فى قتلهم بعد حبسهم ان اهل المطبق رفع عليهم أنهم يريدون أن يشغبوا . وأن ينقبوا السجن ، وكانوا قبل ذلك بيوم قد سـدوا باب السجن من داخل فلم يدعوا احداً يدخل عليهم فلما كان الليل وسمعوا شغبهم وأصواتهم وبلغ أمير المؤمنين خبرهم ركب اليهم ودعا بهؤلاء الاربعة فضرب اعناقهم فلما كان بالغداة صلبهم على الجسر الأسفل وذلك فيما ذكر محمد بن الهيثم بن شبابة فى ليلة الاربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ، ولما كان من غد يوم الاربعاء أنزل ابراهيم بن عائشة فكفن وصلى عليه ودفن فى مقابر قريش ، وأنزل الإفريقى فدفن فى مقابر الخيزران من الجانب الشرقى وترك الباقون على حالهم .

وقد ذكروا أن ابن عائشة وأصحابه كانوا دسوا من أحرق سوق العطارين ، والصيارفة ، والصفارين ، والفرائـين وأصحاب الراه دار وبعض الرابيين وذلك

ليلة السبت لليلة بقيت من جمادى الأولى . وقبل ذلك او بعده ما أحرقوا اصحاب الخطب فى البغيين وقال بعضهم ليلة الجمعة لأربع خلون من رجب وقال بعضهم قبل ذلك .

وقال القاسم بن سعيد سمعت الفضل بن مروان يقول : كان ابو اسحاق المعتصم بالله فى الليلة التى ركب المأمون فيها لقتل ابن عائشة عليلا قال : فبعث المأمون الى ابى اسحاق ابعث الىّ بكاتبك الفضل وليكن معه جميع قوادك وجندك فركبت انا وهم جميعاً معى وقلت ليس هو الى شىء احوج منه الى شمع وكان فى خزانة ابى اسحاق يومئذ سبع مائة شمعة فحملتها معى ورفعت الى كل واحد من الرجالة عشراً يحملها ثم دخلنا المدينة فلم نصل الى المأمون من كثرة الناس. فقلت له: بلغنى أن حميداً كان اول من لحق به . فقال : لا . وجاء اسحاق بن ابراهيم فلم يصل من الزحام وكان شارباً يعنى اسحاق كان يشرب عنده تلك الليلة عُمَير الباذ غيسى ، وكان المأمون ايضاً شارباً ولم يكن بالممتلىء . قال : فوقفت فى طريقه فى المدينة فلما انصرف بعد ان قتل ابن عائشة فبلغ الى موضعى نزلت عن دابتى فقال : من هذا ؟ قلت : الفضل جعلنى الله فداء أمير المؤمنين فقال : أركب معك القواد والجند ؟ قلت : نعم . قال : ومعك الشمع ؟ قلت: نعم فأمرت حينئذ بعض من يقرب منى أن يقف ثلاث مائة رجل من الرجالة مع كل واحد منهم شمعة على باب خراسان ففعلوا . فلما انتهى اليهم قال : ما هذا ؟ قلت الشمع الذى سألنى عنه أمير المؤمنين . قال : بارك الله عليك . قال : ثم قال لى : خلف جميع من معك ها هنا قال : وفيهم الأفشين وأشناس وتقدم اليهم أن يقفوا يعنى فى المدينة على ظهور دوابهم ويفرقوا قسيهم فإن تحرك شىء أتوا عليه . قال : فأمرتهم بذلك . ثم قال : امض الى اخى فاقرأه السلام وقل له : قد قتل الله عدواً لك من حاله وأمره . ومن قبل ذلك قد امرنى بالمقام فى المدينة ثم قال : لهذا غيرك فحينئذ امرنى ان اخلف من معى هناك مستعدين . قال : ثم بكر هو على ابى اسحاق فخبره الخبر وقال له : قام الفضل بما

نحتاج اليه فكان ابو اسحاق بعد ذلك لا يخل خزانته من خمسة آلاف شمعة عدة.

قال: القاسم بن سعيد فقلت للفضل بلغنا أن ابن عائشة شتم المأمون فى وجهه تلك الليلة وأن ذلك دعاه الى قتله ؟ فقال : لا. ولا كلمة واحدة البتة .

قال: ولما ركب المأمون الى المطبق فى الليلة التى قتل فيها ابراهيم بن عائشة، والإفريقى وأصحابه التفت فاذا هو بعبد الرحمن بن اسحاق فقال له : جزاك الله خيراً فأنت والله للسار، والبار، والخير، والشر، والشدة، والرخاء لا كالمنتفخ الأعفاج الكثير اللجاج لا يمت بقديم حرمة، ولا بحديث خدمة أكثر من كان فى الفتنة شاطراً وفى السلامة مقامراً . قال: وإذا عياش بن القاسم صاحب الجسر قد طلع . فقال له : يا ابن اللخناء يحضر الحاكم ضرب الأعناق وصاحب الشرطة مشغول بمجالسة الفساق . قال فارتج على عياش فقال المأمون : هذا الذى كنا فى ذكره آنفاً . قال قلت يا أمير المؤمنين: شيخ قد ثقل عن الحركة قال : لا تقل هذا . فوالله لقد تغدى اليوم مع ابن العلاء وشرب معه وناكه فأعرض عبد الرحمن بن اسحاق عنه بوجهه وقال: أمير المؤمنين أعلم برعاياه وأصحابه منا .

قال: واستقبله الجعفرى الملقب بكلب الجنة ومعه خاف قد تترس به وعصا قد اخذها من حطب البقال فقال : ما هذا ؟ . فقال ياسيدى : لم يحضرنى غير الخاف فجعلته مجناً ، وعصا وجدتها مع حطب البقال فاختلستها منه فقال : لله ابوك فقد جدت بنفسك ، وأسرعت الى إمامك وامر له بعشرين الف درهم

حدثنى يحيى بن الحسن قال : قال ابن مسعود القتات : لما قتل المأمون ابن عائشة وأصحابه تمثل بشعر مسلم بن الوليد فقال :-

أَنَا النَّارُ فِى أَحْجَارِهَا مُسْتَكِنَّةٌ ... فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَقْدَحُ النَّارَ فَاقْدَح

ذكر امر ابراهيم بن المهدى وظفر المأمون به

بعد دخوله بغداد وعفوه عنه

حدثنى احمد بن هارون ، عن ابى يعقوب مؤدب ولد أبى عباد قال : بعث المأمون الى شكلة أم ابراهيم بن المهدى عند دخوله الى بغداد واختفاء ابراهيم عنه يسألها عنه ، ويهددها ويتوعدها إن لم تدل على مكانه فبعثت الى المأمون : ياأمير المؤمنين: أنا أم من أمهاتك، فإن كان ابنى عصى الله جل وعز فيك فلا تعص الله فى فرق لها المأمون وأمسك عنها فلم يطالبها بعد ذلك . وحدثنى : انه لما طال حصر ابراهيم بن المهدى وتنقله خاف أن يظهر عليه فكتب الى أمير المؤمنين : ولى الثأر محكم فى القصاص (والعفو أقرب للتقوى (١)) ومن تناوله الاغترار بما مد له من اسباب الرجاء امكن عادية الدهر على نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فإن اخذت فبحقك ، وان عفوت فبفضلك . قال: فوقع المأمون فى حاشية رقعته : القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة ، وبينهما عفو الله . وهو اكثر مما يسئله .

وأخبرنى اسحاق بن ابراهيم النخعى قال : قال ابراهيم بن المهدى للمأمون لما دخل عليه بعد الظفر به : ذنبى أعظم من أن يحيط به عذر ، وعفو أمير المؤمنين أجل من ان يتعاظمه ذنب . فقال المأمون : حسبك . فإنا إن قتلناك فلله . وإن عفونا عنك فلله .

قال ابو حسان الزيادى : كان ظفر المأمون بابراهيم بن المهدى فى سنة عشر ومائتين فى ليلة الاحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر ، وكان بعض

---

(١) سورة البقرة ٢٣٨

الحراس اخذه ليلا وهو متنقب مع امرأتين فرفعه الى الجسر فرفع الى دار المأمون من ليلته فلما كان غداة الأحد قعد فى دار أمير المؤمنين لينظر اليه بنو هاشم ، والقواد ، والجند ، وصيروا المقنعة التى كان متقنعاً بها فى عنقه ، والملحفة التى كان ملتحفاً بها فى صدره ليراه الناس ويعلموا كيف اخذه فلما كان يوم الخميس حوله أمير المؤمنين الى دار احمد بن ابى خالد فحبسه عنده فلم يزل فى حبسه الى ان خرج المأمون الى الحسن بن سهل فى عسكره وبنى ببوران بنت الحسن فأخرج ابراهيم معه الى المدينة التى كان الحسن بناها بفم الصلح . فقال قوم : ان الحسن كلمه فيه فأطلقه ورضى عنه ، وخلى سبيله ، وصيره عند احمد بن ابى خالد وصير معه ابن يحيى بن معاذ ، وخالد بن يزيد بن مزيد يحفظونه إلا أنه موسع عليه عنده امه وعياله ويركب الى دار أمير المؤمنين وهؤلاء معه يحفظونه :

وحدثنى الحارث المنجم : أن المأمون كان صير لبوران ثلاثة حوائج لما دخل بها فكان ابراهيم بن المهدى احدها فرضي عنه وأطلقه . وحدثنا الحارث : أن ابراهيم لما دخل على المأمون قال له ياأمير المؤمنين : إن رأيت ان تسمع عذري وان كان لا عذر لى ولكن الاقرار حجة لى فى العفو عنى وقد جردت الإقرار بالذنب فقال : قل . فأنشد :ـ

يَاخيرَ مَنْ ذَمَلَتْ يَمَانِيةٌ به … بعدَ الرَّسول لآيس أوْ طَامع
وَأبرَّ مَنْ عَبَدَ الإلهَ عَلَى التُقَى … عيناً[1] وأحكَمَه بحق صَادع
عَسَلُ الفَوَارع ماَ أطعْتَ فإنْ تَهج … فالصَّابُ[2] فى جُرَع السِّمَام النَّاقع
مُتيَقظٌ حَذرٌ وَمَا يَخشَى العدا … نبهانُ منْ وَسَنَات لَيْل الهَاجع
مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ منْهُ مَخَافَةً … وَتبيتُ يَكلَؤُهُمْ بقَلْب خَاشع
بِأبى وَأُمى أفتَدى وبَنِيهمَا … منْ كلِّ مُعْضِلَةٍ وَرَيْب وَاقع

(١) فى الاغانى : نفسا (٢) : فالموت

مَا أَلْيَنَ الْكَنَفَ الذى بوَأتنَى   وَطَنًا وآمَنَ رَايَهُ لِلرَّاقِع
لِلصَّالحَاتِ أخًا جُعلتَ وَلِلتُّقَى   وَأبًا رَؤُوفًا لِلْفَقِيرِ الْقَانِع
إنَّ الذى قَسَمَ الْفَضَائلَ حَازَهَا   فى صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِع
جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَيْكَ جَامِعُ أمْرِهَا   وَحَوى ودَادَكَ كُلَّ أمْرٍ جَامِع
نَفْسى فِدَاؤُكَ إذْ تَضِلُّ مَعَاذِرى   وَألُوذُ مِنْكَ بِفَضْلِ حِلْمٍ وَاسِع
أمَلًا لِفَضْلِكَ وَالْفَوَاضِلُ جَمَّةٌ   رَفَعَتْ بِنَاءَكَ بِالْمَحَلِّ الْيَافِع
فَبَذَلْتَ أَفْضَلَ مَا يَضِيقُ بِبَذْلِهِ   وُسْعُ النُّفُوسِ مِنَ الْفَعَالِ الْبَارِع
وَعَفَوتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ   عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إلَيْكَ بِشَافِع
إلاَّ الْعُلُوُّ عن الْعُقُوبَةِ بَعْدَ مَا   ظَفِرَتْ يَدَاكَ بِمُسْتَكِينٍ خَاضِع
وَرَحِمْتَ أطْفَالًا كَأفْرَاخِ الْقَطَا   وَحَنِينَ وَالِهَةٍ كَقَوسِ النَّازِع
وَعَطَفْتَ آصِرَةً عَلَىَّ كَمَا وَعَى   بَعْدَ انْهِيَاضِ الْجِسْمِ عَظْمُ الظَّالِع
الله يَعْلَمُ مَا أَقُولُ فَإنَّهَا   جَهْدُ الْأَلِيَّةِ مِنْ حَنِيفٍ رَاكِع
مَا إنْ عَصَيْتُكَ وَالْغُوَاةُ تَمُدُّنى   أسْبَابُهَا إلاَّ بِنِيَّةِ طَائِع
وَالْإِفْكُ مَنْكَدَةُ اللِّسَانِ وَإنَّمَا   تَهْدى إلى قَذْعٍ لِرَوعِ السَّامِع
قَسَمًا وَمَا أُدْلِى لِذَاكَ بِحُجَّةٍ   غَيْرَ التَّضَرُّعِ مِنْ مُقِرٍّ بَاخِع
حَتَّى إذَا عَلِقَتْ حَبَائِلُ شِقْوَةٍ   تَرْدى عَلَى حُفَرِ الْمَهَالِكِ هَائِع
لَمْ أدْرِ أنَّ لِمِثْلِ جُرْمى غَافِرًا   فَأَقَمْتُ أرْقُبُ أىَّ حَتْفٍ صَارِعى
رَدَّ الْحَيَاةَ عَلَىَّ بَعْدَ ذَهَابِهَا   عَفْوُ الإمَامِ الْقَادِرِ الْمُتَوَاضِع
أحْيَاكَ مَنْ وَلاَّكَ أطْوَلَ مُدَّةٍ   وَرَمَى عَدُوَّكَ فى الْوَتِينِ بِقَاطِع

كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَا تُحَدِّثُنِي بِهَا نَفْسِي إِذَا آلَتْ إِلَيَّ مَطَامِعِي
أَسْدَيْتَهَا عَفْواً إِلَيَّ هَنِيئَةً فَشَكَرْتُ مُصْطَنِعاً لِأَكْرَمِ صَانِعِ
إِلَّا يَسِيراً عِنْدَمَا أَوْلَيْتَنِي وَهُوَ الْكَثِيرُ لَدَيَّ غَيْرُ الضَّائِعِ
إِنْ أَنْتَ جُدْتَ بِهِ عَلَيَّ فَكُنْ لَهُ أَهْلًا وَإِنْ تَمْنَعْ فَأَكْرَمُ مَانِعِ

قال: فقال له المأمون: أقول ما قال يوسف لإخوته «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين [1]».

قال: وغنى ابراهيم يوماً والمامون مصطبح صوتاً له في شعره: —

ذَهَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي هَوَى الدَّهْرُ بِي عَنْهَا وَوَلَّى بِهَا عَنِّي
فَإِنْ أَبْكِ نَفْسِي أَبْكِ نَفْساً نَفِيسَةً وَإِنْ أَحْتَسِبْهَا أَحْتَسِبْهَا عَلَى ضَنِّ

قال: فقال له المأمون لما سمعه: لا والله لا تذهب نفسك ياابراهيم على يد أمير المؤمنين فليفرخ روعك فإن الله قد آمنك في هذه الزلة إلا ان تحدث بشاهد عدل غير متهم حدثاً وأرجو أن لا يكون منك إن شاءالله.

وحدثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، عن ابي محمد اليزيدي قال: قال ابراهيم ابن المهدي لما امر المأمون برد ضياعه عليه قال: وأنشده ذلك في مجلسه: —

البِرُّ بِي مِنْكَ وَطَّأَ العُذْرَ عِنْدَكَ لِي فِيمَا أَتَيْتُ فَلَمْ تَعْذُلْ وَلَمْ تَلُمِ
وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدِ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهَمِ
رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
بَرِئْتُ مِنْكَ وَمَا كَافَيْتَنِي بِيَدٍ هُمَا الحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمِ

---

(١) سورة يوسف ٩٢.

وقال حماد بن اسحاق ، عن أبيه قال : أرسل ابراهيم بن المهدى لما ظهر الى وصار الى منزله غير مرة يسئلنى اتيانه فكنت اتثاقل عنه مخافة أن يبلغ المأمون اتيانى إياه ثم أتيته فعاتبنى على جفاى فاعتذرت بالمأمون فقال ياهذا: إن أمير المؤمنين لايخلو من، أن يكون راضياً عنى فهو يحب أن يسرنى بك ،أو ساخطا على فهو لا يكره أن يعرّنى وأنت الحمد لله واقف بين هاتين. قال: فقطعنى عن جوابه وبلغت المأمون فاستحسنها منه

قال اسحاق اعتللت علة فأرسل الى ابراهيم : إنى اريد أن اعودك فأرسلت له: إنى لم اصر الى حد تحب أن ترانى فيه . قال : فغلظت عليه رسالتى وكان عنده محمد ابن واضح فشكانى اليه وقال : يرد على هذا المرد أحب ان تلقاه فتقول له : والله لو خيرت أن أجاز بألفى ألف درهم أو بعافيتك لاخترت عافيتك . فأتانى برسالته قال : قلت له ابقاه الله ارجو أن تكون صادقاً وذاك أنى إن مت لم تجد مثلى تستشهده فيكذب لك .

وقال : حماد عن ابيه : دخلت يوماً على المأمون وعنده ابو اسحاق المعتصم ، وابراهيم بن المهدى وعن يمين المأمون تسع قينات ، وعن يساره تسع قينات يغنين جميعاً صوتاً واحداً . قال : فلما جلست ، واطمأننت ، وأنست قال المأمون كيف تسمع ياابا اسحاق ؟ . قلت : اسمع خطأ ياأمير المؤمنين . قال : فقال المأمون لابراهيم ألاتسمع ؟ قال كذب ياأمير المؤمنين ما ها هنا وحق أمير المؤمنين خطأ ولكنه يريد أن يوهم أنه يحسن مالا يحسنه غيره .قال اسحاق: فقلت إن اذن أمير المؤمنين أفهمته موضع الخطإ ويقربه . قال : فقال المأمون : قد اذنت لك فافعل . قال : فاقبلت على ابراهيم فقلت له : اعلم أنك لا تفهمه هكذا ولكن اطرح عنك نصف العمل فلعلك أن تفهم موضع الخطا ولا أراك. ثم قلت للتسع اللواتى عن يمين المأمون : أمسكن عن الغناء . فأمسكن . فقلت لابراهيم تفهم الآن فان الخطأ ها هنا . فتفهم ابراهيم فقال : ما ها هنا خطأ .قال : فقلت فإنى ارفع عنك اكثر هذا العمل الباقى ثم امرت خمس جوار منهن فأمسكن

وبقى اربع . وقلت لابراهيم تفهم فإن الخطأ ها هنا . فتفهم ابراهيم فقال : ما أعلم خطأ . فقال اسحاق : فإنى أطرح عنك العمل كله ثم امر الجوارى فأمسكن وقال لواحدة منهن تغنى فغنت وحدها . فقال يا ابراهيم ما تقول ؟ قال : نعم . ها هنا خطأ وأقربه . فقال له المأمون يا ابراهيم : فهمه اسحاق من نيف وسبعين وترا ولا تفهمه إلا مفرداً متى تلحقه فى عمله .

حدثنى ابو بكر بن الحصين قال : حدثنى محمد بن ابراهيم قال : غنى ابراهيم ابن المهدى عند المأمون يوماً فأحسن وفى مجلسه كاتب من كتاب طاهر بن الحسين يكنى ابا زيد وكان بعثه فى بعض اموره وطرب ابو زيد فأخذ بطرف ثوب ابراهيم فقبله . قال : فنظر اليه المأمون كالمنكر لما فعل . فقال له ابو زيد : ما تنظر ؟ أقبله والله ولو قتلت . قال فتبسم المأمون وقال : أبيت إلا طرفاً .

قال : وأصيب المأمون بابنة له وهو يجد بها وجداً شديداً فجلس للناس وأمر أن لا يمنع منه احد وأن يثبت عن كل رجل مقالته . قال : فدخل اليه فيمن دخل ابراهيم بن المهدى فقال : يا أمير المؤمنين كل مصيبة تعدتك شوى إذ كنت المنتقم من الأعداء ولك فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فإنه عزى عن ابنته رقية فقال : موت البنات من المكرمات . فأمر له المأمون بمائة ألف درهم : وامر أن لا يكتب شيء بعد تعزيته .

وقال اسحاق الموصلى : دخل ابراهيم بن المهدى على المأمون بعد صفحه عنه وعنده ابو اسحاق المعتصم ، والعباس بن المأمون فلما جلس قال له يا ابراهيم : انى استشرت ابا اسحاق والعباس آنفاً فى أمرك فأشارا على بقتلك . فما تقول فيما قالا ؟ فقال له : أما أن لا يكونا قد نصحاك وأشارا عليك بالصواب فى عظم الخلافة وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا ذلك : ولكن يا أمير المؤمنين تأبى أن تجتلب النصر إلا من حيث عودكه الله وهو العفو . قال : صدقت يا عم ادن منى فدنا منه فقبل ابراهيم يده وضمه المأمون اليه .

وقال قثم بن جعفر بن سليمان : اخبرنى أبو عباد . قال : بينا أنا فى مجلس المأمون اذ ذكر دعبل بن على الشاعر فقام ابراهيم بن المهدى فقال : ياأمير المؤمنين جعلنى الله فداك . اقطع لسانه ، واضرب عنقه فقد اطلق الله لك دمه . قال : وبم ذاك : أهجاك؟ فوالله لئن كان فعل ذلك فما اباح الله دمه بهجائى . فقال ياأمير المؤمنين : اقطع لسانه ، واضرب عنقه فقد اباحك الله دمه ، فأعاد المأمون كلامه الأول . فقال بعض من حضر ياأمير المؤمنين إنه قد هجا ابراهيم ، فقال : هات ما قال . فأنشده : —

أَنَّى يَكُونُ وَلَا يَكُونُ وَلَمْ يَكُنْ   يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنْ فَاسِقِ
إِنْ كَانَ ابْرَاهِيمُ مُضْطَلِعاً بِهَا   فَلْتَصْلُحَنْ مِنْ بَعْدِهِ لِمُخَارِقِ
وَلَتَصْلُحَنْ مِنْ بَعْدِهِ فِي عَثْعَثٍ   وَلَتَصْلُحَنْ مِنْ بَعْدِهِ لِلْمَارِقِ

قال : فقطع المأمون عليه وقال : حسبك فى ابراهيم مالا يصبر عليه ولا لك .

وحدثنى حماد بن اسحاق قال : كتب ابراهيم بن المهدى الى اسحاق بن ابراهيم وكان ظهر ولده فأهدى اليه الناس جميعاً من أصحاب السلطان فبعث اليه ابراهيم ابن المهدى بجراب ملح ، وبرنية أشنان وكتب اليه : لولا أن البضاعة قصرت بالهمة لانبقست السابقين الى برك ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر وليس لنا فيها ذكر ، وقد بعثت اليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته : والمختوم به لطيبه ونظافته . قال : فاستملح ذلك منه واستظرفه كل من سمعه وحدث المامون به فقال : لا يحسن والله هذا أحد غير عمى ابراهيم .

حدثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال : حدثنى اسماعيل بن الأعلم قال : كنا تنقل ثياب ابراهيم بن المهدى فى اختفائه من دار الى دار على خمسين حمل . قال : فلما كان فى الليلة التى أخذ فيها جهدت به الجهد كله ألا يبرح فقال : إن تركتنى وإلا شققت بطنى فكرهت ان آثره فخرج فأخذ . قال : وكان أخذه فى سنة تسع

ومائتين.وقال المأمون لابراهيم حين صفح عنه : لولم يكن فى حق ابويك حق الصفح عن جرمك لبلغت ما أملت بتنصلك فى لطف توصلك . وكان ابراهيم قال له : إنه ان بلغ جرمى استحلال دمى فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغان عفوه ولى بعدهما شفعة الاقرار بالذنب وحق الأبوة بعد الأب . قال : وقال المأمون حين عفا عن ابراهيم : لو علم اهل الجرائم لذتى فى العفو ما حمدونى عليه ، ولا أنابوا من ذنوبهم فقال ابراهيم اما متمثلا واما مخترعاً : ـ

أَميرُ الْمُؤمنينَ عَفَــوتَ حَتَّى ... كَأَنَّ النَّاسَ لَيسَ لَهُم ذُنُوب

حدثنى ابو عبد الرحمن السمرقندى ، عن بعض اصحابه قال : لما ظفر المأمون

بابراهيم قال محمد بن عبدالملك يحرضه على قتله. وأنشد المأمون فقال: والله لا اشمته به بل أعفو عنه .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّيْءَ للشَّيْءِ عِلَّةٌ ... يَكُونُ لَهُ كَالنَّارِ تُقْدَحُ بالزَّنْد

كذلكَ جَرَّبْنَا الأمُورَ وإنَّمَــا ... يَدُلُّكَ مَا قَدْ كَانَ قَبلُ عَلَى الْبَعْد

رَأَيْنَا حُسَيناً حينَ صَارَ مُحَمَّدٌ ... بغَيرِ أمَانٍ فى يَدَيْهِ وَلاَ عَقْد

فَلَوْ كَانَ أمضَى الْحُكمَ فيه بضَرْبَة ... تُصَيِّرُهُ بالقاع مُنْعَفِرَ الخَدّ

إذَا لَمْ تَكُنْ لِلْجُنْد فيه بَقِيَّةٌ ... فَقَدْ كَانَ مَا بُلِغَتْ مِنْ خَبَرِ الْجُنْد

هُمُ قَتَلُوهُ بعدَ أنْ قَتَلُوا لَهُ ... ثَلاَثينَ ألفاً منْ كُهُول ومنْ مُرْد

فَمَا نَصَرُوهُ عَنْ يَد سَلَفَتْ لَهُ ... وَلاَ قَتَلُوهُ يَوْمَ ذلكَ عَنْ حِقْد

وَلـكنَّهُ الْغَــدْرُ الصُّرَاحُ وخِفَّةُ الْــ ... حُلُومِ وبُعْدُ الرأى عَنْ سَنَنِ الْقَصْد

وَظَنِّى بإبْرَاهيمَ أنَّ مَكَانَهُ ... سَيَبْعَثُ يَوْماً مثْل أيَّامه النُّكْد

تَذَكَّرْ أميرَ المؤمنينَ مَقَامَهُ ... وأيْمَانَهُ فى الهَزْل فيه وفى الجِدّ

بَلَى والَّذى أضْبَحتْ عَبْداً خَليفَةً ... لهُ بِئْسَ أيْمَانُ الْخَليفَة وَالْعَبْد

إذا هزّ أعوادَ المنابرِ باسْمه ... تغنّى بليلَى أو بميّةَ أو هند
ووالله ما منْ توبة نزعتْ به ... إليكَ ولا قُربى لديكَ ولا وُدّ
ولكنّ إخلاصَ الضميرِ مقرّبٌ ... إلى الله زُلْفَى لا تبيدُ ولا تكدى
أتاكَ بها كُرْهًا إليكَ تقودُه ... على رَغْمه واستأثرَ اللهُ بالحمد
فإنْ قُلتَ فى باغى الخلافة قبلَه ... فلَمْ يؤتَ فيما كانَ حاولَ منْ جُهْد
ولمْ ترضَ بعدَ العفو حتّى رفدتَه ... وللنعم أولَى بالتغمد والرفْد
وليسَ سواءً خارجيٌّ رمَى به ... إليكَ سَفاهُ الرأى والرأيُ قدْ يُردى
وآخرُ فى بيت الخلافة يلتقى ... به وبكَ الآباءُ فى ذِروةِ المجْد
ومولاكَ مولاهُ وجندكَ جنده ... وهلْ يجمعُ القينُ الحُسامينِ فى غمْد
فكيفَ بمنْ قدْ بايعَ الناس والتقتْ ... ببيعته الركبانُ غَوراً إلى نجْد
ومنْ صكّ تسليمُ الخلافة سمعَه ... ينادى بها بينَ السماطينِ منْ بعْد
وما أحدٌ سمّى بها قطُّ نفسَه ... ففارقَها حتّى يغيّبَ فى اللحد
وأقبلَ يومَ العيدِ يوجِفُ حولَه ... وجيفَ الجيادِ واصطكاكَ القنَى الجُرْد
ورَجّالة يمشونَ بالبيض قبلَه ... وقدْ تبعُوه بالقضيب وبالبُرْد
وقدْ رابنى منْ أهل بيتكَ أنّنى ... رأيتُ لهمْ وجداً به أيّما وجْد
يقولونَ لا تبعدْ عن ابن ملمّة ... صبور على اللأواء ذى مرّة جلْد
فدانى وهانتْ نفسُه دونَ ملكنا ... عليه على الحال الّذى قلّ منْ يفْدى
على حينَ أعطَى الناسَ صفقَ أكفّهمْ ... علىُّ بنُ موسى بالولاية للعهْد

فَلَوْ يَكُ فِينَا مِنْ أَبَى الضَّيْمَ غَيْرُهُ   وَلـكِنْ حَيَارَى فى القَبُول وَفى الرَّدّ
وَتَزعمُ هذى النَّابتيَّـــةُ أَنهُ   إِمَامُ هُدى فِيمَا تُسِرُّ وَمَا تُبْدى
يَقُولُونَ سنّىٌّ وأية سُنَّـــة   تَتم بصَعْل الرَّأس جَون القَفَا جَعْد
وَقَدْ جَعَلُوا رُخْصَ الطَّعَام بعَهْده   زَعيماً لَهُ باليُمْن والطَّائر السَّعْد
إِذا مَا رَأَوْا يَوماً غَلَاءً رَأَيْتَهُمْ   يَحِنُّونَ تَحْنَاناً إِلَى ذَلِكَ العَهْد

قال : وكتب عبدالله بن العباس بن الحسين بن عبيدالله بن العباس بن على بن ابى طالب الى ابراهيم بن المهدى : ما ادرى كيف اصنع ؟ اغيب فاشتاق ، ثم نلتقى فلا أشتفى ، ثم يجدد لى اللقاء الذى طلبت به الشفاء شقاء من تجديد الحرقة بلوعة الفرقة . فكتب اليه ابراهيم بن المهدى : أنا الذى علمتك الشوق لأنى شكوت ذلك اليك فهيجته منك .

حدثنى أبو ايوب سليمان بن جعفر الرقى قال : كان ابراهيم بن المهدى ذا رأى لغيره ، ضعيف الرأى فى أمر نفسه فقيل له فى ذلك ؟ فقال :لا تنكروه فإنى انظر فى امر غيرى بطباع سليمة مستقيمة، وأنظر فى أمر نفسى بطباع مائلة الى الهوى

حدثنا زيد بن على بن حسين بن زيد بن على بن حسين بن على بن ابى طالب صلوات الله عليهم . قال : حدثنى على بن صالح صاحب المصلى قال : لما اراد المأمون أن ينحى ابراهيم بن المهدى من مرتبة بنى هاشم قال لى : أقعده مع الحرس. قال : قلت له ليس لك ذاك . قال : تقول لى ليس لك ذاك ؟ بلى لى أن أضرب عنقه . قال قلت : لك أن تضرب عنقه وما أردت به ولم أقل ليس لك ذاك أن ليس لك بان تفعل ما أردت ولكن ليس لك أن تعدل عن فعل آبائك . غضب المنصور على فلان فلم يزله عن مرتبة اهل بيته ، وغضب المهدى على عبد الصمد بن على فلم يزله عن ذلك وليس لك إلا ما فعلوا . قال : صدقت ليس لى الا ما فعلوا قال : وأمر فأجلس مع بنى العباس .

حدثني محمد بن العباس قال : دخل ابراهيم بن المهدى يوماً على المأمون فتأمل جثته فقال ياابراهيم : عشقت قط ؟ قال ياأمير المؤمنين : اجلك عن الجواب في هذا . قال : بحياتي اصدقني . قال : وحياتك ما خلوت من عشق قط . قال له : كذبت وحياتك ياابا اسحاق :ـ

وَجْهُ الّذى يَعْشَقُ مَعْرُوفُ   لأَنَّهُ أَصْفَـــرُ مَنْحُوفُ

لَيسَ كَمَنْ تَلْقَاهُ ذَا جُثَّةٍ   كَأَنَّهُ لِلْـــذَبْحِ مَعْلُوفُ

حدثني علي بن محمد قال : سمعت اصحابنا يقولون اجتمع ابراهيم بن المهدى ، والحسن بن سهل عند المأمون ليلا فأراد الحسن أن يضع من ابراهيم ويخبره أنه مغن عالم بالغناء فقال : ياابا اسحاق : أي صوت تغنيه العرب أحسن؟ ففطن ابراهيم فقال : تسمع للخلي وسواساً إذا انصرفت . أي إنك موسوس .

قال احمد بن ابي طاهر حدث ابو موسى هارون بن محمد بن اسماعيل بن موسى الهادى قال: حدثني ابي قال : انصرفنا من دار أمير المؤمنين المأمون يوماً فقال لي ابراهيم بن المهدى مر معي الى منزلي حتى أطعمك لحماً على وجهه ،واسقيك نبيذاً على وجهه وأسمعك غناء على وجهه . فقلت له : ماعن هذا منفرج فمضينا فدخلنا الى منزله فاذا مساليخ معلقة، وماء قدسحق، وكوانين قد أججت، فأمر طباخيه فشرحوا وكببوا وأكلنا ثم أخرج الدنان فوضعت على كراسيها وبذلت وشربنا . ثم بعث الى مخارق ، وعلويه ، واسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال لهم : كلوا مما أكلنا ، والحقوا بنا في شأننا وغناء القوم بغير زمر ولاطبل فقال : هذا اللحم على وجهه ، والشراب على وجهه ثم التفت الى فقال : إنسان يلزمك يقال له منصور بن عبدالله الخرشي فبعثت اليه فحضروأكل مما أكلنا وشركنافيما كنافيه ثم اندفع منصور فتغنى :ـ

عَرَفَتْ حَاجَتِي إِلَيْهَـــا فَضَنَّتْ   وَرَأَتْني صَبّاً بِهـــا فتجنّتْ

فاستجنبه القوم جميعاً ثم تغنى :ـ

أَيُّ نُورٍ تُدِيرُهُ الأَقْدَاحُ   نُورُ دَنٍّ غِذَاؤُهُ التُّفَّاحُ

فاستحسنه القوم واستجادوه فسألوه لمن الغناء فأخذ ينسبه لمعبد وابن شريح مع أغانى كثيرة غناها من غنائه كل ذلك ينسبه الى المتقدمين من المغنين فيقول ابراهيم ابن المهدى ما اعرف هذا ، ويلتفت إلى الجماعة الذين حضروا فيقول : اتعرفون هذا لمن نسبه ؟ . فينكر القوم أن يكونوا يعرفون ذلك. ثم إن ابراهيم بن المهدى قال له يافتى : اصدقنا عن الأغانى لمن هى ؟ قال : هى لى ايها الامير وأنا صنعتها فالتفت اليه مُخارق وعلويه فقالا له : كنت احسن الناس غناءً حتى نسبتها الى نفسك فقال لهم ابراهيم : ليس كما تقولون والله لئن كان هذا قديماً حفظه ونسيناه إنه لاعلم منا ، وإن كان هذا صنعة له فلقد استغنى بصنعتها عن غيره .

وكتب احمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدى بلغنى استقلالك ما كنت ألطفتك به فإن الذى نحن عليه من الأنسة والثقة سهل علينا قلة الحشمة لك فى البر فأهدينا هدية من لا يحتشم الى من لا يغتنم .

حدثنا عبدالله بن الربيع قال : اخبرنا احمد بن مالك . قال : اخبرنى العباس ابن على بن رائطة . قال: بعث الى أمير المؤمنين المأمون فى الليل فصرت اليه وإذا هو جالس مما يلى دجلة فى ليلة مقمرة فسلمت عليه فقال : ياعباس. قلت: لبيك ياأمير المؤمنين . قال : ما ترى ما احسن القمر وصفاء هذا الماء . قال :قلت بلى ياأمير المؤمنين ما حسنه الله إلا بك . قال : فما يصلح هذا ويتمه ؟. قال :قلت رطل من شراب صاف وصوت غناء حسن من مخارق أو ابراهيم بن المهدى . قال اصبت وكأنك كنت فى نفسى . ثم بعث الى مخارق ، والى ابراهيم بن المهدى والى العباس بن المأمون ، والى ابى اسحاق المعتصم فكلما دخل عليه واحد منهم قال له مثل مقالته لى فيرد مثل جوابى ونحوه ثم رفع رأسه الى الخباز فقال : ياغلام ايتهم بطعام خفيف فأتينا ببزماورد فتناولنا منه شيئاً ثم قال النبيذ .فأدير علينا رطل . رطل فقال لابراهيم ياعمى غنى فغناه والشعر لإبراهيم والغناء له فقال :ـ

يا خير من ذملت يمانية به ... بعد الرسول لآيس أو طامع
وأبر من عبد الإله على التقى ... عيناً وأحكمه بحق صادع
إن الذى قسم الفضائل حازها ... فى صلب آدم للإمام السابع

قال أحسنت والله ياعم . لقد أشاروا على بقتلك فمنعنى من ذلك الرقة عليك والحرج من الله . فقال ياأمير المؤمنين : أما انت فلم تعد ما وفقك الله له من الفضل والعفو . وأما هما فقد والله أشارا عليك فى أمرى بالنصيحة الخالصة . قال : فقال المأمون : هذا والله الكلام الجيد النقى الذى يشل السخائم ، وينفى العقوق ويزيد فى البر ياغلام : مائة الف درهم فحملت الى منزله . ثم جاء المؤذن فاذن . فقال : انصرفوا فانصرفوا وأخذ أبو اسحاق بيد ابراهيم فأقسم عليه أن يصير الى منزله فصار اليه فأمر له بخمسين الف درهم وحملان وخلع .

قال: وحدثتني انيرمولاة منصور بن المهدى قالت : قالت لى أسماء بنت المهدى: قلت لأخى ابراهيم ياأخى أشتهى والله أن اسمع من غنائك شيئاً فقال : إذن والله ياأختى لا تسمعين مثله عليه وعليه ثم تغلظ فى اليمين إن لم يكن ابليس ظهر لى وعلمني النقر ، والنغم . وصافحني . وقال لى : اذهبى فأنت مني وأنا منك .

ذكر بناء المأمون

ببوران بنت الحسن بن سهل

قال احمد بن ابى طاهر : ذكر اصحاب التاريخ أن بناء المأمون ببوران بنت الحسن كان فى شهر رمضان من سنة عشر ومائتين وأنه لما مضى الى فم الصلح الى معسكر الحسن بن سهل حمل معه ابراهيم بن المهدى ، ومر بالمصلّبين الذين كانوا مع ابراهيم بن عائشة فى المطبق فأمر بانزالهم وكانوا مصلبين على الجسر الأسفل ، وكان انزالهم فى جمادى الأولى ليلة الثلاثاء لأربع ليال بقيت منه . ولما كان من غد

يوم الأربعاء امر بانزال ابراهيم بن عائشة فكفن وصلى عليه ودفن فى مقابر قريش كما ذكرناه فى خبر ابن عائشة آنفاً .

حدثنى الحارث بن نصر المنجم وكان من اصحاب الحسن بن سهل قال : لما زار المأمون الحسن بن سهل للبناء ببوران ركب من بغداد زورقاً حتى ارقى على باب الحسن بن سهل وكان العباس بن المأمون قد تقدم على الظهر فتلقاه الحسن خارج عسكره فى موضع كان اتخذ له على شاطىء دجلة بنى له فيه جوسق . قال: فلما عاينه العباس ثنى رجله لينزل فحلف عليه ألا يفعل . فلما ساواه ثنى رجله الحسن لينزل فقال له العباس : بحق أمير المؤمنين لا تنزل فاعتنقه الحسن وهو راكب ثم امر ان يقدم اليه دابته ودخلا جميعاً الى منزل الحسن ووافى المأمون فى وقت العشاء وذلك فى شهر رمضان من سنة عشر ومائتين فافطر هو والحسن والعباس ودينار ابن عبدالله قائم على رجله حتى فرغوا من الافطار وغسلوا ايديهم فدعا المأمون بشراب فأتى بجام ذهب فصب فيه وشرب . فمد يده بجام فيه شراب الى الحسن فتباطأ عنه الحسن لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك فغمز دينار بن عبدالله الحسن فقال الحسن ياأمير المؤمنين : أشربه باذنك وأمرك ؟ فقال له المأمون : لولا امرى لم امدد يدى اليك . فأخذ الجام فشربه فلما كان فى الليلة الثانية جمع بين محمد بن الحسن ابن سهل والعباسة بنت الفضل ذى الرياستين فلما كان فى الليلة الثالثة دخل على بوران وعندها حمدونة ، وام جعفر ، وجدتها . فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها الف درة كانت فى صينية ذهب فأمر المأمون أن تجمع وسألها عن عدد الدر كم هو ؟ فقالت: الف حبة . فأمر بعدها فنقصت عشرة فقال : من اخذها منكم ردوها . فقالوا حسين زجلة فأمر بردها . فقال ياأمير المؤمنين : إنما نثر لنأخذه . قال : ردها . فإنى اخلفها عليك فردها وجمع المأمون ذلك الدر فى الآنية ووضع فى حجرها وقال هذه نحلتك فاسلى حوائجك ؟ فأمسكت . فقالت لها جدتها كلمى سيدك واسأليه حوائجك فقد امرك . فسألته الرضى عن ابراهيم بن المهدى . فقال : قد

فعلت ، وسألته الإذن لام جعفر فى الحج فاذن لها ولبستها أم جعفر البدنة الأموية وابتنى بها فى ليلته ، وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر فيها اربعون مَنًّا فى تور ذهب فأنكر المأمون ذلك عليهم . وقال : هذا سرف . فلما كان من غد دعا بإبراهيم بن المهدى فجاء يمشى من شاطىء دجلة عليه مبطنة ملحم وهو متعمم بعمامة حتى دخل فلما رفع الستر عن المأمون رمى بنفسه فصاح المأمون ياعم : لا بأس عليك. فدخل فسلم عليه تسليم الخلافة وقبل يده وأنشده شعراً ودعا بالخلع فخلع عليه خلعة ثانية ودعا له بمركب وقلده سيفاً وخرج فسلم على الناس ورد الى موضعه .

قال الحارث : وأقام المأمون سبعة عشر يوماً يعد له فى كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج اليه . قال : وخلع الحسن بن سهل على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ النفقة عليه خمسين الف الف درهم . قال : وأمر المأمون غسان ابن عباد عند منصرفه أن يدفع الى الحسن عشرة آلاف الف من مال فارس واقطعه الصلح فحملت اليه على المكان وكانت معدة عند غسان بن عباد . قال : فجلس الحسن ففرقها فى قواده ، وأصحابه ، وحشمه ، وخدمه. قال : ولما انصرف المأمون شيعه الحسن ثم رجع الى فم الصلح .

فحدثنى الفضل بن جعفر بن الفضل . قال : حدثنى احمد بن الحسن بن سهل . قال : كان اهلنا يتحدثون أن الحسن بن سهل كتب رقاعاً فيها اسماء ضياعه ونثرها على القواد وعلى بنى هاشم فمن وقعت فى يده رقعة منها فيها اسم الضيعة بعث فتسلمها .

وقال ابو الحسن على بن الحسين بن عبد الأعلى الكاتب . قال: حدثنى الحسن ابن سهل يوماً بأشياء كانت فى أم جعفر ووصف رجاحة عقلها وفهمها ثم قال : سألها يوماً المأمون بفم الصلح حيث خرج للبناء على بوران ، وسأل حمدونة بنت غَضيض عن مقدار ما انفقت فى ذلك الأمر. فقالت حمدونة: أنفق خمسة وعشرين الف الف . قال : فقالت أم جعفر ما صنعت شيئاً قد أنفق ما بين خمسة وثلاثين

الف الف الى سبعة وثلاثين الف الف درهم . قال : واعددنا له شمعتين عنبر . قال: فدخل بها ليلا فأوقدتا بين يديه فكثر دخانهما . فقال : ارفعوهما فقدآذانا الدخان وهاتوا الشمع . قال : ونحلتها أم جعفر فى ذلك اليوم الصلح . قال : فكان سبب عود الصلح الى ملكى وكانت قبل ذلك لى فدخل على يوماً حميد الطوسى فأقرأنى اربعة ابيات امتدح بها ذا الرئاستين فقلت له : تنفذها لك الى ذى الرئاستين وأقطعك الصلح فى العاجل الى أن تأتى مكافاتك من قبله فاقطعته اياها ، ثم ردها المأمون على ام جعفر فنحلتها بوران .

وحدثنى على بن الحسين قال : كان الحسن بن سهل لا يرفع الستور عنه ولا يرفع الشمع من بين يديه حتى تطلع الشمس ويتبينها اذا نظر اليها، وكان متطيراً يحب أن يقال له اذا دخل عليه انصرفنا من فرح وسرور ويكره أن يذكر له جنازة أو موت احد . قال : ودخلت عليه يوماً فقال له قائل : ان على بن الحسين أدخل ابنه الحسن اليوم الكتاب قال : فدعالى وانصرفت فوجدت فى منزلى عشرين الف درهم هبة للحسن وكتابا بعشرين الف درهم ، قال : وكان قد وهب لى من أرضه بالبصرة ما قوم بخمسين الف دينار فقبضه عنى بغا الكبير وأضافه الى أرضه

وقال أبو حسان الزيادى لما صار المامون الى الحسن بن سهل أقام عنده اياماً

بعد البناء ببوران وكان مقامه فى مسيره وذهابه ، ورجوعه اربعين يوماً ودخل بغداد يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال . وقال محمد بن موسى الخوارزمى : خرج المأمون نحو الحسن بن سهل الى فم الصلح لثمان خلون من شهر رمضان ودخل المأمون من فم الصلح لتسع بقين من شوال سنة عشر ومائتين

قال احمد بن ابى طاهر ولما صار المأمون الى بغداد رجوعه من عند الحسن وجه محمد بن حميد الطوسى الى مكة ليقف مع الإمام فى الموقف كراهة للتحلل فيه فتوجه الى مكة ونفذ لما أمر به ولم يكن شىء كرهه ورجع بالسلامة .
وكان الذى أقام الحج للناس فى سنة عشر ومائتين صالح بن العباس بن محمد بن على

ابن عبدالله بن العباس فكان واليا على مكة فكتب اليه محمد بن حميد أن يقيم الحج للناس .

خبرني محمد بن الحسين الواسطى قال : كان الحسن بن سهل والفضل قبله لا ينزلان من المنازل إلا اطراف البلدان فقيل للحسن بن سهل فى ذلك فقال : الأطراف منازل الاشراف يتناولن ما يريدون بالقدرة ، ويتناولون ما يريدن بالحاجة . قال ابو الحسن على بن الحسين الكاتب قال : حدثنى الحسن بن سهل . قال : كانت ليحيى بن خالد جارية فى آخر أيامه فولدت له ابنا قبل الحادثة عليه بأيام قال : فكتبت اليه وهو فى الحبس : إن امهات اولادك وأولادك قد صاروا فى ايام دولتك الى طرف من نعمتك ، وإنها وابنها ضائعان ما ادخرت لها ولا له شيئا . قال : فوقع فى كتابها قد ادخرت لك الفضل بن سهل . قال : فإنى لجالس يوما بين يدى ذى الرئاستين إذ ورد عليه كتاب فقرأه وبكى ثم رمى به الىّ فقال : أتعرف هذا الخط يا ابا محمد ؟ قلت : نعم . هذا خط أبى على يحيى بن خالد وإذا الجارية قد انفذت توقيعه اليه بعينها . قال : فدعا بوكيله فأمره باحضار ما عنده من المال ، وأمرنى باحضار ما عندى قال : فجمعنا ما كان فى ملكنا فى ذلك اليوم فوجدناه ثمانية عشر الف دينار أكثرها لى فحملها الى الجارية .

قال على بن الحسين : وكنت أرى بين يدى الحسن بن سهل ترسا فيه كتبه

فسألته عن ذلك فقال : متعت بك . فتحنا كنا إذ فأخذنا مرقد ملكها فوجدنا كل ما فيه من مخدة ، ووسادة وغير ذلك بمقبض يريد أنه إن ورد عليه فى فراشه شيء يحتاج فى التستر منه كان كلما يمد يده اليه ترساً له فجعلنا مكان ذلك هذا الترس الذى تراه ففيه كتبنا وما بين ايدينا . وإن احتجنا اليه استعملناه .

قال : وحدثنى العباس بن ميمون بن طائع . قال : حدثنى على بن اسماعيل بن متمم قال : قلت للحسن بن سهل : اصلحك الله انت الرجل الذى يستأكل بعلمه فاخبرونى عن النجوم اذا رأيتموها أتقرطسون ؟ فقال : لا ترى الشيء فنستعظمه

فتفسره فيكون التفسير بالتكلف منا . فاكثرنا اصابة : اكثرنا تجربة لا تسئل عن هذا أحداً غيرى .

ذكر اتصال احمد بن ابى خالد بالمامون واستوزاره اياه بعد الفضل بن سهل

قال احمد بن ابى طاهر : حدثونى عن ثمامة قال : لما قتل الفضل بن سهل بعث الىّ المأمون وكنت لا أنصرف من عنده إلا أتوقعه فى منزلى ثم يأتينى رسوله فى جوف الليل فآتيه وكان قد وهلنى لمكان الفضل بن سهل من الوزارة فلما رأيته قد ألح على فى ذلك فتعاللت عليه . فقال لى : إنما اردتك لكذا .وكذا. فقلت ياأمير المؤمنين : إنى لا اقوم بذلك ، وأحرى أن اضن بوضعى من أمير المؤمنين وحالى أن تزول عنده فإنى لم أر احداً تعرض للخدمة والوزارة إلا لم يكن لتسلم حاله ولا تدوم منزلته . قال له المأمون ياثمامة : فأشر على برجل صالح لما اريد ؟ فقلت : احمد بن أبى خالد الأحول يقوم بالخدمة الى ان يرتادأمير المؤمنين أيده الله للموضع من يصلح له على ما فيه من الأود واللدد . قال : فدعاه المأمون فأمره بلزوم الخدمة فلما تمكنت له الخدمة والحرمة تذمم المأمون من تنحيته .

قال احمد بن ابى طاهر : قال على بن الحسين بن عبد الأعلى الكاتب : قال المأمون يوماً لأحمد بن أبى خالد : إنى كنت عزمت ألا أستوزر احداً بعد ذى الرئاستين وقد رأيت أن أستوزرك . فقال ياأمير المؤمنين : اجعل بينى وبين الغاية منزلة يتأملها صديق فيرجوها لى ، ولا يقول عدوى قد بلغ الغاية وليس إلا الانحطاط . فاستحسن المأمون ذلك منه واستوزره .

وقال على بن محمد : كان احمد بن ابى خالد كاتب المأمون شأميا مولى لبنى عامر بن لؤى وأبوه ابو خالد الأحول كان كاتبا لعبيدالله كاتب المهدى ، وكان احمد ابن ابى خالد ، وابن العمركى ، واحمد بن يوسف اخوانا . فكان احمد يأتيهما

الى طعامهما وكان يعجب بالعدسية حب أهل الشأم للعدس . قال ابو الحسن : وكنت اجلس فى مجلس ابى ببغداد الى ان يعود من ركوبه وكان يأمرنى اذا ابطأ فحضره اخوانه وطلبوا الطعام أن اخرج الطعام اليهم فما كان احـداً منهم يطلب الطعام إلا احمد بن ابى خالد فانه كان يقول لطباخ كان لابى تركى :أعندكالعدسية؟ فيقول : نعم . فيؤتى بها فيأ كل منها أكل عشرة ويغسل يده وينتظر ابى حتى يأتى فيأكل معه كأنه لم يأكل شيئاً .

حدثنى محمد بن عيسى . قال : وقال ابو زيد . حدثنى احمد بن ابى خالد الأحول بخراسان فيما كان يخبرنى به عن كرم المأمون ، وفضله ، واحتماله وحسن معاشرته أنه سمع المأمون يوماً وعنده على بن هشام ، وأخواه احمد،والحسين ذكر عمرو بن مسعدة فاستبطأه وقال : أيحسب عمرو أنى لا أعرف اخباره ، وما يجبى اليه ،وما يعامل به الناس بلى والله ثم بعثه ألا يسقط على منه شيء ؟ ! ونهض وانصرفنا . فقصدت عمراً من ساعتى فخبرته بما جرى وأنسيت أن أستحجله من حكايته عنى فراح عمرو الى المأمون فظن المأمون أنه لم يحضر إلا لأمر مهم لموقعه من الرسائل ، والمظالم ، والوزارة فأذن له . فخبرنى عمرو أنه لما دخل عليه وضع سيفه بين يديه وقال ياأمير المؤمنين أنا عائذ بالله من سخطه ، ثم عائذ بك من سخطك ياأمير المؤمنين . أنا أقل من أن يشكونى أمير المؤمنين الى احد ،أو يسر على ضغنا ببعثه ببعض الكلام على اظهاره ما يظهر منه : فقال لى : وما ذاك ؟ فخبرته بما بلغنى ولم أسم له مخبرى فقال لى : لم يكن الأمر كما بلغك ، وانما كانت جملة من تفصيل كنت على أن اخبرك به وإنما اخرج منى ما أخرج معنى تحاربناه وليس لك عندى الا ما تحب فليفرخ روعك ، وليحسن ظنك . فأعدت الكلام فمازال يسكن منى ، ويطيب من نفسى حتى تحلل بعض ما كان فى قلبى ، ثم بدأ فضمنى الى نفسه وقبلت يده فأهوى ليعانقني فشكرته وتبينت في وجهه الحياء والخجل مما تأدى الي

قال احمد : فلما غدوت على المأمون قال لى يااحمد : اما لمجلسى حزمة فقلت ياأمير المؤمنين : وهل الحزم إلا لما فصل عن مجلسك . قال : ماأراكم ترضون بهذه المعاملة فيما بينكم قال : قلت وأية معاملة ياأمير المؤمنين هذا كلام لا اعرفه . قال : بلى. اما سمعت ما كنا فيه أمس من ذكر عمرو ذهب بعض من حضر من بنى هاشم فخبره به فراح الى عمرو مظهراً منه ما وجب عليه أن يظهره فدفعت منه ما امكن دفعه وجعلت أعتذر اليه منه بعذر قد تبين فىّ الخجل منه وكيف يكون اعتذار انسان من كلام قد تكلم به إلا كذلك يتبين فى عينيه ، وشفتيه ، ووجهه ولقد اعطيته ما كان يقنع منى أقل منه ، وما حدانى عليه إلا ما دخلنى من الخساسة وإنما كان نطق به اللسان عن غير روية ولا احتمال مكروه به . فقلت ياأمير المؤمنين : أنا خبرت عمراً به لا احد من ولد هاشم : فقال : انت ؟ قلت انا . فقال :ماحملك على ما فعلت ؟ فقلت : الشكر لك ، والنصح والمحبة لإن تتم نعمتك على اوليائك وخدمك أنا أعلم أن أمير المؤمنين يحب أن يصلح له الأعداء ، والبعداء ، فكيف الأولياء والقرباء ولا سيما مثل عمرو فى دنوه من الخدمة وموقعه من العمل ، ومكانه من رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فيه سمعت أمير المؤمنين انكر منه شيئاً فخبرته به ليصلحه ، ويقوم من نفسه اودها لسيده ومولاه ويتلافى ما فرط منه ولا يفسده مثله ولا يبطل العناء فيه ، وإنما كان يكون ما فعلت عيباً لو أشعت سراً فيه قدح فى السلطان أو نقص تدبير قد استتب : فأما مثل هذا فما حسبته يبلغ أن يكون ذنباً على . فنظر الى مليا ثم قال :كيف قلت ؟ .فأعدت عليه . ثم قال : أعد فأعدت الثالثة . فقال : أحسنت والله ياحمد لما خبرتنى به أحب الى من الف الف ، والف الف ، وألف الف وعقد خنصره وبنصره والوسطى وقال : أما الف الف فلنفيك عنى سوء الظن وأطلق وسطاه ، وأما الف الف فلصدقك إياى عن نفسك وأطلق البنصر . وأما الف الف فلحسن جوابك وأطلق الخنصر وأمر لى بمال .

قال ابو عباد : لما ناقب المأمون احمد بن ابى خالد قال : ما اظن أن الله خلق فى الدنيا نفسا أنبل ولا اكرم من نفس المأمون: قلت. وبما ذاك؟ قال : كان قد عرف نفس الرجل يعنى احمد بن ابى خالد وشرهه فكان اذا وجهه الى رجل برسالة او فى حاجة قال : ايته بالغداة واخلع ثيابك واطمأن عنده فإن انصرفت وقد قمت فاكتب الىّ بجواب ما جئت به فى رقعة وادفعها الى فتح يوصلها الى .

وحدثنى بعض اصحابنا قال : قال المأمون يوما لأحمد بن ابى خالد : اغدُ علىّ باكراً لآخذ القصص التى عندك فانها قد كثرت لنقطع امور اصحابها فقد طال صبرهم على انتظارها فبكر وقعد له المأمون فجعل يعرضها عليه ويوقع عليها الى ان مر بقصة رجل من اليزيديين يقال له فلان اليزيدى فصحف وكان جائعا فقال : الثريدى . فضحك المأمون وقال ياغلام : ثريدة ضخمة لأبى العباس فانه اصبح جائعا ، فخجل احمد وقال : ما انا بجائع ياأمير المؤمنين ولكن صاحب هذه القصة احمق وضع نسبته ثلاث نقط . قال : دع هذا عنك فالجوع اضر بك حتى ذكرت الثريد :فجاؤوه بصحفة عظيمة كثيرة العراق والودك ، فاحتشم احمد: فقال المأمون : بحياتى عليك لما عدلت نحوها فوضع القصص ومال الى الثريد فأكل حتى انتهى والمأمون ينظر اليه فلما فرغ دعا بطست فغسل يده ورجع الى القصص فمرت به قصة فلان الحمصى فقال : فلان الخبيصى . فضحك المأمون وقال ياغلام : جاما ضخما فيه خبيص فإن غداء ابى العباس كان مبتورا . فخجل احمد وقال : ياأمير المؤمنين صاحب هذه القصة احمق فتح الميم فصارت كأنها سنتين . قال دع عنك هذا فلولا حمقه وحمق صاحبه لمت جوعا فجاؤوه بجام خبيص فخجل . فقال له المأمون بحياتى عليك إلا ملت اليها فانحرف فانثنى عليه وغسل يده ثم عاد الى القصص فما اسقط حرفا حتى اتى على آخرها .

قال احمد بن ابى طاهر : ولما انصرف دينار بن عبدالله عن الجبل كان المأمون واجداً عليه فأقام فى المدائن فى حراقته حينا حتى رضى عنه . قال :

فوجه اليه المأمون احمد بن ابي خالد وقال : قـل له فعلت كذا ، وصنعت كذا .
واحفظ ما يرجع اليك من جوابه . فلما مضى احمد قال لياسر رجُله وكان قد سمع الرسالة والـكلام الذى حمله الى دينار اتبعه فانظر ما يقول لدينـار وما يرد عليه وأعلمنى ما يصنع عنده فإنه إن تغدى عنده رجع بكل ما يحب دينار ،وإن لم يطعمه رجع بكل ما يكره . قال : فلما خرج علم وكيل دينار أنه يريده فوجه رسولا الى صاحبه يخبره بمجيئه . فقال دينار لقهرمانه : إن احمد اشره من نفخ فيـه الروح فانظر اذا هو خرج من الماء فقل له ما الذى يتخذ لك حتى تتغدى به. فلـما خرج من الحراقة قال له ذلك . قال . فراريج كسكرية بخبز الماء وماء الرمان. قال: فذبح له عشرون فروجاً وشواها وخبز خبز الماء فى اقل من ساعة ثم جاءه فقـال : قـد تهيأ طعامنا . قال : ويلك هات فانى أجوع من كلب . فقرب اليه الطعام فأتى على الفراريج حتى لم يدع إلا عظما عاريا وقرب اليه الحار والبارد والحلو والحامض فما وضع بين يديه شيء إلا اثر فيه فلما انتهى جاءه الطباخ بخمس سمكات على طبق يلوح له بها فصاح بالقهرمان ياابن الخبيثة :كان ينبغى أن تقدم هذا قبل كل شيء فقـال صدق والله ولـكن هاته فأكل منه أكل من لم يذق شيئا ثم قال لدينار يقول لك أمير المؤمنين : قد حصلت لنا قبلك أموال منها ما هو بخطك فى الديوان ،ومنها ما اقررت بها على لسان كاتبك . قال : فقال دينار : ما لـكم قبلى إلا سبعـة آلاف الف ما اعرف غيرها . قال : فاحمل هذا المال الذى لا تنـكره . قال احمله فى ثلاث نجوم قال فاتفقنا على ذلك . قال : فلما تغدى وثقلت معدته هم بالانصراف فقال : اعد علىّ الجواب قال نعم: لكم عندى ستة آلاف الف قال يـاسر: إنها سبعة الآلف الف وهذا ابو العباس فسأله قال ياابا العباس: ألم تقل الساعة لكم عندى سبعة آلاف الف.؟ قال: ما أحفظ ما قال ولـكن قل الساعة بحفظ كلامك . قال دينار ماقلت إلا ستة آلاف الف فانصرف احمد وسبقه ياسر فدخل فحكى للمأمون القصة حرفا . حرفا . فلما دخل احمد اخبره بما قال دينار حتى انتهى الى جملة المال فقال : اقر بخمسة آلاف الف فضحك المأمون

وقال : الف الف للغداء قد عرفنا موضعها . فالألف الألف الأخرى لماذاسقطت فأخذ بستة آلاف الف وقال : ما رأيت غداء قط قام بألف الف على رجل واحد إلا غداء دينار علينا . وسمعت من يذكر أنه ولى رجلا كورة عظيمة القدر بخوان فالوذج اهداه اليه .

قال : وحدثنى بعض اصحابنا أن جماعة من أهـــل كورة الأهواز شكوا عاملا كان عليهم فعزل وصــــار الى مدينة السلام فتكلموا فيه فأنهى خبرهم الى المأمون فأحضرهم وخصمهم وأمر احمد بن ابى خالد بالنظر فى أمورهم . فقال رجل من خصوم العامل يا أمير المؤمنين : جعلنى الله فداك تقدم الى احمد أن لا يقبل من هذا الفاجر هدية حتى يقطع أمرنا . فوالله لئن أكل من طعامه رغيفاً، ومن فالوذجه جاما ليدحضن الله حجتنا على يديه ، وليبطلن حقنـا على يديه . فقال : احضروا يوم الأربعاء حتى أنظر فى امـوركم بنفسى وأُجرىَ على ابن ابى خالد فى كل يوم الف درهم لمائدته لئلا يشره الى طعام احد من بطانته .

قال احمد بن ابى طاهر : رفع الى المأمون فى المظالم ان راى أمير المؤمنـين أن يجرى على احمد بن ابى خالد نزلا فإن فيه جنسية من الـكلاب وقال : إن الـكلب يحرس المنزل بالـكسرة واللقمة ، وأحمد بن ابى خالد يقتل المظلوم ويعين الظالم بأكلة . قال : فاجرى عليه المأمون الف درهم فى كل يوم لمائدته فكان مع هذا يشره الى طعام الناس وتمتد عينه الى هدية تأتيه وفيه يقول دعْبل : —

شَكَرْنا الْخَليفَةَ إجْـــراءَهُ   عَلَى ابْن أَبِى خَالد نُزْلَهُ
وَكَفَّ أذَاهُ عن الْمُسْلمِينَ   وَصَيَّرَ فِى بَيْتِـــه أُكْلَهُ
وَقَدْ كَانَ يقْسِمُ أَشْغَـــالَهُ   فَصَيَّرَ فِى نَفْسِه شُغْـــلَهُ

وقال أيضـــا يهجوه ويذكر ابا عباد ، وعمرو بن مسعدة ويصف شراهة احمد ابن ابى خالد : —

لَوْلاَ تَكُونُ لِكَاتِبٍ لك رَبْعُهُ يَقْضِى الحَوائجَ مُسْتَطِيلَ الرَّأْس
لَمْ تَغْد بَالْلُبون عِنْدَ فطَامه يَوْماً وَلاَ بِمُطِجِّنِ القُلْقَاس
أَوْ كَانَ مَسْعدَةَ الْكَرِيم نِجَارُهُ بَيْتُ الْكِتَابَة فى بَنِى العبَّاس
يَغْدُو عَلَى أَضْيافه مُسْتَطِعاً كالْكَلْبِ يأكُلُ فى بيُوت النَّاس

قال: وكان مع هذا أسى اللقاء، عابس الوجه يهر فى وجوه الخاص والعام غير أن فعله كان أحسن من لقائه، وكان من عرف أخلاقه، وصبر على مداراته نفعه، وعرضه، وأكسبه وكان يرمى هو والفضل بن الربيع قبله، والحرانى قبلهما بالأبنة كما ذكر.

حدثني بعض اصحابنا قال: وقع بين أحمد بن ابى خالد، ومحمد بن الفضل بن سليمان الطوسى كلام وجرت بينهما منازعة بحضرة المامون، وكان ابن الطوسى سليط اللسان بذىء الكلام. فقال والله ياأمير المؤمنين: لحدثنى ذو اليمينين طاهر بن الحسين أنه استزاره وأنه نادمه قال فقام لقضاء حاجته وأبطأ على ذى اليمينين رجوعه فذكر أنه خرج فى أثره فإذا بعض غلمانه على ظهره وهذا ذو اليمينين بالحضرة ما استشهدت ميتا، ولا كذبت على غائب متعمداً. فامر المأمون باحضار ذى اليمينين فحضر فساله فانكر ذلك انكاراً ضعيفا ولم يدفعه دفعا قويا. قال: فاتضع عند المأمون بعد هذه. وتهيأ أن حمل يحيى بن اكثم اليه من اموال الحشرية ثلاث مائة الف دينار وهو اذ ذاك حاكم أهل البصرة وقبل ذلك ما وصله الحسن ابن سهل وقال من حاله وتبله ومن فهمه ومن صيانته نفسه ما حرك المأمون على اجتبائه واختياره.

ذكر وفاة احمد بن ابى خالد

قال: لما مات احمد بن ابى خالد الأحول حضر المأمون جنازته وصلى عليه فلما ولى فى حفرته ترحم عليه ثم قال: انت والله كما قال القائل: —

أَخُو الجِدِّ إن جَدَّ الرجَالُ وشَمَّرُوا وَذُو باطلٍ إنْ كانَ فى القَوْمِ باطل

وكانت وفاة احمد بن ابى خالد فى ذى القعدة سنة احدى عشر ومائتين.

حدثنى عبد الوهاب بن اشرس قال: قال احمد بن ابى خالد الأحول يوماً لثمامة بحضرة المأمون يا ثمامة: كل أحد فى الدار فله معنى غيرك فإنه لا معنى لك فى دار أمير المؤمنين. فقال له ثمامة: إن معناى فى الدار والحاجة إلىّ لبينة. فقال: وما الذى تصلح له؟ قال: اشاور فى مثلك هل تصلح لموضعك ام لا تصلح. قال: فافحم. فما رد عليه جواباً.

حدثنى محمد بن موسى بن ابراهيم قال: أراد المأمون الخروج الى المدائن فاستخلف احمد بن ابى خالد فى الرصافة، واستخلف عمرو بن مسعدة فى المخرم. قال: فقال احمد بن ابى خالد يا أمير المؤمنين: إنك تشخص وتخلف ببابك احراراً، واشرافاً اعينهم ممدودة الى فضلك، وآمالهم فيك منفسحة، فاذا شخصت انقطعت آمالهم فلو امرت لهم بمال ففرق فيهم بعد شخوصك كأنهم لم يفقدون. قال: فقال المأمون: قدر فى ذلك تقديراً. قال: ليأمر أمير المؤمنين بما رأى. قال: قد امرت لهم بألف الف درهم تفرقها فيهم على قدر استحقاقهم. قال: فقال له احمد بن ابى خالد يا أمير المؤمنين فعندى ما اريد أن اورده بيت مال أمير المؤمنين افاجعلهم منه.؟ قال: نعم. قال: فشخص المأمون الى المدائن، وقعد عمرو فى المخرم، واحمد بن أبى خالد فى الرصافة فجعل ابن ابى خالد يتذكر من يؤمله وهم بباب الخليفة من الأحرار والاشراف فيسمى لكل رجل بمال ويجعله فى كيس ويكتب عليه اسمه حتى تعدى الى أصحاب عمرو بن مسعدة فكتب اسماءهم ثم قال اذن للناس. فجعل لا يدخل عليه رجل إلا قال له: إن أمير المؤمنين ذكرك وقد امر لك بمال: قال: ثم يدعو

به فيدفع اليه فما دخل عليه احد يومئذ فخرج من عنده مخفقا ،وبلغ الخبر أصحاب عمرو فأتوه وأخذوا صلاتهم فكثر الناس على بابه وخفوا عن باب عمرو حتى كان لا يلزمه إلا كتابه . قال فأتاه بعد ذلك بيومين او ثلاث رجل من آل مروان بن ابى حفصة فمثل بين يديه فأنشده : —

قُلْ للإمَامِ وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ ... رَأْسَ المُلُوكِ وما الأَذْنَابُ كالرَّاس

إنِّى أَعُوذُ بِهارُونَ وَحُفْرَتِه ... وقَبْرِ عَمِّ نَبِيِّ اللهِ عَبَّاس

مِنْ أَنْ تَكُرَّ بِنَا يَوماً رَوَاحِلُنَا ... إلى اليَمَامَةِ مِنْ بَغْدَادَ بِالْيأْس

قال : فقال ويحك ياغلام ما بقى عندك من ذلك المال ؟ . قال : عشرة آلاف درهم . قال : فادفعها اليه . قال فدفعت اليه .

قال حدثنى جرير النصرانى : أن احمد بن ابى خالد كلم المأمون فى جاره صالح الأضخم وأخبره أنه كان لله عليه نعمة وأن حاله قد رثت فأمر له باربع مائةالف درهم . فقال له مازحاً : كلمت أمير المؤمنين فى امرك فلم يكن عنده فى حاجتك شىء . قال : لأنك كلمته ونيتك ضعيفة فخرج الكلام على قدر النية والجواب على قدر الكلام . قال : فقال ما أفتلتُ منك على مال فصالحنى على شىء اخبره به فلعله يفعل أو اعطيكه من مالى . قال: اما من مالك فلاحاجة لى فيه ولا اقول فى هذا شىء . قال احمد : مائة الف قال إن فيها لصلاح . قال فإن كانت مائتين ؟ قال فذاك افضل يقضى به الدين ويتخذ به المروءة ، وتكون منها ذخيرة . قال : فقد أمر لك بأربع مائة الف فقال : يامعشر الناس فى الدنيا خلق أشر من هذا. عندك هذا الخبر وتعذبنى هذا العذاب ثم دعا وشكر .

قال احمد بن ابى طاهر : وخبرت أن المأمون قال لأحمد يوماً : أيش تصنع اذا انصرفت الساعة . قال : أقضى حق ابى سعيد الحسن بن قحطبة

عائداً، وأنه لرث الحال . قال : تحب أن اهب له شيئا . قال : أحب أن تهب لأوليائك كلهم . قال : اعطه مائة الف . قال : احملها اليه الساعة من بيت المال؟. فقال المأمون: نعم . قال : جزاك الله ياامير المؤمنين عن شيعتك ،وأوليائك خيراً فحملها اليه وأخبر الخبر .

وحدثني بعض اصحابنا : ان محمد بن الحسن بن مصعب اتى احمد بن ابى خالد لما ولى الجبل وهو يريد الخروج اليه . فقال له : إنى كنت سميت لك ثلاث مائة الف درهم من مال أمير المؤمنين وقد وقعت بها وأنت تخرج . وقال لقهرمانه يزيد بن الفرج : اذهب الى الخزان فلا تفارقهم حتى يحملوها إليه، وأعطه من مالى مائة الف وخمسين الف درهم لأنه لا يجوز لى أن اجاوز نصف ما امر به أمير المؤمنين أطال الله بقاءه . فتعذر محمد بن الحسن من صلته فقال : والله لئن لم تقبلها لأقطعنك ولا كلمتك أبداً فسارّ يزيد احمد بن ابى خالد فقال : المال عندنا اليوم يتعذر . فقال : لا بد والله من أن تحمل اليه الساعة مائة الف درهم دفعة.

وقال: قال المأمون لأحمد بن ابى خالد وغسان بعد أن ظفر بابراهيم بن المهدى ما تريان فيه ؟ فقال غسان : تقتله . فقال احمد بن ابى خالد : تعفو عنه . فقال له غسان : هل رأيت احداً فعل هذا الفعل . فقال له احمد : العفو صواب أو خطأ ؟ . قال له : صواب . فقال احمد بن ابى خالد : أمير المؤمنين أولى الناس بأن يفعل من الصواب ما لم يسبقه أحد . فعفا عن ابراهيم . وقال للمامون : انما اشار عليك غسان بقتله لأنه حارب آل ذى الرئاستين .

وحدثني أن احمد بن ابى خالد كان يقول : يهدى الى الطعام فوالله ما ادرى ما أصنع به يهديه الىّ صديق أستحى من رده عليه . وبلغنى ان احمد بن ابى خالد كان يجرى ثلاثين الفا على رجال من أهل العسكر ، منهم : العباس ، وهاشم ابنا عبد الله بن مالك لم يوجد لهما ذكر فى ديوانه تكرماً .

وحدثنى جرير بن ابراهيم بن العباس قال : بعثنى احمد بن ابى خالد الى طلحة بن طاهر فقال : قل له ليس لك بالسواد ضيعة وهذه الف الف درهم بعثت بها اليك فاشتر بها ضيعة ، والله لئن لم تأخذها لأغضبن ، وإن اخذتها لتسرنى فردها فقال ابراهيم: ما رأيت اكرم منهما احمد بن ابى خالد معطياً وطلحة متنزهاً

ذكر اتصال احمد بن يوسف بالمأمون

قال احمد بن ابى طاهر : كان أحمد بن ابى خالد يصف لأمير المؤمنين احمد بن يوسف كثيراً ، ويحمله على منادمته ، ويريده طاهر بن الحسين ويزين أمره واذا حضر ابراهيم بن المهدى اطراه فأمر المأمون أحمد بن ابى خالد باحضاره فلما اخذوا مجالسهم غمز احمد بن ابى خالد احمد بن يوسف أن يتكلم فقال: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذى استخصك فيما استحفظك من دينه ، وقلدك من خلافته بسوابغ نعمه ، وفضائل قسمه ، وعرفك من تيسر كل عسير حاولك ، وغلبة كل متمرد صاولك ماجعله تكملة لما حباك به من موارد أموره بنجح مصادرها حمداً نامياً زائداً لا ينقطع أولاه ولا ينقضى أخراه ، وأنا أسئل الله يا أمير المؤمنين من اتمام آلائه لديك ، وإنماء مننه عليك ، وكفايته ماولاك واسترعاك، وتحصين ما حاز لك ، والتمكين فى بلاد عدوك حتى يمنع بك بيضة الاسلام، ويعز بك أهلك ويبيح لك حماة الشرك ، يجمع لك متباين الألفة ، وينحز بك فى أهل العنود والضلالة إنه سميع الدعاء ، فعال لما يشاء . فقال له المأمون: أحسنت وبورك عليك ناطقاً وساكتاً . ثم قال بعد أن بلاه واختبره : عجبا لأحمد بن يوسف كيف استطاع أن يخبأ نفسه .

حدثنى ابو الطيب بن عبدالله بن احمد بن يوسف قال : كان ابو جعفر احمد ابن يوسف بعد دخوله على المأمون يتقلد ديوان السر للمأمون وبريد خراسان ، وصدقات البصرة ، وصير له المأمون نصف الصدقات بالبصرة طعمة له سبع سنين

وكان قبل ولايته البصرة سلّفه الأهواز فصرف عنها وكان عمرو بن مسعدة يتقلد ديوان الرسائل فكان المأمون لعلمه بقدم احمد فى صناعته اذا حضر أمر يحتاج فيه الى كتاب يشهر ويذكر امر احمد فكتب.مثل كتاب الخميسين ، وهدم البيت المشبه بالكعبة ، وسائر كتبه بليغة .

قال احمد بن ابى طاهر : دخل احمد بن يوسف يوماً على المأمون فأمره فكتب بين يديه والمأمون يملى عليه . قال: وكان احمدبن يوسف مع لسانه حلو الخط جداً . فنظر المأمون الى خطه . فقال ياحمد : لوددت أنى أخط مثل خطك وعلى صدقة الف الف درهم . قال : فقال احمد بن يوسف : لا يسوؤك الله ياأمير المؤمنين فإن الله عز وجل لو ارتضى الخط لأحد من خلقه لعلمه نبيه ﷺ قال : فقال المأمون سريتها عنى ياأحمد . وأمر له بخمسائة الف درهم . وحدثنى عن احمد بن يوسف بن القاسم الكاتب قال : امرنى المأمون أن اكتب الى جميع العمال فى اخذ الناس بالاستكثار من المصابيح فى شهر رمضان وتعريفهم مافى ذلك من الفضل فما دريت ما اكتب ولا ما اقول فى ذلك إذ لم يسبقنى اليه أحد فأسلك طريقه ومذهبه فَقِلْتُ فى وقت نصف النهار — فأتانى آت فقال : قل : فإن فى ذلك انساً للسائلة ، وإضاءة للمجتهدين ، ونفياً لمظان الريب ، وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلمة فكتبت هذا الكلام وغيره مما هو فى معناه . قال : ودخل احمد بن يوسف على المأمون فقال له : ياأمير المؤمنين ما رضى اهل الصدقات عن رسول ﷺ حتى انزل الله عز وجل فيهم : (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها اذاهم يسخطون [(١)]) فكيف يرضون عنى .

حدثنى احمد بن القاسم الكاتب . قال : حدثنى نصر الخادم مولى احمد بن يوسف قال : كان احمد بن يوسف يتبنى مؤنسة جارية أمير المؤمنين المامون ،

---

(١) سورة التوبة ٥٨

وجرى بينها وبين المأمون بعض ما يجرى . قال : وخرج المأمون الى الشماسية وخلفها فجاء رسولها الى احمد بن يوسف تستغيث به فوجهنى احمد اليها فعرفت الخبر ثم رجعت فأخبرته . قال : فقال : دابتى . ثم مضى فلحق أمير المؤمنين بالشماسية فقال للحاجب : اعلم أمير المؤمنين أن احمد بن يوسف بالباب وهو رسول فأذن له فدخل فسأله عن الرسالة ما هى ؟ فاندفع ينشده :—

قَدْ كَانَ عَتْبُكَ مَرَّةً مَكْتُومَا فَالْيوم أَصْبَحَ ظَاهِراً مَعْلُوما

نَالَ الأَعَادِى سُؤْلَهُمْ لاهُنْئوا لَمَّا رَأَوْنِى ظَاعِناً ومُقِيما

هَبْنِى أَسَأْتُ فَعَادَةٌ لَكَ أَنْ تُرى مُتَفَضِّلاً مُتَجَاوِزاً مَظْلُوماَ

قال: قد فهمت الرسالة. كن الرسول بالرضاء . ياياسر: امض معه. قال: فحملت الرسالة وحملها ياسر .

قال احمد بن ابى طاهر : قال المأمون يوما لأصحابه أخبرونى عن غسان بن عباد فانى اريده لأمر جسيم وكان قد عزم أن يوليه السند . فقال بشر ابن داود بن يزيد : قد خالف واستبد بالفىء والخراج فتكلم القوم وأطنبوا فى مدحه فنظر المأمون الى احمد بن يوسف وهو ساكت . فقال له : ما تقول يا احمد؟ قال يا أمير المؤمنين : ذاك رجل محاسنه أكثر من مساويه، لا تصرف به طباقه إلا انتصف منهم مهما تخوفت عليه فانه لن يأتى أمراً يعتذر منه ، لأنه قسم ايامه بين ايام الفضل فجعل لكل خلق نوبة إذا نظرت فى أمره لم تدر أى حالاته أعجب اما هداه اليه عقله، امما اكتسبه بالأدب . قال : لقد مدحته على سوء رأيك فيه. قال : لأنه فيما قلت كما قال الشاعر :—

كَفَى ثمناً لمَا أسْدَيْتَ أَنّى مَدَحْتُكَ فى الصَّديق وفى عدَاتى

وَإنَّكَ حينَ تَنْصِبُنِى لأَمرٍ يَكُونُ هَوَاكَ أَغْلَبُ من هَوَائى

قال : فأعجب المأمون كلامه واسترجح أدبه .

قال عزّى: احمد بن يوسف ولد رجل من آل الربيع وكان له مواصلا فقال : عظم الله اجركم ، وجبر مصابكم ،ووجه الرحمة الى فقيدكم ، وجعل لكم من وراء مصيبتكم حالا تجمع كلمتكم ، وتلم شعثكم ، ولا تفرق ملأكم .

قال احمد بن ابى طاهر : ولما حضر احمد بن يوسف بالمأمون وغلب عليه حسده المعتصم فاحتال له بكل حيلة فلم يجد وجهاً يسبعه به عنده ، وكان المأمون يوجه الى احمد بن يوسف فى السحر ويحضر المعتصم وأصحابه فى وقت الغداء فكان ذلك مما اغتم له خاصة المأمون أجمع . فشكا ذلك المعتصم الى محمد بن الخليل بن هشام وكان خاصاً بالمعتصم فقال : أنا أحتال له . قال : فدس محمد بن الخليل خادماً ممن يقوم على رأس المأمون فقال له : اذا خص المأمون احمد بن يوسف بكرامة او لون من الألوان ولم يكن لذلك احد حاضر فأعلمنى وضمن له على ذلك ضماناً فوجه المأمون يوماً فى السحر كما كان يفعل الى احمد بن يوسف وليس عنده احد، وتحته مجمرة عليها بيضة عنبر وكان امر بوضعها حين دخل احمد ولم تكن النار علت فيها إلا أخذ ذلك فأراد أمير المؤمنين ان يكرم أحمد بها ويؤثره فقال للخادم: خذ المجمرة من تحتى وصيرها تحت احمد . ويحضر محمد بن الخليل فيخبره الخادم بذلك . وكان المأمون يستطرف محمد بن الخليل ويدعوه احيانا فيقول له : ما تقول العامة ، وما يتحدث به الناس ؟ فيخبره بذلك . فدعاه بعد يوم المجمرة بأيام فقال له ما تقول الناس . ؟ فقال ياسيدى شيء حدث منذ ليال من ذكرك أجل سمعك منه . فقال لا بد من أن تخبرنى . فقال : انصرفت يوماً فمررت بمشرعة وأنا فى الزلال فسمعت سقاء يقول لآخر معه ما رأيت كما يخبر ندماء هذا الرجل عنه . فقال له ومن تغنى ؟ . قال له أمير المؤمنين . فقال له وما ذاك ؟ قال : انصرف من عنده احمد بن يوسف فسمعته يقول لغلامه : ما رأيت احداً قط ابخل ولا اعجب من المأمون . دخلت عليه اليوم وهو يتبخر فلم تتسع نفسه أن يدعو لى بقطعة بخور حتى اخرج القتار الذى كان تحته فبخرنى به . فعرف المأمون الحديث

وقال فى نفسه . والله ما حضر هذا اليوم احد فأتوهم فيه ضربا من الضروب. وجفا احمد بن يوسف وحجبه اياما . وأخبر محمد بن الخليل المعتصم فوفى له بما كان فارقه عليه .

اخبار أبى دُلف القاسم بن عيسى بن ادريس

قال احمد بن أبى طاهر : قال احمد بن يوسف حدثنى ظريف مولانا وكان نحويا قال : وجهنى مولاى القاسم بن يوسف بكتاب الى ابى دلف القاسم بن عيسى وهو يومئذ ببغداد قال : فدخلت عليه وعنده على بن هشام وجماعة من قواد أمير المؤمنين وهو مكبوب على شطرنج بين ايديهم فقربنى وساءلنى وأخذ الكتاب وأمرنى بالجلوس . قال : فقال له على بن هشام أو بعض من حضر : قربت هذا العبد وأجلسته ؟ فقال له : إنه اديب وإنه شاعر وهو عبد من هو عبده. قال : فقالوا : إن كان شاعراً فليقل فى أينا اليه أحب ابياتا . قال ذلك اليه . قال : فقلت تأذن جعلنى الله فداك فى شىء قد حضرنى . قال : هاته . فأنشده : —

أبُو دُلَفٍ فَتَى الْعَرَبِ   وفَارِسُهَا لَدَى الْكُرَبِ
وهُوبُ الفضَّةِ البَيْضَآءِ   والْعِيَنَاتِ والذَّهَبِ
أحبُّكُمُ إلَى قَلْبِى   وإنْ كُنْتُمْ ذَوِى حَسَبِ

قال فكتب جواب الكتاب وتشور القوم وعدت بالجواب الى مولاى فلما قرأه قال لى : احدثت ثم حدثا ؟ قلت : لا . قال لتصدقنى عن المجلس فحدثته بكل ما كان فاعتقنى وولدى وامرأتى ووهب لى المنزل الذى كنت انزله، وأمر لى بخمسمائة درهم فخرجت من عنده فإذا اخوانى وأصحابى على الباب ليهنؤنى إذا برسول ابى دلف وأحد وكلائه قد وافى فسألنى عن حالى فأخبرته . فأخرج الى كيساً فدفعه الىّ وقال وجهنى ابو دلف وقال لى ان اصبته مملوكا فاشتره ، وإن أصبته حراً فادفع اليه هذه الدنانير .

حدثنى مسعود بن عيسى بن اسماعيل العبدى قال : حدثنى موسى بن عبيد الله التيمى قال : كان ابو دلف ايام المأمون مقيما ببغداد وكانت معه جارية افادها من بغداد فاشتاق الى الكرخ فخاطبها فى الخروج معه الى الكرخ فأبت عليه فقالت : بغداد وطنى فلما عزم على الرحيل تمثل : ـ

وَسلاَمٌ عَلَيْك يَاظَبْيَةَ الْكَرْ   خ أقِمْ وَحَانَ مِنَّا ارْتِحَالُ
وَمقَامُ الْكَرِيم فى بَلَد الْهو   نِ إذَا أمْكنَ الرَّحِيلُ مُحَالُ
حَيْثُ لَا رَافِعًا لسيْفٍ مِنَ الضَّـ   ـيْم ولا لِلْكمَاةَ فيـه مَجَالُ
فى بِلَادٍ يذلُّ فيهَا عَزِيزُ الْـ   ـقَوْم حَتَّى يَنَالَهُ الإنْذَالُ

وحدثنى احمد بن القاسم العجلى . قال : حدثنى عبدالله بن نوح . قال : قدم ابو دلف العجلى قدومه الى بغداد فى ايام المأمون فجاءنى بعض فتياننا فقال ارتحل اليه فإنى ضعيف الحال ولعله أن يرتاح لى بما يغنينى وقد عملت فيه ابياتا فاتاه فطلب الوصول اليه قال : فلما دخل خبره بنسبه فرحب به ثم استأذنه فى انشاده فاذن له فقال : ـ

إنِّى أتيْتُكَ وَاثقاً إذْ قِيلَ لى   أنْ نِعْمَ مَأوَى الْيَائس الْمَحْرُوب
يُعْطِى فَيُغْنِى مَنْ حَبَاهُ بَسيْبِه   بِشْرٌ إلَى السُّؤال غَيْرُ قَطُوب
وَرَجَوْتُ أنْ أحْظَى بجُودكَ بالْغِنَى   وَأحُلُّ فى عَطَن لَدَيْكَ رَحِيب
فَلَئنْ رَجَعْتُ ببعْض مَا أمَّلْتُهُ   فَلَقَدْ أرَاحَ اللهُ كُلَّ كُرُوبى
أولاَ فَصَبْراً للزَّمَان وَرَيْبـه   صَبْرَ الْمُحب عَلَى أذَى الْمحْبُوب

فقال لى : كم الذى يغنيك ؟ . فقلت إنى لمختل معتل وانى الى فضلك لفقير .

فسأل عنى بعض من عنده من اهلى فعرفنى فأمر لى بخمسة آلاف درهم.وكتب الى وكيله أن يشترى لى داراً . قال : فانصرف بأكثر امنيته . قال : وحدثنى على بن يوسف قال : كنت يوماً عند ابى دلف ببغداد فجاء الآذن فقال : جعيفران الموسوس بالباب . قال : فقال إن فى العقلاء والأصحاب من يشغلنا عن الموسوس قال : قلت قد جعلت فداك أن يفعل فإن له لساناً . قال : فأذن له فدخل فلما مثل بين يديه قال : —

يَا أَكْرَمَ الأُمَّةِ مَوْجُـــوداً وَيَاأَعَزَّ النَّـــاسِ مَفْقُودا
لَمَّا سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ واحِد أَصْبَحَ فى الأُمَّةِ مَحْمُودا
قَالُوا جَمِيعــاً إِنَّهُ قَاسِمٌ أَشْبَـــهَ آبَاءً لَهُ صِيـــدا
لَوْ عَبَدُوا شَيْئاً سوَى رِبِّهِمْ أَصْبَحْتَ فى الأُمَّـــةِ مَعْبُودا

قال : فأمر له بكسوة فطرحت عليـــه وأمر له بمائه درهم . فقال له جعيفران: جعلت فداك تأمر القهرمان أن يعطينى منها دراهم قد ذكرها كلما جئته دفع الى من الدراهم ما أريده حتى تنفد قال : نعم . وكلما اردت حتى يفرق بيننا الموت .قال : فأطرق جعيفران وبكى وأكب على إصبعه فقلت: مالك ؟ قال : فالتفت الىّ فقال : —

يَمُوتُ هَذَا الَّذِى نَـــرَاهُ وَكُلُّ شَىْءٍ لَهُ نَفَـــادُ
لَوْ أَنَّ خَلْقاً له خُلُودٌ خُلِّدَ ذَا المُفْضِلُ الجَوَادُ

وانصرف . قال: فقـــال لى ابو دلف : ياابا الحسن انت كنت أعلم بصاحبك منا.

حدثنى احمد بن يحيي ابو على الرازى قال : سمعت ابا تمام الطائى يقول : دخلنا على ابى دلف انا ودعبل الشاعر وبعض الشعراء اظنه عمارة وهو يلاعب جارية له بالشطرنج فلما رآنا قال قولوا فى هذا شعراً : —

رُبَّ يَوْمٍ قَطَعْتُ لاَ بِمُـــدَامٍ بَلْ بِشِطْرَنْجِنَا نُحِيلُ الرِّخَاخَا

ثم قال : أجيزوا . فبقينا ننظر بعضنا الى بعض . قال : فلم لا تقولون :ـ

وَسْطَ بُسْتَان قَاسِمٍ فى جِنَانٍ   قَدْ علَوْنَا مَفَارِشا ونِخَاخَا
وَحَوَيْنَـا منَ الظِّبَاء غَزَالاً   طُرُبٌ لَحْنُهُ يفُوقُ الْمخَاخَا
فَنَصَبْنَا لَهُ الشِّبَاكَ زَمَانَاً   وَنَصبنَاَ مع الشِّبَاك فِخَاخَـا
فَأَصَدْنَاهُ بَعْدَ خَمْسَةِ شَهْـرٍ   وَسْطَ نَهْرٍ يَشخُّ مَاء شخَاخَا

قال : فنهضنا عنــه . فقال : الى أين مكانكم حتى يكتب لكم بجوائزكم ؟ . فقلنا لا حاجة لنا فى جائزتك حسبنا ما نزل بنا منك فى هذا اليوم . فأمر بأن تضعف لنا.

حدثنا محمد بن فرخان القلزمى . قال : حدثنى ابو جشم محمد بن المرزبان . قال : حضرت مجلساً للقاسم بن عيسى ابى دلف لم أر ولم أسمع مثله . اجتمع فيه بنو عجل كلها قضها بقضيضها الأدباء منهم . فسألهم القاسم بن عيسى عن أشجع بيت قالته العرب ؟ فقال احدهم : قول عنترة :ـ

إذ يَتَّقُونَ بِى الأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ   عَنْها وَلَـكِنِّى (١) تَضَايَقَ مُقْدَمى

وقال احد بنى القاسم بن عيسى قول الشاعر حيث يقول :ـ

وَإِنِّى إذَا الحَرْبُ الْعَوَانُ تَوَكَّلُ   بِتَقْدِيمِ نَفْسٍ لاَ أُحِبُّ بَقَاءَهَا

وقال آخر قول عمرو بن الاطنابة :ـ

أَبَتْ لى عفَّتى وأَبَى بَلاَئى   وأَخْذِى الْحَمْدَ بالثَّمَنِ الرَّبِيح
وَإِنْفَـاقِى عَلَى الْمكْرُوه مَالى   وَضَرْبِى هَامَةَ الرَّجُلِ الْمُشِيح
وَقَوْلِى كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ   مَكَانَكِ تُحْمَدِى أَوْ تَسْتَرِيحِى
لأَكْسِبهَا مـآثِر صَـالحَاتٍ   وَنَفْساً لا تَقَرُّ على القَبِيح

---

(١) فى الديوان لعنترة : ولوانى

وقال آخر : بل قول العباس بن مرداس السلمي :ـ

أَشُدُّ عَلَى ٱلْكَتِيبَةِ لَا أُبَالِي أَفِيهَا كَانَ حَتْفِي أَوْ سِوَاهَا

ورجل من مزينة حيث يقول :ـ

دَعَوْتُ بَنِي قُحَافَةَ فَاسْتَجَابُوا فَقُلْتُ رِدُوا فَقَدْ طَابَ ٱلْوُرُودُ

حتى ذكروا نحواً من مائتي بيت وعنده أبو تمام الطائي فقال: هذا والله أشعر من مضى ومن بقي حيث يقول :ـ

فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الحَشْرُ

غَدَا غَدْوَةً وَالحَمْدُ حَشْوُ رِدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الأَجْرُ

وَقَدْ كَانَ فَوْتُ المَوْتِ سَهْلاً فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الحِفَاظُ المُرُّ وَالخُلُقُ الوَعْرُ

وحدثني مسعود بن عيسى بن اسماعيل العبدي قال : اخبرني صالح غلام ابي تمام قال : ورد على ابي دلف شاعر من اهل البصرة تميمي فناقر ابو تمام فاصلح ابو تمام شعراً أداه الى ابي دلف ليكيد التميمي فأنشده :ـ

إِذَا أُلْجِمَتْ يَوْماً لُجَيْمٌ وَحَوْلَهَا بَنُو الحِصْنِ نَجْلُ المُحْصَنَاتِ النَّجَائِبِ

فَإِنَّ المَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالقَنَا أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الأَقَارِبِ

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْماً تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا فَخَاراً عَلَى مَا وَطَّدَتْ مِنْ مَنَاقِبِ

فَأَنْتُمْ بِذِي قَارٍ أَمَالَتْ سُيُوفُكُمْ عُرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرْهَنُوا قَوْسَ حَاجِبِ

وَكَادَتْ مَغَانِيكُمْ تَهَشُّ عِرَاصُهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبِ

حدثني احمد بن القاسم قال : حدثني نادر مولاي قال : قال : خرج علي بن جبلة الى عبدالله بن طاهر وقد امتدحه بأشعار اجاد فيها الى خرسان فلما وصل اليه قال له : ياعلي . الست القائل في ابي دلف :ـ

إنَّمــا الدُّنْيَا أبُو دُلَفٍ ... بَيْنَ مَغْــزاهُ ومُحْتَضَرِه
فإذَا ولَّى أبُــو دلَفٍ ... ولَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أثَــرِه

قال : بلى . قال : فما الذى جاء بك الينا وعدل بك عن الدنيا الذى زعمت . ارجع من حيث جئت . فمر بأبي دلف فأعلمه الخبر فأحسن صلته وجائزته وانصرف قال نادر : فرأيته عند القاسم بن يوسف وقد سألوه عن حاله فقال :ــ

أبُو دُلَفٍ إنْ تَلْقَهُ تَلْقَ مَاجِداً ... جَواداً كَرِيماً رَاجِحَ الحِلْمِ سَيِّداً
أبُو دُلَف الخَيْرَات أكرمُ مُحْتِداً ... وَأبْسَطُ مَعْرُوفاً وَأنْدَاهُمُ يدا
وَأصبَرُ أيْضا عِنْدَ مُخْتَلَفِ القَنَى ... وَاضْرَبُ بالمَأثُور غَضَباً مُهَنَّدا
وَأقْدَمَ للطِّرْف الكَريم عَنِ الوَغى ... إذَا مَا الكَمِيُّ الجَلْدُ خَامَ وعَرَّدا
لَقَدْ سَلَفَتْ حَقّاً إلَيَّ لَهُ يَدٌ ... فَعَادَ فَأوْلَى مِثْلَهَا ثُمَّ جَــدَّدا
أيَادِى تِبَاعاً كُلَّمَا سَلَفَتْ يَدٌ ... إلَيَّ وَنُعمَى مِنْهُ اتْبَعَها يَدَا
تُرَاثُ أبِيه عَنْ أبِيه وَجَــدِّه ... وَكُلُّ أمْرِىءٍ يَجْرِى عَلَى مَا تَعَوَّدَا
وَلَسْتُ بِشَاكٍ غَيْرَهُ لِنَقِيصَــةٍ ... ولَـكنَّمَا المَمْدُوحُ مَنْ كَانَ أمْجَدَا

حدثنى هارون بن عبيدالله بن ميمون . قال : حدثنى ابى . قال: كنت عند الفضل ابن العباس بن جعفر وعنده العكوك على بن جبلة فأنشده قصيدته التى يقول فيها فى أبي دلف :ــ

ذَادَ وِرْدَ الغَيِّ عَنْ صَــدْرِهْ ... وَارْعَوَى وَاللَّهْوَ مِنْ وَطَرِه
إنَّمَا الدُّنْيَــا أبُو دُلَفٍ ... بَيْنَ مَغْــزَاهُ وَمُحْتَضَرِه
فإذَا وَلَّى أبُو دُلَفٍ ... وَلَّتِ الدُّنْيَــا عَلَى أثَرِه

فقال علي بن جبلة يا أباجعفر: امرؤ القيس قال :ـ

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مُخْرِجٍ كَفَّيْهِ مِنْ سُتَرِه
فَهْوَ لاَ يَنْمِي رَمِيَّتُهُ مَالَهُ لاَ عُدَّ مِنْ نَفَرِه

وقلت انا :ـ

وَدَمٍ أَهْدَرْتُ مِنْ رَشَأٍ لَمْ يُرِدْ عَقْلاً عَلَى هَدَرِه
ظَلَّ يَدْمَى لَهُ مَرْشَفُهُ وَيُفَدِّينِي عَلَى نَفَرِه

قال عبدالله بن عمرو : حدثني محمد بن علي . قال : حدثني محمد بن عبدالله بن الحسين ابوطالب الجعفرى . قال : رأيت جماعة فى ايام المأمون يقتتلون على أخذ كتاب عبدالله بن عباس بن الحسن الى أبى دلف فقال إن هذا رجل عليه نذر من ماله بسببنا ونحن أولى من صانه ولكن هذا كتاب اكتبه فى كل سنة اليه وأبيض اسم صاحبه وتقع القرعة لمن خرج اسمه فهوله . فذكر لى بعض اصحابنا أن ابادلف لما بلغه ذلك جعل له فى كل سنة مائة الف درهم يوجه بها اليه ليقسمها على من يراه ممن يهم بزيارته ، ومائة الف له يصله بها . قال : وكان سبب ماضمنه أبو دلف لعباس ابن حسن أن اسحاق الموصلى قال : حدثنى ابو دلف . قال : دخلت على الرشيد فقال لى كيف ارضك . ؟ قال قلت : خراب يباب قداخذها الأكراد والأعراب قال : فقال له : قائل هذا آفة الجبل ياأمير المؤمنين فرأيتها قد أثرت فيه . فقلت يا أمير المؤمنين : ان كان صدقك فإنى صاحب صلاح الجبل . قال : فقال لى وكيف ذلك ؟ فقلت : اكون سببا لفساده كما زعم وأنت على ، ولا أكون سبباً لصلاحه وانت معى . فلما خرجت قال له شيخ الى جانبه ياأمير المؤمنين : إن همته لترمى به بين وراشينه مرمى بعيداً . فسألت عن الشيخ فقيل لى العباس بن الحسن العلوى قال : فلقيته شاكراً وقلت :لله على أن لاتكتب الى فى احدإلا اغنيته . قال: وقال محمد بن احمد بن رزين : حدثنى الحسين بن على بن ابى سلمة وكان اخاً لأبى دلف .

قال : قصر بعض عمال ابى دلف فى امره فبعث اليـه من عزله وقيـده وحبسه . فـكتب الى ابى دلف من السجن كتاباً تنطع فيـــه ، وقعر وطول فـكتب اليه ابو دلف : ـ

يَاصَاحِبَ التَّطْوِيل فى كُتْبِه ... وَصَاحِبَ التَّقْصِير فى فِعْـــله
وَرَاكِبَ الغَامض مِنْ جَهْـله ... وَتَارِكَ الوَاضح مِنْ عَقْـــله
لَمْ يُخْطِ مِنْ أَلْزَمَهُ قَيْدَهُ ... بَلْ صَيَّرَ القَيْـــدَ إِلَى أَهْله
قَيَّـــدَهُ لِلْحبس تَقْعــيرُهُ ... فَالْقَيْدُ لَنْ يَخْرُجَ مِنْ رِجْله
وَاللهِ لاَ فَارَقَـــهُ قَيْـــدُهُ ... أَوْ يَقْطَعَ التَّقْعِيرَ مِنْ أَصْله

ذكر اتصال يحيى بن اكثم بالمأمون
والسبب الذى له استوزره

قال حدثنى أحمد بن صالح الأضخم . قال : هل تدرى ما كان سبب يحيى بن اكثم ؟ قلت : لا . وإنى احب أن اعرفه . قال : يحيى بن خاقان هو وصله بالحسن ابن سهل وقربه من قلبه ، وكبره فى صدره حتى ولاه قضـاء البصرة ثم استوزره المأمون فغلب عليه .

وحدثنى عبدالله بن ابى مروان الفارسى . قال : كان ثمامة سبب يحيى بن اكثم فى قضاء البصرة مرتين ، وسبب تخلصه من الخادم الذى امر بتكسيفه بالبصرة . ويقال إنه سطع خُصيته فى تعذيبه بالقصب ثم عزل من البصرة فنزل على ثمامة حتى ارتاد له داراً بحضرته ومات احمد بن ابى خالد الأحول واحتيج الى من يقوم مقامه . قال : فاراد المأمون ثمامة على اللزوم للخدمة فامتنع واعتل عليه وكره ذلك منه . قال : فأريد لى رجلا يصلح للخدمة . قال : ثمامة فذكرت يحيى فى نفسى ولم أبد ذلك للمأمون حتى لقيت يحيى فعقدت عليه أن لا يغدر وأن لا ينساها

لى إن حسنت به حاله ، ولطفت له منزلة . قال : فقال يحي ياأبامعن: أناصنيعتك وابن عمك . فخبرنى سراج خادم ثمامة انه بلغ من مقاربة يحي لثمامة وطلب المنزلة عنده أنه جعل يتعلم القول بالاعتزال . قال : فلما خصن حال يحي ووقع بينه وبين ثمامة ما وقع من الشر والمباينة والمحادثات عند المأمون فجرى لهم من المجالس فى الكلام والخلاف ما قد أثر وكتب قال يحي يوما ياأمير المؤمنين : بلغنى أن رجلا يزعم انه يفرق بين ما اختلفت فيه الأمة فى حرفين . فقال له ثمامة ياأمير المؤمنين: إياى اعترى ولى فى قوله غناء . نعم أنا أفرق بين ما اختلفت فيه الامة بحرفين إلا أنى أزداد حرفا ثالثا لتفهمه مع الخاصة . فقال المأمون : فقل . فما أراك بخارج منها . قال : يا أمير المؤمنين : لا تخلو أفعال العباد وما اختلف الناس فيه من ذلك أن تكون من الله ليس للعباد فيها صنع أو بعضها من الله وبعضها من العباد ، فإن زعم أنها من الله ليس للعباد فيها صنع كفر ونسب الى الله كل فعل قبيح . وإن زعم أنها من الله ومن العباد جعل الخلق شركاء لله فى فعل الفواحش والكفر . وان زعم انها من العباد ليس لله فيها صنع صار إلى ما أقوله . قال : فما أجاب يحي جوابا .

قال احمد بن ابى طاهر : كان المأمون يحضر يحي بن اكثم وهو يشرب فلا يسقيه ويقول : لو اراد يحي أن يشرب ما تركته وربما وضعت الصحفة قدام المأمون فيها مطبوخ ويحي يأكل معه فيقول له المأمون : فيها مطبوخ إنى لا اترك قاضى يشرب النبيذ . [1] وقال يحي بن اكثم أظهر لكل قاض ما تريد أن توليه اياه ومره بكتمانه ثم انظر ما يفعل أولا وضع عليهم اصحاب أخبار . فقال له المأمون . أوليك قضاء القضاة . وقال لغيره ما يريد أن يوليه فشاع ذلك كله إلا خبر يحي فانه اتاه أن الناس ذكروا انه يريد الخروج الى البصرة على قضائها فذمهم

---

(١) ويعلم من هنا أن الشراب الذى يتناوله المأمون هو النبيذ الذى اختلف فى شربه الفقهاء لا الخمر (ز)

وقال له كيف شاع هذا وامرت باكتراء السفن الى البصرة. قال يحيى يا أمير المؤمنين: ليس يستقيم كتمان شيء إلا باذاعة غيره وإلا وقع الناس عليه. قال: صدقت وحمده.

اخبار عبد الرحمن بن اسحاق القاضي
وبدىء امره وذكر اتصاله بالسلطان

قال احمد بن ابي طاهر: وقال ابو البصير: كان عبد الرحمن بن اسحاق يختلف الى ولدسماعة يأكل طعامهم فأتاهم يوما فتغدى عندهم وأخذوا قلنسوته فتراموا بها فخرقوها فأغضبه ذلك فصار الى ابيهم ليشكوهم فوجد عنده جماعة فاحتشم أن يشكوهم اليه بحضرة تلك الجماعة وانتظر ان يقوموا عنه فاتاه كتاب ذي اليمينين طاهر بن الحسين بذكر حاجته الى قاض يكون في عسكره ينظر في امورهم فقال له ياعبد الرحمن: هل لك أن تمضي اليه؟ قال: نعم. فمضى اليه فجعله قاضياً في عسكره واستمر به الأمر ودخل في عداد القضاة فجاء ابوه فقال له: أوصلني الى الأمير فخاف أن يفضحه فوهب له مالا حتى انصرف عنه.

قال: وكان ابوه يجالسنا فيخرج ذكره فنقول: ما هذا ويلك؟. فيقول خرج منه قاض. وقال ابو البصير عهدي باسحاق ابي عبد الرحمن بن اسحاق وكان يقال له ابو اسحاق الوضوئجي إلى الغساني بن ابي السمراء ومعه فصوص النرد يلاعبهم ويصفعونه.

ذكر شخوص المامون الى الشام

لغزو الروم

قال احمد بن ابى طاهر : ولما دخلت سنة خمس عشرة ومائتين عزم المأمون على الشخوص الى الثغر . فحدثنى محمد بن الهيثم بن عدى . قال: حدثنى ابراهيم بن عيسى بن بريهة بن المنصور قال : لما اراد المأمون الشخوص الى دمشق هيات له كلاماً مكثت فيه يومين وبعض آخر . فلما مثلت بين يديه قلت : اطال الله بقاء أمير المؤمنين فى أدوم العز . وأسبغ الكرامة ، وجعلنى من كل سوء فداه إن من أمسى وأصبح يتعرف من نعمة الله له الحمد كثيراً عليه برأى أمير المؤمنين ايده الله فيه وحسن تأنيسه له حقيق أن يستديم هذه النعمة ويلتمس الزيادة فيها بشكر الله وشكر أمير المؤمنين مد الله فى عمره عليها . وقد أحب أن يعلم أمير المؤمنين اعزه الله أنى لا أرغب بنفسى عن خدمته ايده الله شىء من الخفض والدعة إذ كان هو ايده الله يتجشم خشونة السفر ، ونصب الظعن ، وأولى الناس بمواساته فى ذلك ، وبذل نفسه فيه أنا لما عرفنى الله من رأيه ، وجعل عندى من طاعته ومعرفة ما اوجب الله من حقه فإن رأى أمير المؤمنين اكرمه الله أن يكرمنى بلزوم خدمته ، والكينونة معه فعل . فقال لى مبتدئاً من غير تروية : لم يعزم أمير المؤمنين فى ذلك على شىء وإن استصحب احداً من اهل بيتك بدأ بك وكنت المقدم عنده فى ذلك ولا سيما اذا انزلت نفسك بحيث انزلك أمير المؤمنين من نفسه وإن ترك ذلك فمن غير قلى لمكانك ولكن بالحاجة اليك . قال : فكان والله ابتداؤه اكثر من تروبتى .

قال : وخرج أمير المؤمنين من الشماسية الى البردان يوم الخميس صلاة الظهر لست بقين من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين وهو اليوم الرابع والعشرون من آذار ثم سار حتى اتى تكريت . وفيها قدم محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب من المدينة فى صفر ليلة الجمعة فخرج من

من بغداد حتى لقي أمير المؤمنين بتكريت فأجازه وأمره ان يدخل عليه امرأته ابنة أمير المؤمنين فأدخلت عليه في دار احمد بن يوسف التي على شاطىء دجلة فاقام بها . فلما كان ايام الحج خرج بأهله وعياله حتى اتى مكة ثم اتى منزله بالمدينة فاقام به .

قال : ثم رحل المأمون عن تكريت وسار حتى اتى الموصل ثم سار من الموصل الى نصيبين ، ثم سار من نصيبين الى حران ، ثم سار من حران الى الرهاء ، ثم سار الى منبج ثم سار من منبج الى دابق ، ثم سار الى انطاكية ، ثم سار حتى اتى المصيصة ثم خرج منها الى طرسوس ، ثم رحل من طرسوس الى ارض الروم للنصف من جمادى الأولى . ورحل العباس بن المأمون من ملطية فأقام أمير المؤمنين على حصن يقال له قرة حتى فتحه عنوة وأمر بهدمه وذلك يوم الأحد لاربع بقين من جمادى الأولى .

قال : وقرىء للمأمون فتح ببغداد من بلاد الروم يوم الجمعة لعشر خلون من رجب وجاء المأمون بعد ذلك فتح قرة من بلاد الروم لثلاث عشرة بقيت من رجب وزادت دجلة يوم الاربعاء لغرة ذى الحجة حتى صار الماء على ظهور بيوت الرحى من الصراة وذلك فى وقت لم يكن تزيد فيه هذه الزيادة ، وتقطعت لذلك الجسور بمدينة السلام وزاد بعد ذلك أكثر من تلك الزيادة ثم نقص . قال : ولما فتح المأمون حصن قرة وغنم ما فيه اشترى السبي بستة وخمسين الف دينار ثم خلى سبيلهم وأعطاهم ديناراً ديناراً . وخرج ابنه العباس على درب الحدث فى شهر رمضان وغدر به منويل الرومى الذى قدم عليه بغداد ودخل معه ارض الروم . فلما خرج العباس وكان استخلفه فيما افتتح من الحصون . فلما خرج من عنده غدر به واخرج من كان خلفه عنده من المسلمين واخذ ما كان عنده من السلاح وصالح ملك الروم . فلما خرج أمير المؤمنين من ارض الروم اقام بطرسوس ثلاثة ايام ثم سار منها حتى نزل دمشق فلم يزل بها مقيما الى أن انقضت سنة خمس عشرة ومائتين ، فلما كان فى سنة ست عشرة ومائتين ورد الخبر على أمير المؤمنين أن ملك

الروم قتل قوما من اهل طرسوس والمصيصة وهم فيما ذكروا نحو من الف وستمائة رجل وكان رئيسهم رجل يقال له ابو عبدالله المروروذى فلما بلغ المأمون ذلك خرج حتى دخل ارض الروم يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين فلم يلزل مقيما فيها الى النصف من شعبان وهو اليوم الرابع والعشرون من ايلول . وذكر أنه فتح نيفا وعشرين حصناً عنوة وصلحاً سوى المطامير . وأنه أعتق كل شيخ كبير وعجوز . وفى هذه السنة وثب أهل مصر على عمال ابى اسحاق أخى أمير المؤمنين فقتلوا بعضهم وذلك فى شعبان فلما خرج المأمون من ارض الروم وأتى كيسوم أقام يومين أو ثلاثة ثم ارتحل الى دمشق ثم خرج أمير المؤمنين من دمشق يوم الاربعاء لأربع عشرة بقيت من ذى الحجة الى مصر .

قال : وكتب الى اسحاق بن ابراهيم المصعبى أن يأخذ الجند بالتكبير اذا صلوا وإنهم بدءوا بذلك فى مسجد المدينة ، والرصافة يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست عشرة ومائتين حين قضوا الصلاة فاقاموا قياما وكبروا ثلاث تكبيرات ثم فعلوا ذلك فى كل صلات مكتوبة وصلى فى المدينة والرصافة ، وباب اسحاق بن ابراهيم ، وباب الجسر . وخرج عبدالله بن عبيدالله ابن العباس بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس واليا على اليمن من دمشق الى بغداد حتى صلى بالناس يوم الفطر ببغداد ، وصار والى كل بلد يدخله الى أن يصل الى اليمن ، وأمر أن يقيم للناس الحج فخرج من بغداد يوم الاثنين لليلة خلت من ذى القعدة .

اخبار المامون بالشام

قال : حدثنى محمد بن على بن صالح السرخسى . قال: تعرض رجل للمأمون بالشام مراراً فقال ياأمير المؤمنين : انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان قال : اكثرت على ياأخا اهل الشام والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلا وانا

ارى أنه لم يبق فى بيت مالى درهم واحد . وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتنى قط ، وأما قضاعة فسادة حرمها أن تنتظر السفيانى وخروجه فتكون من اشياعه وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث الله جل وعز نبيه ﷺ من مضر ولم يخرج اثنان إلا خرج احدهما شاريا . أعزب فعل الله بك . فلما كان سنة سبع عشرة ومائتين رحل أمير المؤمنين من مصر ووافى دمشق يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الأول .

ذكر مقتل على بن هشام المروزى

قال احمد بن ابى طاهر : دخل عجيف بن عنبسة بعلى بن هشام بغداد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول وخرج به الى عسكر المأمون لست خلون من شهر ربيع الآخر وقرىء فتح البيضاء من مصر لليلة بقيت من شهر ربيع الآخر وقتل على بن هشام ، وأخاه الحسين بن هشام فى جمادى الأولى للذى بلغه من سوء سيرته وقتله الرجال ، وأخذه الاموال وكان اراد ان يفتك بعجيف بن عنبسة حيث توجه اليه ويذهب الى بابك . وكان الذى ضرب عنق على ابن الخليل والذى تولى ضرب عنق الحسين . محمد بن يوسف ابن أخيه بأذنه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ثم بعث برأس على بن هشام الى بغداد وخراسان فقدم ترك مولى ابى الحسين اسحاق بن ابراهيم برأس على ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة فطافوا به ثم ردوه الى الشام والجزيرة فطاف به كورة . كورة . فقدم به دمشق فى ذى الحجة ثم ذهب به الى مصر ثم القى بعد ذلك فى البحر .

قال احمد بن ابى طاهر : فحدثنى حماد بن اسحاق . قال : حدثنى ابن ابى سعد ، عن أبيه ، عن اسحاق بن يحيى . قال : لما قتل المأمون على بن هشام واتى برأسه . قال : ونحن وقوف على رأسه : هو والله ما ترون لا تخطىء يد احدكم رجله إلا الحقته به . وقلد طاهر بن ابراهيم الجبال ومحاربة الخرمية فخرج واليا عليها لخمس بقين من شعبان .

قال أحمد بن ابى طاهر : ولما قتل المأمون على بن هشام أمر ان تكتب رقعة وتعلق على رأسه ليقرأها الناس فكتب .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين كان قد دعا على بن هشام فيمن دعا من اهل خراسان ايام المخلوع لمعاونته على القيام بحقه .فكان ابن هشام ممن اجاب أسرع الاجابة ، وعاون فاحسن المعاونة . فرعى أمير المؤمنين ذلك واصطنعه وهو يظن به تقوى الله وطاعته والانتهاء الى امر أمير المؤمنين فى عمل إن أسند اليه وفى حسن السيرة وعفاف الطعمة، وبدأه أمير المؤمنين بالإفضال عليه فولاه الأعمال السنية، ووصله بالصلات الجزيلة التى امر أمير المؤمنين بالنظر فى قدرها فوجدها اكثر من خمسين الف الف درهم فمديده الى الخيانة والتضييع لما استرعاه من الأمانة فباعده عنه وأقصاه ، ثم استقال أمير المؤمنين عثرته فاقاله إياها وولاه الجبل ، وآذربيجان، وكور ارمينية، ومحاربة أعداء الله الخرمية على أن لا يعود لمثل ما كان منه . فعاود أقبح ما كان بتقدمه الدينار والدرهم على العمل لله ودينه أوساء السيرة، وعسف الرعية ، وسفك الدماء المحرمة فوجه أمير المؤمنين عجيف بن عنبسة مباشراً لأمره داعياً الى تلافى ما كان منه فوثب بعجيف يريد قتله فقوى الله عجيفا بنيته الصادقة فى طاعة أمير المؤمنين حتى دفعه عن نفسه ولو تم ما اراد بعجيف لكان فى ذلك مالا يستدرك ولا يستقال ولكن الله اذا اراد امراً كان مفعولا . فلما امضى أمير المؤمنين حكم الله فى على بن هشام رأى ألا يؤاخذ من خلفه بذنبه فأمر ان يجرى لولده ولعياله ، ولمن اتصل بهم ، ومن كان يجرى عليهم مثل الذى كان جارياً لهم فى حياته ولو لا أن على بن هشام اراد العظمى من عجيف لكان من عداد من كان فى عسكره ممن خالف وخان كعيسى ابن منصور ونظرائه والسلام .

أخبار المأمون بدمشق

قال: حدثنى على بن الحسن بن هارون . قال : حدثنى سعيد بن زياد . قال : لما دخلت على المأمون بدمشق قال : أرنى الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ لكم . قال : فأريته . قال : فقال : إنى لأشتهى أن ادرى اى شىء هذا الغشاء الذى على هذا الخاتم . قال : فقال له ابو اسحاق المعتصم : حل العقد حتى تدرى ما هو . قال : فقال : ما اشك أن النبى ﷺ عقد هذا العقد ، وما كنت لأحل عقداً عقده رسول الله ﷺ . ثم قال للواثق : خذه فضعه على عينك لعل الله ان يشفيك . قال : وجعل المأمون يضعه على عينه ويبكى .

قال ابو طالب الجعفرى . قال : اخبرنى العيشى صاحب اسحاق بن ابراهيم . قال : كنت مع المأمون بدمشق . قال : وكان قد قل المال عنده حتى ضاق وشكا ذلك الى ابى اسحاق المعتصم . فقال له : يا أمير المؤمنين كأنك بالمال قد وافاك بعد جمعة . قال : وكان حمل اليه ثلاثين الف الف من خراج ما كان يتولاه له . قال : فلما ورد عليه ذلك المال قال المأمون ليحى بن اكثم : اخرج بنا ننظر الى هذا المال. قال : فخرجا حتى اصحرا ووقفا ينظرانه وكان قد هىء باحسن هيئة ، وحليت اباعره وألبست الأحلاس الموشاة ، والجلال المصبغة ، وقلدت العهن ، وجعلت البدر بالحرير الصينى الأحمر ، والأخضر ، والأصفر وأبديت رؤوسها . قال : فنظر المأمون الى شىء حسن واستكثر ذلك فعظم فى عينه ، واستشرفه الناس ينظرون اليه ويعجبون منه . قال : فقال المأمون ليحى يا ابا محمد : ينصرف اصحابنا هؤلاء الذين تراهم الساعة الى منازلهم خائبين ، وننصرف نحن بهذه الأموال قد ملكناها دونهم إنا اذاً للئام . ثم دعا محمد بن يزداد فقال : وقع لآل فلان بالف الف ، ولآل فلان بمثلها . قال : فو الله إن زال كذلك حتى فرق اربعة وعشرين الف الف ورجله فى الركاب ثم قال : ادفع الباقى الى المعلى يعطى جندنا . قال : فقال العيشى : فجئت حتى قمت نصب عينه فلم ارد طرفى عنها لايلحظنى إلا يرانى بتلك الحال فقال : يا ابا محمد وقع

لهذا بخمسين الف درهم من الستة الآلاف الألف لايختلس ناظرى . قال : فلم يأت على ليلتان حتى اخذت المال .

قال محمد بن ايوب بن جعفر بن سليمان : كان بالبصرة رجل من بنى تميم ، وكان شاعراً ظريفاً ، خبيثاً ، منكراً ، وكنت أنا والى البصرة آنس به وأستحليه فأردت ان اخدعه فقلت: يا ابا نزلة انت شاعر وأنت ظريف والمأمون اجود من السحاب الحافل ، والريح العاصف فما يمنعك منه ؟ قال : ماعندى مايقلنى . قلت : فانا اعطيك نجيباً فارهاً ونفقة سابغة وتخرج اليه وقد امتدحته فإنك ان حظيت بلقائه صرت الى امنيتك . قال : والله ايها الامير : ما أخالك أبعدت فأعدلى ما ذكرت . قال : فدعوت له بنجيب فاره فقلت شأنك به فامتطه . قال : هذا احد الحسنيين . فابال الأخرى . فدعوت له بثلاثمائة درهم وقلت هذه نفقتك . قال : احسبك ايها الامير قصرت فى النفقة ؟ . قلت : لا هى كافية وإن قصرت عن السرف . قال : ومتى رأيت فى اكابر سعد سرفا حتى تراه فى اصاغرها . فأخذ النجيب والنفقة ثم عمل ارجوزة ليست بالطويلة فأنشدنيها وحذف منها ذكرى والثناء على وكان مارداً فقلت له : ما صنعت شيئا . قال : وكيف . قلت تأتى الخليفة ولا تثنى على أميرك ولاتذكره ؟ . قال : ايها الامير اردت ان تخدعنى فوجدتنى خداعاً ، وبمثلنا ضرب هذا المثل « من ينك العير ينك نيـاكاً » اما والله ما لكرامتى حملتنى على نجيبك ؛ ولا جدت لى بمـالك الذى ما رامه احد قط إلا جعل الله خده الأسفل . ولـكن لأذكرك فى شعرى وأمدحك عند الخليفة قال هذا . قلت : اما فى هذا فقد صدقت فقال : اما اذا ابديت مافى ضميرك فقد ذكرتك وأثنيت عليك . فقلت : أنشدنى ماقلت فأنشدنى . فقلت احسنت . قال : ثم ودعنى وخرج . قال : فاتى الشام واذا المأمون بسلغوس . قال فأخبرنى قال : بينا انا فى غزاة قرة قد ركبت نجيبى ذلك ، ولبست مقطعاتى وأنا اروم العسكر فاذا انا بـكهل على بغل فاره ما يقر قراره ، ولايدرك خطاه . قال : فتلقانى مكافحة ومواجهة وأنا اردد نشيد ارجوزتى فقال :

سلام عليكم بكلام جهورى ، ولسان بسيط . فقلت : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال : قف ان شئت . فوقفت . فضوعت منه رائحة العنبر ، والمسك الأزفر قال : ما اولك . ؟ . قلت : رجل من مضر . قال : ونحن من مضر . ثم ماذا ؟ قلت : رجل من بنى تميم . قال : ومن بعد تميم ؟ قلت : من بنى سعد . قال : هيه فما أقدمك هذا البلد ؟ . قلت : قصدت هذا الملك الذى ماسمعت بمثله اندى راحة ، ولا اسع باحة ، ولا اطول باعاً ، ولا امديفاعاً . قال : فما الذى قصدته به ؟ قلت شعر طيب يلذ على الافواه ، وتقتفيه الرواة ، ويحلو فى آذان المستمعين . قال : فانشدنيه فغضبت وقلت : ياركيك اخبرتك أنى قصدت الخليفة بشعر قلته ، ومديح حبرته تقول أنشدنيه . قال : فتغافل والله عنها وتطأمن لها ، وألغى جوابها . قال : وما الذى تأمل فيه . قلت إن كان على ماذكر لى عنه فألف دينار . قال : فأنا اعطيك الف دينار إن رأيت الشعر جيداً والكلام عذباً ، وأضع عنك العناء وطول الترداد ومتى تصل الى الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل . قلت : فلى الله عليك أن تفعل . قال : لك الله على أن افعل . قلت : ومعك الساعة مال ؟ . قال : هذا بغلى وهو خير من الف دينار أنزل لك عن ظهره . فغضبت ايضاً وعارضنى مرد سعد وخفة احلامها . فقلت : مايساوى هذا البغل هذا النجيب . قال فدع عنك البغل ولك الله أن اعطيك الساعة الف دينار فأنشدته : —

مَأْمُونُ يَاذا المِنَنِ الشَّرِيفه
وصَاحِبَ المَرْتَبَةِ المُنِيفَه
وَقَائِدَ الكَتِيبَةِ الكَثِيفَه
هَلْ لَكَ فى أُرْجُوزَةٍ ظَرِيفَة
أَظْرَفَ مِنْ فقْهِ أَبِى حَنِيفَة
لَا وَالَّذِى أَنْتَ لَهُ خَلِيفَه

مَا ظُلمتْ فى أَرْضِنَـــا ضَعِيفَه
أَمِيرُنَا مُؤْنَتُـــهُ خَفِيفَـــه
ومَا اجْتَبَى شَيْئاً سوَى الوَظِيفَه
فالذِّئبُ والنَّعجَةُ فى سَقِيفَـه
واللِّصُّ والتَّـاجِرُ فى قَطِيفَه

قال: فوالله ما عدا أن انشدته فاذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق يقولون: السلام عليك امير المؤمنين ورحمة الله. السلام عليك أمير المؤمنين قال: فأخذنى أفكل. ونظر الى بتلك الحال فقال: لا بأس عليك اى اخى. قلت يا أمير المؤمنين: جعلنى الله فداك اتعرف لغات العرب؟ قال: اى لعمر الله. قلت فمن جعل الكاف منهم مكان القاف؟. قال: هذه حمير. قلت: لعنها الله ولعن الله من استعمل هذه اللغة بعد هذا اليوم. فضحك المأمون وعلم ما اردت والتفت الى خادم الى جانبه فقال: أعطه ما معك. فاخرج الى كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار ثم قال: هاك. ثم قال سلام عليكم. ومضى فكان آخر العهد به.

قال: ولما صار المأمون الى دمشق ذكر له أبو مسهر الدمشقى ووصف له علمه فوجه اليه من جاء به فامتحنه فى القرآن فاجابه وأقر بخلقه. فقال له المأمون ياشيخ: اخبرنى عن النبي ﷺ اختتن؟. قال: لا ادرى وما سمعت فى هذا شيئاً. قال: فأخبرنى عنه أكان يشهد اذا تزوج أو زوج؟. قال: لا ادرى. قال: اخرج قبح الله من قلدك دينه.

قال: حدثنى مُخارق. قال: كنا عند المأمون انا والمغنون بدمشق وعَريب معنا فقال: غنى يامخارق فقلت: أنا محموم. فقال: ياعريب جسيه. فرفعت يدها الى عضدى. فقال لها المأمون: قد اشتهيته تحبين أن ازوجك. قالت: نعم. فقال من تريدين؟. قالت: هذا. وأومت الى محمد بن حامد. فقالت: هذا. فقال:

اشهدوا أني قد زوجتها الزانية منه ، ثم قال له : كشحتك احب الي من أن تكشحني خذ بيدها فأخذ بيدها وقامت من المجلس الى مضربه . فلما ولي المعتصم كتب الى اسحاق بن ابراهيم : أن مُر محمد بن حامد أن يطلق عريب فأمره فتأبى فكتب اليه أن اضربه فضربه بالمقارع حتى طلقها .

حدثني ابو موسى هارون بن محمد بن اسماعيل بن موسى الهادي قال حدثني علي بن صالح . قال : قال لي المأمون يوماً : أبغني رجلا من أهل الشام له ادب يجالسني ويحدثني فالتمست ذاك له فوجدته فدعوت بالشامي فقلت له إني مدخلك على أمير المؤمنين فلا تسأله عن شيء أبداً حتى يبتدئك ، فإني اعرف الناس بمسألتكم ياأهل الشام فقال : ما كنت متجاوزاً لما امرتني . فدخلت على المأمون فقلت : قد اصبت الرجل ياأمير المؤمنين . فقال : ادخله . فدخل فسلم ثم استدناه ، وكان المأمون على شغله من الشراب فقال : إني اردتك لمجالستي ومحادثتي . فقال الشامي ياأمير المؤمنين : إن الجليس اذا كانت ثيابه دون ثياب جليسه دخله لذلك غضاضة قال : فامر المأمون أن يخلع عليه ، قال علي : فدخلني من ذلك ما الله به عليم . فلما خلع عليه ورجع الى مجلسه قال ياأمير المؤمنين: إن قلبي اذا كان معلقا بعيالي لم تنتفع بمحادثتي . قال : خمسين الف درهم تحمل الى منزله . ثم قال : ياامير المؤمنين وثالثة . قال : وما هي ؟ . قال : قد دعوت بشيء يحول بين المرء وعقله فان كانت مني هنة تغتفرها . قال : وذاك.قال علي: فكأن الثالثة جلت عني ما كان بي .

حدثني ابو حشيشة محمد بن علي بن امية بن عمرو قال : اول من سمعني من الخلفاء المأمون وأنا غلام وهو بدمشق وصفني له مخارق فأمر لي بخمسة آلاف درهم أتجهز بها فلما وصلت اليه اعجب بي وأكرمني . وقال للمعتصم ياابا اسحاق : ابن خدمك ، وخدم ابائك وأجدادك وكتابهم حج جدك المهدي اربع حجج فكان امية جد هذا زميله فيها ، وكان كاتبه على السر ، والخاتم ، وبيت المال ، وكان يشتهي من غنائي

كَأَنَ يَنْهى فَنَهَى حـين انْتَهَى ... وانْجَلَتْ عَنْهُ غَيَابَاتُ الصِّبَـا
خَلَعَ اللَّهْوَ وَأَضْحَى مُسْبِـلاً ... لِلنُّهَى فَضْلَ قَمِيص ورِدا
كَيْفَ يَرْجُو الْبِيضُ مِنْ أَوَّلَةٍ ... فى عُيُونِ الْبِيضِ شَيْبٌ وَجَلا
كَانَ كُحْلاً لِمآقِيهَـا فَقَـدْ ... صَارَ بِالشَّيْبِ لِعَيْنَيْهَا قَذا

الشعر لدعبل سمعته من دعبل ، والغناء لحمدان بن حسين بن محرز . قال : وكان المأمون ايضا يشتهى من غنائى : —

وَيَزِيدُنِى وَلَهًا عَلَيْهِ وَحُرْقَـةً ... عَذْلُ النَّصِيحِ وعَتْبُهُ من عَاتِب

الشعر لعبدالله بن امية عمى والغناء لى . قال : وكنا قدام أمير المؤمنين بدمشق فتغنى عَلَّوَيْه : —

بَرِئْتُ مِنَ الإِسْلاَمِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِى ... أَتَاكَ بِهِ الواشُونَ عَنِّى كَمَا قَالُوا
وَلَـكِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْكَ سَرِيعَةً ... إِلَىَّ تَوَاصَوا بِالنَّمِيمَةِ وَاحْتَالُوا

فقال : ياعلويه لمن هذا الشعر ؟ فقال : للقاضى . فقال : اى قاض ويحك قال : قاضى دمشق . فقال ياابا اسحاق اعزله . قال : قدعزلته.قال:فيحضر الساعة فأحضر شيخ مخضوب قصير . فقال له المأمون : من تكون ؟ . قال : فلان بن فلان الفلانى . قال تقول الشعر ؟ . قال : كنت اقوله . فقال ياعلويه أنشده الشعر فأنشده . فقال : هذا الشعر لك ؟ . قال : نعم ياأمير المؤمنين ونساؤه طوالق وكل ما يملك فى سبيل الله إن كان قال الشعر منذ ثلاثين سنة إلا فى زهد او معاتبة صديق . فقال ياابا اسحاق اعزله فما كنت اولى رقاب المسلمين من يبدأ فى هزله بالبراءة من الإسلام . ثم قال : اسقوه . فأتى بقدح فيه شراب فأخذه وهو يرتعد فقال ياأمير المؤمنين : ما ذقته قط . قال : فلعلك تريد غيره . قال: لم اذق منه شيئاً قط . قال فحرام هو ؟ . قال : نعم ياأمير المؤمنين.فقال : أولى لك بها نجوت اخرج ثم قال ياعلويه لا تقل برئت من الإسلام ولكن قل :—

حُرِمْتُ مُنَاى مِنْك إنْ كَانَ ذَا الَّذى   أَتَاكَ به الوَاشُــــونَ عَنِّى كَمَا قَالُوا

قال : كنا مع المأمون بدمشق فركب يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بنى أمية وعلى جانبها اربع سروات وكان الماء يدخلها سيحاً ويخرج منها فاستحسن المأمون الموضع فدعا ببزماء ورد ورطل وذكر بنى أمية فوضع منهم وتنقصهم فأقبل علويه على العود واندفع فغنى : ـ

أُولئكَ قَومى بَعْدَ عِزٍّ وَثَروَةٍ   تَفَانوا فَأَلاَّ أُذْرِفُ الدَّمْعَ أَكْمَدَا

فضرب المأمون الطعام برجله ووثب وقال لعلويه : ياابن الفاعلة لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلا فى هذا الوقت . فقال : مولاكم زرياب عند موالى يركب فى مائة غلام وأنا عندكم اموت من الجوع . فغضب عليه عشرين يوما ثم رضى عنه . قال: زرياب مولى المهدى صار الى الشام ثم صار الى المغرب الى بنى امية هناك .

قال احمد بن ابى طاهر : وكتب ملك الروم الى المأمون . اما بعد « فان اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما فى الرأى مماعادبالضرر عليهما، ولست حريا أن تدع لحظ يصل الى غيرك حظا تحوز به لنفسك وفى علمك كاف عن إخبارك ، وقد كنت كتبت اليك داعيا الى المسالمة ، راغبا فى فضيلة المهادنة لتضع اوازر الحرب عنا ويكون كل لكل وليا وحزبا ، مع اتصال المرافق ، والفسح فى المتاجر ، وفك المستأسر ، وأمن الطرق والبيضة فان أبيت فلا أدب لك فى الخمر ولا ازخرف لك فى القول ، فانى لخائض اليك غمارها ، آخذ عليك أسدادها شأن خيلها ورجالها وإن أفعل فبعد أن قدمت المعذرة ، وأقمت بينى وبينك علم الحجة والسلام . »

قال : فكتب اليه المأمون . امابعد : « فقد بلغنى كتابك فيما سألت من الهدنة ودعوت اليه من الموادعة ، وخلطت فيه من حال اللين بالشدة مما إستعطفت به من سرح المتاجر ، واتصال المرافق ، وفك الأسارى ، ورفع القيل والقال ، فلولا ما رجعنا إليه من إعمال التؤدة ، والأخذ بالحظ من تقليب الفكرة ، وألا أعتقد

الرأى عن مستقبله إلا عن اصطلاح ما أوثره فى متعقبه لجعلت جواب كتابك خيلا تحمل رجالا من اهل البأس والنجدة ، والجدو النصر يقارعونكم عن ثكلكم ويتقربون الى الله جل وعز بدمائكم ، ويستقلون فى ذات الله ماناهم من المشركم ثم اوصل اليهم من الامداد وأبلغ لهم كافيا من العدة والعتاد ، هم أظمأ الى موارد المنايا منكم الى السلامة من مخوف معرتهم عليكم موعدهم : « إحدى الحسنيين (١) » عاجل غلبة ، او كريم منقلب . غير أنى رأيت أن أتقدم اليك الموعظة الى أن يثبت الله عز وجل بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك الى الوحدانية ، والدخول فى شريعة الحنيفية . فإن أبيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة ، وإن تركت ذاك ففى يقين المعاينة لمعاوتتنا مايغنى عن الإبلاغ فى القول ، والإغراق فى الصفة والسلام على من اتبع الهدى » .

أخبار الشعراء فى أيام المأمون

ومن وفد عليه منهم وذكر ما امتدح به من الشعر

حدثنى ابو بكر محمد بن عبد الله بن آدم بن ثابت بن جشم العبدى : قال : حدثنا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير . قال : وفدت الى المأمون مقدمه من خراسان فأوصلنى اليه علي بن هشام وكان نزولى عليه فأنشدته ، وأجازنى ، وملأ يدى وكان علي لى مؤثراً ، محباً ، وكان يجرى علي فى كل يوم ما يقيمنى ويقيم اضيافى . قال : فمازحنى يوماً . وقال لى وقد انشدته مدحاً فيه هاهنا من هو اقرب لك منى رجلان قلت : منهما ؟ قال : خالد بن يزيد بن مزيد ، وتميم بن خزيمة بن خازم فقلت له : والله ما اتيت واحداً منهما ولا اعرفته . قال : فأنا ابعث معك من يقف بك عليهما . فبعث معى رجلا من اصحابه فعرفنى منزلها . فبدأت بتميم فتقدمت الى بابه . فقلت : اعلموه أن بالباب عمارة بن عقيل . قال : فتراخى عنى الحجبة وقيل لى أنه أرسل اليه بعض غلمانه فأخبروه فقال : تغافلوا عنه . فقال للرسول الذى كان معه دلنى على

---

(١) سورة التوبة ٥٢

منزل خالد . قال : فمضى معي فلما وقفت بالباب أخبر خالد بمكاني فخرج الى نفسه فقال : أيهم هو ؟ فأومأ الى فدنا مني . قال : وأراد عمارة ان ينزل فأمسكه خالد واعتنقه ومسح وجهه وأنزله وأدخله ودعا بالطعام والشراب ثم قال لي : يا اباعقيل ما آكل إلا بالدين فاعذرني وهذه خمسة اثواب خز خذها اليك ولا تخدع عنها فإنها قد قامت على بمال ، وهذه الف درهم خذها الى أن يوسع الله على فخرج عمارة وهو يقول : —

أَأَتْرُكُ إِنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتَه إِنِّي إِذًا لَلَئِيمُ
فَلَيْتَ بِثَوْبَيْه لَنَا كَانَ خَالِدٌ وَكَانَ لِبَكْرٍ بِالثَّرَاءِ تَمِيمُ
فَيُصْبِحَ فِينَا سَابِقٌ مُتَمَهِّلٌ وَيُصْبِحَ فِي بَكْرٍ أَغَمُّ بَهِيمُ
وَقَدْ يَسْلُعُ المَرْءُ اللَّئِيمُ اصْطِنَاعَهُ وَيَعْتَلُّ نَقْدُ المرء وَهْوَ كَرِيمُ

قال : فشاع شعر عمارة فى الناس وبلغ تميم بن خزيمة فركب الى اشراف بنى تميم فقال : انظروا ما قد فعل بى عمارة وفضل خالداً على وقتلنى المعنى الذى جاء به فى قوله : —

فَلَيْتَ بِثَوْبَيْه لَنَا كَانَ خَالِدٌ وَكَانَ لِبَكْرٍ بِالثَّرَاءِ تَمِيمُ

قال : فاجتمعت بنو تميم الى عمارة فقالوا قطع الله رحمك تجىء الى غلام من ربيعة فتتمنى أن يكون فى قومك مثله ، وترغب عن تمم وأبوه خزيمة بن خازم من سادة العرب وصاحب دعوة بنى العباس وأسمعوه فقال : —

أَضَنُّوا بِمَا قَدَّمتُ شَيْبَانَ وَائِلٍ بِطَرْفِهِمُ عَلَى أَضَنُّ وَأَرْغَبُ
أَأَنْ سُمْتُ بِرْذَوْنًا بِطَرْفٍ غَضِبْتُمُ عَلَيَّ وَمَا فِي السُّوقِ والسَّوْمِ مَغْضَبُ
وَفِي الْخَيْلِ وَهِيَ الْخَيْلُ تُنْسَبُ كُلُّهَا مُكَدٌّ وَجَيَّاشُ الأَجَارِيِّ مُسْهِبُ
وَمَا يَسْتَوِي الْبِرْذَوْنُ ضَلَّتْ حُلُومُكُم وَلَا السَّابِقُ الطِّرْفُ الْجَوَادُ الْمُجَرَّبُ
فَإِنْ أَصْرَحَتْ أَوْ أَنْجَبَتْ أُمُّ خَالِدٍ فَخَيْرُ الزِّنَادِ هُنَّ أَوْرَى وَأَثْقَبُ

قال : فلقي عمارة ابناً لمروان بن أبي حفصة وكان بلغه أنه هجا خالداً لينتصر لتميم في الطريق فقيل له هذا ابن ابي حفصة فقال له : —

فَعِرْضُكَ لَا يُوفِي كَرِيماً بِعِرْضِهِ   فَهَلْ يُوفِيَنَّ مِنْكَ الْجَزَازَ الْمُصَمِّمُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ فَوَارِسَ وَائِلٍ   إِذَا أَسْرَجُوا لِلْحَرْبِ يَوماً وَأَلْجَمُوا

قال : ولقي خالد عمارة فقال له : ابن خزيمة بيني وبينك أو سوأته أن يكون في قومي مثل تميم وفي قومك مثلي. قال :اخترت لنفسي عافاك الله فلا تلمني على الاختيار وكأن خالداً أوجد من ذلك . قال : وبلغ المأمون خبرهما فأرسل الى خالد بمال وقال: مثلك من العرب فليصن عرضه لامن يذله بخلا ولؤماً .

حدثني أبو علي السليطي من بني سليط حي من بني تميم قال حدثني عمارة بن عقيل . قال : انشدت المأمون قصيدة فيها مديح له فيها مائة بيت . فابتدأت بصدر البيت فبادرني الى قافيته فقلت : والله ياأمير المؤمنين ما سمعها مني احد قط قال هكذا ينبغي أن يكون ، ثم اقبل علي فقال : اما بلغك أن عمر بن ابي ربيعة انشد عبدالله بن عباس قصيدته التي يقول فيها :ـ

تَشُطُّ غَـداً دَارُ جِيرَانِنَـا

فقال ابن عباس :ـ   وَلَلـدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَـدُ

حتى انشده القصيدة يقفيها ابن عباس . ثم قال : انا ابن ذاك .

حدثني ابو القاسم خليفة بن جروة قال : سمعت ابا مروان كارز بن هارون يقول : قال المأمون : —

بَعَثْتُكَ مُشْتَاقاً فَفُزْتَ بِنَظْرَةٍ   وَأَغْفَلْتَنِي حَتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّا
فَنَاجَيْتَ مَنْ أَهْوَى وَكُنْتُ مُبَاعَداً   فَيَالَيْتَ شِعْرِي عَنْ دُنُوِّكَ مَا أَغْنَا
أَرَى أَثَراً مِنْهُ بِعَيْنَيْكَ بَيِّنَـا   لَقَدْ أَخَذَتْ عَيْنَاكَ مِنْ عَيْنِهِ حُسْنَا

قال ابومروان : وإنما عول المأمون فى هذا المعنى على قول العباس بن الأحنف حيث يقول :—

إنْ تَشْقَ عَيْنِى بِهَا فَقَدْ سَعِدَتْ عَيْنُ رَسُولِى وَفُزْتُ بِالْخَبَرِ
وَكُلَّمَا جَاءَنِى الرَّسُولُ لَهَا رَدَدْتُ عَمْداً فِى طَرْفِهِ نَظَرِى
يَظْهَرُ فِى وَجْهِهِ مَحَاسِنُهَا قَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ أَحْسَنَ الْأَثَرِ
خُذْ مُقْلَتِى يَارَسُولُ عَارِيَةً فَانْظُرْ بِهَا وَاحْتَكِمْ عَلَى بَصَرِى

قال : واخبرنى موسى بن عبيدالله التميمى . قال : تذاكروا الشطرنج عند المأمون فتذاكروا قول خالد القناص فيها حيث يقول :—

أَرَادَ بِلَا ذَحْلٍ أَخٌ لِى يَوَدُّنِى وَيَعْظُمُ حَقِّى دُونَ كُلِّ وَدُودِ
مُحَارَبَتِى لَمْ يَأْلُ أَنْ بَثَّ خَيْلَهُ وَأَلْقَحَ حَرْباً شَبَّهَا بِوَقُودِ
فَأَمْحَكَنِى وَالْحَرْبُ أَمَّا بَدِيهُا إِذَا وَرَدَ الْأَبْطَالُ خَيْرَ وُرُودِ
فَأَحْسَنُ مِنْ عَذْرَاءَ مَيَّاسَةِ الْخُطَى رَخِيمَةِ دَلٍّ لِلرِّجَالِ صَيُودِ
وَآخِرُهَا شَمْطَاءُ كَالْغُولِ فَخْمَةٌ شَبِيهَةُ عِرْسَيْنِ بِأُمِّ قُرُودِ

وقال آخر :—

وَجَيْشٌ فِى الوَغَى بِإِزَاءِ جَيْشٍ لُهَامٍ جَحْفَلٍ لَجِبٍ خَمِيسِ
يُوَاقِفُ بِالْمَخَاوِفِ مَا يُبَالِى بِسَعْدِ طَيْرِهِ أَمْ بِالنُّحُوسِ
تَرَاهُمْ يَبْذُلُونَ لِمَنْ دَرَاهُمْ إِذَا حَمِىَ الوَغَى مُهَجَ النُّفُوسِ
نُفُوسٌ لَيْسَ يَنْفَعُهَا نَعِيمٌ وَلَيْسَ يَضُرُّهَا إِعْدَامُ بُؤْسِ
وَلَيْسُوا بِالْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى وَلَا الْعَرَبِ الصَّلِيبِ وَلَا الْمَجُوسِ

وقال آخر :ـ

وَخَيل قَدْ جَعَلْتُ إزَاءَ خَيْـل ... تُسَاقِ بَيْنَهَا كَأْسَ الذُّبَاحِ

بِمَيْمَنَـــةٍ وَمَيْسَرَةٍ وَقَلْبٍ ... كَتَعْبِيَة الـكَتَائِب للنِّطَاحِ

لِغَيْرِ عَـــدَاوَةٍ كَانَتْ قَدِيماً ... ولـكِنْ للتَّـــلَذُّذ والمِـرَاحِ

قال المأمون ولـكني قلت فيها :ـ

أَرْضٌ مُرَبَّعَـةٌ حَمْرَاءَ مِنْ أدمُ ... مَا بَيْنَ إِلفَـيْنِ مَعْروفَيْن بالـكَرَم

تَذَاكرَا الحَرْبَ فَاحْتَالا لَهَا فِطَناً ... بِغَيْرِ أَنْ يَأْثَمَا فيها بِسَفْك دَم

هٰذَا يُغِيرُ عَلَى هٰذا وَذَاكَ عَلَى ... هٰذَا يُغيرُ وَعَيْنُ الحَزْمِ لم تَنَم

فَانْظُرْ إلَى فِطَنٍ جَالَتْ بِمَعْرِفَةٍ ... فِى عَسْكَرَيْن بلاَ طَبْلٍ وَلاَ عَلَمَ

قال ابو العتاهية : وجه الى المأمون أمير المؤمنين يوماً فصرت اليه فألفيته مطرقاً مفكراً فأحجمت عن الدنو منه فى تلك الحال . فرفع رأسه فنظر الى واشار بيده أن ادن فدنوت ثم اطرق ملياً ورفع رأسه . فقال ياابا اسحاق : شأن النفس الملل وحب الاستطراف تأنس بالوحدة كما تأنس بالألفة . قلت : أجل ياأمير المؤمنين ولى فى هذا بيت . قال : وما هو ؟ قلت :ـ

لاَ تُصْلحُ النَّفْسَ إذْ كَانَتْ مُقَسَّمَةً ... إلاَّ التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إلى حَال

حدثنى ابو نزار الضرير الشاعر قال : قال لى على بن جبلة . قلت لحميد بن عبد الحميد ياابا غانم : إنى قد امتدحت أمير المؤمنين المأمون بمديح لا يحسن مثله احد من أهل الارض فاذكرنى له . فقال : انشدنيه . فأنشدته فقال : اشهد أنك صادق وأخذ المديح فأدخله على المأمون . فقال ياابا غانم : الجواب فى هذا واضح إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثوابا لمديحه لنا . وان شاء جمعنا بين شعره فيك وفى ابى دلف فإن كان الذى قال فيك وفيه اجود من الذى مدحنا به ضربنا ظهره ، وأطلنا حبسه ، وإن كان الذى قال فينا اجود اعطيناه بكل بيت من مديحه الف درهم ،

وإن شاء اقلناه . فقلت ياسيدى : ومن ابو دلف ومن انا حتى يمدحنا بأجود من مديحك ؟ فقال : ليس هذا الكلام من الجواب عن المسألة فى اى شىء فاعرض ذلك على الرجل . قال على بن جبلة : قال لى حميد : ما ترى ؟ قلت : الإقالة أحب الى . فأخبر المأمون فقال هو اعلم . قال حميد : قلت لعلى الى شىء ذهب فى مدحك ابادلف وفى مدحك لى فقال الى قولى فى ابى دلف :ـ

إنَّمَا الدُّنْيَـا أبُو دُلَفٍ بيْنَ مَغْـزَاهُ وَمُحْتَضَره

فإذَا وَلَّى أَبو دلُـفٍ ولَّت الدُّنْيا عَلَى أثَـره

والى قولى فيك :ـ

لَوْلاَ حُمَيْـدٌ لَمْ يَكُنْ حَسَبٌ يُعَـدُّ ولاَ نَسَبْ

يَاوَاحِـدَ العَـرَب الَّذى عَزَّتْ بعـزَّته الْعَـرَبْ

قال : فأطرق حميد ساعة ثم قال : ياابا الحسن لقد انتقد عليك أمير المؤمنين المأمون وأمرلى بعشرة آلاف درهم وحملان وخلعة وخادم . وبلغ ذلك ابا دلف فأضعف لى العطية وكان ذلك منهما فى ستر لم يعلم به احد الى أن حدثتك ياابانزار بهذا . قال ابو نزار : وظننت أن المأمون تفقد عليه هذا البيت فى ابى دلف .

تَحدَّر مَاءُ الجَوْد منْ صُلْب آدَم فَأثْبَتَه الرَّحْمـانُ فى صُلْب قَاسم

اخبرنى سليمان بن رزين الخزاعى ابن اخى دعبل قال: هجا دعبل المأمون فقال:ـ

وَيَسومنى الْمأْمون خُطَّةَ عَارف أوَمَا رَأى بالأمْس رَأْس مُحَمَّد

يُوفى عَلَى هَام الخَلاَئف مثْل مَا تُوفى الجبَالُ عَلى رُؤُوس القَرْدَد

وَيحـلُّ فى أكْنَاف كُلِّ ممَنَّع حَتَّى يُذَلِّل شَاهقاً لَمْ يُصْعَد

إن التِّرَات مُسهَّدٌ طلاَّبُهـا فَاكْفُفْ لعَابَكَ عَنْ لُعَاب الأسْوَد

فقيل للمأمون إن دعبلا هجاك . فقال : هو يهجو ابا عباد لا يهجونى . يريد حدة

ابى عباد ، وكان ابو عباد اذا دخل على المأمون كثيراً ما يضحك المأمون ويقول له : ما اراد دعبل منك حيث يقول :

وَكَأَنَّهُ من دير هرقل مُفْلَتٌ حَرِدٌ يجرُّ سلاسلَ الأقيـاد

وكان المأمون يقول لإبراهيم بن شكلة اذا دخل عليه لقد أوجعك دعبل حيث يقول :ـ

إنْ كانَ إبراهيمُ مُضْطَلِعاً بها فَلَتَصلُحَنْ من بعْدِه لمُخارِق

وَلَتَصلُحَنْ من بعْد ذاكَ لزلزلٍ وَلَتَصلُحَنْ من بعْدِه للمارِق

أنَّى يكونُ ولا يكونُ ولم يكنْ لينالَ ذالكَ فاسقٌ عن فاسق

حدثنى محمد بن الحسن بن حفص الخرمى أن اعرابيا دخل على الحسن بن سهل فامتدحه فلما فرغ قال له : احتكم . قال . وهو يظن أن الأعرابى همته همة صغيرة فقال : الف ناقة فوجم لها الحسن ولم يكن فى سعة يومئذ وكره أن يفتضح فاجال الفكر فقال يااعرابى : ليس بلادنا بلادا بل ولكن ما قال امرؤ القيس :ـ

إذا لَمْ تَكُنْ إبلٌ فَمِعْزَى كأنَّ قرونَ جلَّتِها العصيُّ

قد امرت لك بألف شاة فالق يحيى بن خاقان . قال : فلقى يحيى فأعطاه لكل شاة دينار فاخذ الف دينار .

قال : وكان المأمون يبعث الى ام جعفر فى كل سنة من ضرب السنة مال دنانير ودراهم فكانت تصل ابا العتاهية منها . فجاء ابو العتاهية الى مسلم بن سعدان كاتب ام جعفر وأنا قاعد أكتب بين يديه فأعطاه رقعة وسأله أن يدفعها الى لأوصلها الى ام جعفر وأنا غلام فأخذت الرقعة فأدخلتها الى ام جعفر فقرأتها فاذا فيها :ـ

زَعَموا لى أنَّ من ضَرْب السَّنه جُدُداً بيضاً وَصُفْراً حَسَنَه

سِكَكاً قَدْ أحدِثَتْ لَمْ أرهَا مثلَ ما كنتُ أرى كلَّ سَنَه

وكان صرد الخادم يتولى تفرقة صلة المامون لهـا من هذه الدر اهم والدنانير الجدد . فأمرت باحضار صرد فقالت له : لم لم تعط الجـــرار صلته من الدنانير والدراهم ؟ . فقال : لم تبلغه النوبة . قالت : فعجلها له . فأعطانى مائة دينار وألفى درهم خرجت بها فى صرتين حتى دفعتها الى مسلم بن سعدان فدفعها اليه .

حدثنى أبو الشماخ . قال : قال المأمون وعنده الزيدى ، والثقفى مولى الخيزران واسماعيــل بن نوبخت . وتذاكروا الشعراء فقــالوا : النــابغة . وقالوا : الأعشى . وخاضوا فيهم . فقال لا . اشعرهم إلا واحداً كان خليعا الحسن بن هانى . فقالوا : صدق امير المؤمنين . قال : الصدق على المناظرة أحسن من الصدق على الهيبـة . فقالوا : فيما قدمته ؟ قال : بقوله :—

يَا شَقِيقَ النَّفْس منْ حَـــكَم　　　نمتْ عَنْ لَيْلَى ولمَ أنَم

ثم قال لم يسبقه الى هذا البيت احد : ـ

ثم دبّتْ فى عُـــرُوقهم　　　كَدَبيب الــبُرْء فى السَّقم

قال : ابو الشماخ : كان المأمون منحرفا عن ابى نواس لميله الى محمد . أخــبرنى موسى بن عبيد الله التيمي أن منصور النمرى ، والحسن بن هانىء وابا العتاهية واباز غبة قال : ابو زغبة شامى ، قيسى اجتمعوا فتذاكروا اياتا على وزن واحد ففضل ابو العتاهية عليهم فقال النمرى :ـ

أعمير كَيْفَ بحَاجَـــةٍ　　　طُلبَتْ إلى صُم صُخُـــور

لله درُّ عَـــدَتـــكم　　　كيْفَ انْتَسبْن إلى الغُـــرُور

وَلَقَـــدْ تَبيتُ أنَامِـــلى　　　يجْنِـــينَ رُمَّانَ النُّحُـــور

وقال ابو العتاهية : ـ

لهفى عَـــلَى الزَّمَن القَصير　　　بيْنَ الخَـــوَرْنَق والسَّـــدير

إِذْ نَحْنُ فِى غُـــرَفِ الجِنَـا ... نِ نَعُومُ فِى بَحْـــرِ السُّرور

وقال الحسن بن هانىء :ـ

وعَظَتْكَ واعظَـــةُ القَتِير ... وعَلَتْـــكَ أُبَّهَـــةُ الكَبير
ورَدَدْتَ مَا كُنْتَ استَعَر ... تَ من الشَّبَاب إِلَى المعير
ولَقَـــدْ تَحُلُّ بعقَـــوَةِ الْـ ... بَـــاب منْ بقَـــر القُصُور
صُـــوَرٌ إِلَيْـــكَ مُؤَنَّثَـــا ... ت الدَّل فى زَىِّ الذُّكُور
أرْهَفْنَ إِرْهَـــافَ الأَعِـ ... نَّة والحَمَـــائل والسُّيُـــور
أصْـــدَاغُهُنَّ مُعَقْـــرَبا ... تٌ وَالشَّوارِبُ منْ عَبِـــير

ولا أحفظ ما قال ابوزغبة ففضلوا ابا العتاهية . وأبو نواس عندى أشعرهم .

حدثنى محمد بن عيسى بن عبد الرحمن . قال : خرج ابراهيم بن العباس، ودعبل ورزين فى نظرائهم من أهل الأدب رجالة الى بعض البساتين فى خلافة المأمون فلقيهم قوم من أهل السواد من اصحاب الشوك قد باعوا ما معهم من الشوك فأعطوهم شيئا وركبوا تلك الحمر فانشأ ابراهيم يقول :ـ

أُعيضتْ بَعْدَ حَمْلِ الشَّـــوْ ... كِ أوْقَاراً مِنَ الحُرف
نَشَاوى لاَ مِنَ السُّكْـــر ... ولَـكنْ منْ أذَى الضَّعْف

فقال رزين :ـ

فَـــلو كُنْتُمْ عَـــلى ذَاكَ ... تَؤُولُونَ إلى قَصْف
تَسَـاوتْ حَالُكم فيـه ... ولَمْ تَعْنـوا على الخَسف

فقال دعبل :ـ

فَإذْ فَاتَ الَّذى فَاتَ ... فَـكُونُوا منْ ذَوى الظرْف

وَمُرُوا تَقْصِف اليَـوْمَ فَإِنِّى بَائِعٌ خُـفِّى

حدثنى محمد بن الهيثم الطائى . قال : حدثنى القاسم بن محمد الطيفورى . قال : شكا اليزيدى الى المأمون خلة أصابته ، ودينا لحقه . فقال له : ما عندنا فى هذه الأيام ما إن اعطيناكه بلغت به ما تريد . فقال ياأمير المؤمنين : إن الأمر قد ضاق علىّ ، وإن غرمائى قد ارهقونى . قال : قدم لنفسك أمراً تنال به نفعا . فقال : لك منادمون فيهم من إن حركته نلت منه ما أحب فاطلق لى الحيلة فيهم . قال: قل ما بدا لك . فقال: اذا حضروا حضرت فأمر فلانا الخادم يوصل اليك رقعتى فإذا قرأتها فارسل الى دخولك فى هذا الوقت متعذر ، ولكن اختر لنفسك من احببت قال : فلما أن علم ابو محمد جلوس المأمون واجتماع ندمائه اليه وتيقن أنهم قد ثملوا من شربهم اتى الباب فدفع الى ذلك الخادم رقعة قد كتبها فأوصلها له الى المأمون فقرأها فاذا فيها :ـ

يَاخَيْرَ إِخْوَانٍ وَأَصْحَاب هٰذَا الطُّفَيْلِىُّ لَدَى الْبَاب
فَصَيِّرُونِى واحِداً مِنْكُم أَوْ أَخْرِجُوا لِى بَعْضَ أَصْحَابِى

قال : فقرأها المامون على من حضره فقال : ما ينبغى أن يدخل الطفيلى على مثل هذه الحال فأرسل اليه المأمون : دخولك فى هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من احببت تنادمه . فقال : ما ارى لنفسى اختياراً غير عبدالله بن طاهر فقال له المأمون : قد وقع اختياره عليك فصر اليه . قال ياأمير المؤمنين : فأكون شريك الطفيلى . قال : ما يمكن رد ابى محمد عن أمرين فان احببت أن تخرج وإلا فافد نفسك . قال : فقال ياأمير المؤمنين : له على عشرة آلاف درهم . قال : لااحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك . قال : فلم يزل يزيده عشرة عشرة والمامون يقول لا ارضى له بذلك حتى بلغ المائة . فقال له المامون : فعجلها له . قال : فكتب له بها الى وكيله ووجه معه رسولا . وأرسل المامون اليه : قبض هذه فى هذه الحال

اصلح لك من منادمته على مثل حاله وانفع عاقبة .

حدثني محمد بن الحسن . قال : أخبرني عبدالله بن محمد مولى بني زهرة . قال : دخل ابي على المأمون وقد ولاه القضاء فقال : أتروى شيئاً من الشعر ؟ قال : نعم. قال انشدني : فانشده : —

سَكَنٌ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ ما بهذا يؤْذِنُ الزَّمنُ
نَحْنُ في دارٍ يُخَبِّرُنا ببلاَهَا نَاطِقٌ لَسِنُ
كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مِيتَتِه حَظُّهُ مِنْ مَالِه كَفَنُ
إنَّ مَالَ المَرْءِ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ إلاَّ فِعْلُهُ الحَسَنُ

قال : فدعا المأمون بدواة فكتبها . قال : وقال المأمون لعبدالله بن طاهر : ليس فيك عيب الا انك تحب الشعر وأهله . وقد امرت احمد بن يوسف يضم اليك رجلا في ناحيتنا هو عندي اشعر من جرير . فضم اليه ابو العميثل وهو : عبدالله بن خويلد . كان امر الرشيد أن يبتاع له خويلد هذا فسبق العباس بن محمد فاشتراه فصير له خوله الذين كانوا للعباس بن محمد بفيد وأيلة . وقال ابو العميثل قدم على المأمون بخراسان أيام الفضل بن سهل فخرج ابو العميثل خلف عبدالله بن طاهر الى مصر فقال قصيدة يصف فيها المنازل مثل قصيدة ابي النواس في الخصيب يصف المنازل فأول قصيدة ابي العميثل : —

خَليلي إنَّ الهَمَّ لي غَيرُ وازع وقَلْبي عَميدٌ قَلْبُ هَيْمَانَ نَازع
ألم تر أنِّي كُلَّما هَبَّت الصَّبا أَصَبُّ ويقْضيني شؤُونُ المَدَامع
جَعلْتُ همُومي حَشْوَ قَلْبٍ مُشَايعٍ علَى الهمِّ والوَجْنَاءِ حَشْو البَرَاذع

قال وكان أبو العميثل ولد في البدو ، ونشأ في البدو وكان في بني القين ابن جسر .
قال : وشعره في الف جلد .

قال اسحاق الموصلى : قال: ابو موسى فى عَريب جارية المأمون وكانت تعشق جعفر بن حامد ويتعشقها فلما وجدت من المأمون غفلة وضعت على فراشها مثال رخام تحت الإزار يحسب من رآه من بعيد أنها نائمة . وكان جعفر بن حامد قد نزل الى جانب قصر المأمون فصعدت الى السطح فتدلت فى زبيل فلما قضى نهمته منها قعدت فى الزبيل فصعدت فرجعت الى مكانها وطلبها المأمون قبل أن ترجع على فراشها فلم يجدها ، فعلم الى اين صارت ، فقال ابو موسى : ـ

قَاتَلَ اللهُ عَرِيبَا   فَعلتْ فعْلاً عَجِيبَا
رَكِبتْ واللَيلُ دَاجٍ   مَرْكباً صَعْباً أَرِيبَا
لَعَظِيمٍ جَعلَتْ ذَا   لِكَ مَمْسَكاً لا هَيُوبَا
مُحَّةٌ لو حُرِّكتْ خفـْ   ـتَ عَلَيْهَا أنْ تَذُوبَا
رَعَت اللَيْلَ فَلَمَّا   إقْتَضَى النَومَ الرَّقِيبَا
مَثَّلتْ فَوقَ حَشَايَا   هَا لِكَيْ لاَ يَسْتَرِيبَا
بَدَلاً منْهَا إذَا نُو   دِىَ بإسْمِ لاَ يُجِيبَا
وَمَضَتْ يَحْمِلُهَا الخَو   فُ قَضِيباً وَكَثِيبَا
فَتَدلَّتْ لِمحبٍّ   فَتَلقَّاهَا حَبِيبَا
جَذِلاً قَدْ نَالَ بالدُّنْـ   يَا مِنَ الدُّنيَا رَغِيبَا
أيُّهَا الظَّبْىُ الَّذى يُحْـ   رِجُ عَيْنَاهُ القُلوُبَا
والَّذى يَأكُلُ بَعْضاً   بَعضَهُ مِلْحاً وَطِيبَا
كُنْتَ نَصْباً لذئابٍ   فَلَقَدْ أطْمَعْتَ ذِيبَا
وكَذَا الشَّاةُ إذَا لَمْ   يَكُ رَاعِيهَا لَبِيبَا

لَا يُبَالى رعيةُ المرْ ءِ إذَا كَانَ عَشيًا
فَلْيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَا ءَ إذَا كَانَ أديبًا

قال: كان المأمون قد ولا يحيى بن اكثم قضاء البصرة فحضره جحشويه الشاعر وشهد رجلين عنده من أهل العدالة والصلاح بمال على معية ، ويقال على غيره . ولمعية مع يحيى أحاديث طريفة . واسم احد الرجلين اللذين شهدا عند يحيى جوين والآخر عداس . على غلام أنهما رأياه يلاط به وادعى الغلام أنهما قذفاه بالزنى فأراد أن يحدهما فقال جحشويه :ـ

أنطقنى الدَّهرُ بعْد إخْرَاس بحَادثات أطَلْنَ وسْوَاسى
يابُؤسَ للدَّهْرِ لاَ يزَالُ كَمَا يرْفَعُ نَاسًا يحط منْ نَاس
لَا أفلَحتْ أمةٌ وحُقَّ لهَا بطوْل لَعنٍ وَطوْل إتْعَاس
تَرْضَى بيحيى يَكُون سَائسهَا وَلَيس يَحْيى لهَا بسَوَّاس
قَاض يرَى الحَدَّ فى الزِّنَاء ولَا يرَى عَلى مَنْ يَلُوطُ منْ بَأس
يَحكم للأمْرد الظَّريف عَلَى مثْل جُوَيْنٍ ومثْل عُدَّاس
فَالحمد لله كيْفَ قَدْ ظَهرَ الْـ ـجُودُ وقلَّ الوفَاء فى النَّاس
أميرُنَا جَائرٌ وقَاضينَا يَلُوطُ والرَّأسُ شَرُّ مَا رَأس
لَوْ قَصد الرَّأسُ واسْتَقَام لَقَدْ قَامَ عَلَى القَصْد كُلُّ مرْتَأس
مَا أحْسَنُ الجوْرَ ينْقَضى وَعلَى النَّاس أَميرٌ منْ آل عبَّاس .

وقال مصعب بن الحسن . حدثنى ابوخالد القناديلى . قال : شهدت المأمون

وعنده عبادة المخنث وقد امر بيحيى بن اكثم وقد وضع السرج ، وشدوا حزامه ولببه فقال بعض الشعراء يهجو يحيى بن اكثم :ـ

أَرَّقَهُ بَرْحُ الْهَوَى وَسَدَمُهْ ... وَمَلَّهُ الْحُبُّ فَبَاتَ يَأْلَمُهْ
طَوراً يُعاتِبُهُ وَطَوراً يَشْتُمُه ... مثْلُ الْحَرِيقِ فى الحشَا يضْرِمُهُ
فَفَاضَتِ العَينُ بدمْعٍ تَسْجِمُه ... نَمَّتْ عليه كُلَّ سَوْقٍ يَكْتُمُهُ
وَبَاحَ بالحَبِّ الذى يُجَمْجِمُه ... وبَاتَ والقَلْبُ يُسَامِى هَمَمَهُ
مَنْ لِمُحِبٍّ قَدْ تَرَاهُ يَرْحَمُه ... أَصْبَحَ بالبَأْسَاءِ عارٍ أَنعُمُه
طَالَ تَصَابيهِ وطَالَ سَقْمُهُ ... وَبَلِى الجِسْمُ وَدَقَّتْ أَعْظُمُه
يَشْهَدنِى اللهُ عَلى مَنْ يَظْلِمُه ... يمنعُه طَعْمَ الكَرَى ويحرِمُه
واهًا لَهُ يَصْرِمُ مَنْ لَا يَصْرِمُه ... أَصْبَحَ هٰذَا الدِّينُ رَثًّا رِمَمُه
عطّلَهُ الجَوْرُ وطَالَ قَدَمُهُ ... سَحَّتْ مِنَ الجَوْرِ علَيْه دِيَمُه
فَبَادَ مَغْنَى رَبْعِه وَأَرْسُمُه ... إلاَّ بقَايَا قَوْمِهِ وَجَمَمُهُ
أَوْطَنَهُ الْجَوْرَ فأضحَى مَعْلَمُه ... يَرُودُ فيه شَاءُهُ ونَعَمُهُ
مَنْ يَشْهَدُ الجَوْرَ فنَحْنُ نَعْلَمُه ... أَنْوَكَ قَاضٍ فى الْبِلَادِ نَعْلَمُه
يَقُولُ حَقًّا لَا تَعِيثُ تَرْجُمُه ... مُذْ وَلِى الحُكْمَ أُبِيحَ حَرَمُه
وانْتَهَكَتْ مِنَ القَضَاءِ حُرَمُه ... واضْطَرَبَتْ أَرْكَانُه ودَعَمُه
واللهُ يَبْنِيه ونَحْنُ نَهْدِمُه ... يَالَيْتَ يَحْيَى لَمْ يَلِدْهُ أَكْثَمُه
وَلَمْ تَطَأْ أَرْضَ العِرَاقِ قَدَمُه ... مَلْعُونَةٌ أَخْلَاقُه وشِيَمُه
لَا خَلْفَهُ عَفٌّ وَلَا مُقَدَّمُه ... يَأْتِى وَيُؤْتَى وهُوَ لَا يَسْتَطْعِمُه
أَىُّ دَوَاةٍ لَمْ تَلِقْهَا قَلَمُه ... وأَىُّ بَحْرٍ لَمْ يَرِدْهُ عَلَمُه
دَرَّبَهُ بالرَّهْزِ حَتَّى أَحْكَمَه ... وأَىُّ خَشْفٍ لَمْ يَبِتْ يَسْتَطْعِمُه

يَحْـكُمه هـذا وهـذَا يَحكمُهْ كلاهُما يأتي كثيراً مأثمهُ

واللهِ واللهِ لَقَـدْ حلّ دَمُـهْ لَوْ أنَّ للدين عمَاداً يدْعَمُه

يعْدلُ عنهُ المَيْـلُ أوْ يقومـه لـكَانَ قدْ رنَّ عليَهْ مأثمُهْ

أرْجُو ويقضى اللهُ لاَ يسلّمه منْ وجْهه هذَا ولـكنْ يقصُمه

بالسَّيف إذْ حَلّت علَيه نقمـه [(١)]

حدثنى محمد بن عبدالله صاحب المراكب ، قال : اخبرنى ابى ، عن صالح بن الرشيد . قال : دخلت على المامون ومعى بيتان للحسين بن الضحاك . فقلت ياأمير المؤمنين : احب أن تسمع منى بيتين . قال : انشدهما فأنشده صالح :ـ

حَمدنَا اللهُ شُكراً إذْ حبَانا بنَصْرِكَ ياأمـيرَ المؤْمنينَـا

فأنْتَ خَليفَـةُ الرَّحْمان حَقـاً جَمَعْتَ سَماحةً وجَمَعتَ ديناً

فاستحسنهما المأمون وقال : لمن هذان البيتان ياصالح ؟ . قلت : لعبدك ياأمير المؤمنين الحسين بن الضحاك . قال : قد احسن قلت : وله ياأمير المؤمنين ما هو أجود من هذا . قال : وما هو ؟ . فأنشدته :ـ

أيبْخلُ فَرْد الحسْن فَرْدُ صفَاته علَيَّ وقدْ أفرَدتُه بهوى فَرْد

رَأى اللهُ عَبْدالله خَيرَ عبَـاده فَمَلَّـكهُ واللهُ أعْلَمُ بالعبْد

قال: عمارة بن عقيل . قال لى عبدالله بن ابى السمط : علمت أن المأمون لايبصر الشعر . قال : قلت: ومن ذا يكون أعلم منه فوالله إنك لترانا ننشده أول البيت فيسبقنا الى آخره . قال إنى انشدته بيتا أجدت فيه فلم أره تحرك له . قال : قلت وما الذى انشدته ؟ قال انشدته :ـ

أضْحى إمامُ الهُدَى المأمُونُ مُشْتغَلاً بالدِّين وَالنَّـاسُ بالدُّنيَـا مَشَـاغيلُ

(١) هكذا فى الأصل

قال : فقلت له : إنك والله ما صنعت شيئاً وهل زدت على أن جعلتـه عجوزاً فى محرابها فى يدهـا سبحتها فمن القائم بأمر الدنيا اذا تشاغل عنها وهو المطوق بهـا هلا قلت فيه كما قال عمك جرير فى عبد العزيز بن الوليد :ـ

فَلَا هُوَ فى الدُّنيـا مُضيعٌ نَصيبَهُ ... وَلَاعَرَضُ الدُّنياعن الدِّين شَاغِلُه

قال : وحدثنى احمد بن محمد اليزيدى . قال : جاءنا ابى فقال يابنى : لقينى ياسر رجله فقال : أجب أمير المؤمنين فدخلت على المأمون وعنده جماعة من اصحابه فقال : إنى امرت من بحضرنى ينشدنى ما يخطر بقلبه مما يستحسنه فكل أنشد فأنشدنى ما يخطر بقلبك مما تستحسنه فانشدته : —

عُتِّقَتْ حَـتَّى لَو اتَّصَلَتْ ... بلسَانٍ نَاطِـقٍ وفَـم
لَاحْتَبَتْ فى القَوْم مَائـلَةً ... ثُمَّ قَصَّتْ قصَّـةَ الأُمَـم

فقال المأمون الذى اردت : —

وتَمَشَّـتْ فى مَفَاصلهم ... كَتَمشى البُرْءِ فى السَّقَـم

ثم نكث الأرض باصبعـه فانصرف من بحضرته وخرجت معهم فلحقنى ياسر فقال : ارجع . فرجعت : فقال : ياابا محمد : اشتهيت اتعرف الأفياء فلم يزل يذهب من فىء الى فىء حتى افضى الى الرواق فرفـع السجف فاذا عريب ومحمد بن حامد البوزنجردى فقال : نطعم ابا محمد شيئاً . فقلت : قد اكلت ياأمير المؤمنين. فشرب المأمون رطلين وقال : اسق ابا محمد . فلما هممت بشربه قال : هات له عشرين الف درهم قال : وأنشدك بيتين خير لك من عشرين الف . فقلت : مازال أمير المؤمنين يؤدب ويفيد فأنشدنى : ـ

إنِّى وَأَنْتَ رَضيعَا قَهوةٍ لَطُفَتْ ... عَن العِيَان ورَقَّتْ فى مَدَى الوَهْمْ
لَمْ نَغْتَذِى غَيْرَ كَأْس خُزِنَتْ درَّتها ... والكأْسُ حرمَتُها أَوْلى منَ الرَّحم

حدثنى عبدالله الربيع بن سعد بن زرارة . قال : حدثنا محمد بن ابراهيم السبارى قال : لما قدم العتابى على المأمون مدينة السلام اذن له فدخل عليه وعنده اسحاق ابن ابراهيم الموصلى وكان شيخاً جليلا فسلم فرد عليه السلام وأدناه وقربه حتى دنا منه فقبل يده ثم امره بالجلوس فجلس وأقبل عليه يسائله عن حاله فجعل يجيبه بلسان طلق فاستطرف المأمون ذلك منه فأقبل عليه بالمداعبة والمزح فظن الشيخ أنه استخف به فقال ياأمير المؤمنين . الإبساس قبل الإيناس . قال : فاشتبه على المأمون فى الإبساس فنظر المأمون الى اسحاق بن ابراهيم ثم قال : نعم . ياغلام الف دينار فاتى بها فوضعت بين يدى العتابى وأخذوا فى المفاوضة والحديث وغمز عليه اسحاق بن ابراهيم فأقبل لا يأخذ العتابى فى شيء الا عارضه اسحاق بأكثر منه فبقى متعجباً ثم قال ياأمير المؤمنين : أتأذن لى فى مسألة هذا الشيخ عن اسمه . قال : نعم . فسله . قال ياشيخ : من انت ، وما اسمك ؟ قال : انا من الناس واسمى كل بصل . قال : أما النسبة فمعروفة ، وأما الاسم فمنكر ، وما كل بصل من الأسماء . قال له اسحاق : ما اقل انصافك ؟ وما كل ثوم من الاسماء البصل أطيب من الثوم . فقال العتابى :لله درك ما أحجك ياأمير المؤمنين ما رأيت كالشيخ قط تأذن لى فى صلته بما وصلنى به أمير المؤمنين فقد والله غلبنى . فقال له المأمون : بل هذا موفر عليك ونأمر له بمثله . فقال اسحاق بن ابراهيم اما اذا اقررت بهذه فتوهمنى تجدنى . قال : والله ما اظنك الا الشيخ الذى يتناهى الينا خبره من العراق ويعرف بابن الموصلى قال : انا حيث ظننت . فاقبل عليه بالتحية والسلام . فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما : اما اذا اتفقتما على الصلح والمودة فقوما فانصرفا متنادمين فانصرف العتابى الى منزل اسحاق بن ابراهيم الموصلى فأقام عنده .

حدثنا محمد بن عبدالله بن جشم الربعى قال : اخبرنا عمارة بن عقيل . قال:قال لى المأمون يوماً وأنا اشرب عنده : ما اخبثك يااعرابى . قال قلت : وما ذاك ياأمير المؤمنين وهمتى نفسى . قال كيف قلت :ـ

قَالَتْ مُفَدَّاةُ لَمَّا أَنْ رَأَتْ أَرَقِى   وَالْهَمُّ يَعْتَادُنِى مِنْ طَيْفِهِ لَمَمُ
نَهَبْتَ مَالَكَ فِى الْأَدْنَيْنَ آصِرَةً   وَفِى الْأَبَاعِدِ حَتَّى حَفَّكَ الْعَدَمُ
فَاطْلُبْ إِلَيْهِمْ تَرَى مَا كُنْتَ مِنْ حَسَنٍ   تُسْدِى إِلَيْهِمْ فَقَدْ بَانَتْ لَهُمْ صِرَمُ
فَقُلْتُ عَذْلَكِ قَدْ أَكْثَرْتِ لَائِمَتِى   وَلَمْ يَمُتْ حَاتِمٌ هَزْلاً وَلَا هَرِمُ

فقال لى : اين رميت بنفسك الى هرم بن سنان سيد العرب ، وحاتم الطائى فعلا كذا ، وفعلا كذا . وأقبل ينثال علّى بفضلهما . قال فقلت ياأمير المؤمنين : خير منهما انا مسلم وكانا كافرين ، وأنا رجل من العرب .

حدثنا محمد بن زكريا بن ميمون الفرغانى قال : قال المأمون لمحمد بن الجهم انشدنى ثلاثة ابيات فى المديح : والهجاء ، والمراثى ولك بكل بيت كورة فانشده فى المديح :-

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا   وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وانشده فى الهجاء :-

قَبُحَتْ مَنَاظِرُهُمْ فَحِينَ خَبَرْتُهُمْ   حَسُنَتْ مَنَاظِرُهُمْ بِقُبْحِ الْمَخْبَرِ

وانشده فى المراثى :-

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ   فَطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

وقال : حدثنى احمد بن محمد . قال انشدنى العباس بن احمد بن المأمون فى الجوارى :-

أَتُوبُ إِلَى الرَّحْمَانِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ   سِوَى أَنَّنِى لِلْغَانِيَاتِ وَدُودُ
أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ يَسْتَرِقَّنِى   تَرَائِبُ تَبْدُو مِنْ ضُحًى وَخُدُودُ

أخبار المغنين ايام المامون

العباس بن احمد بن ابان ابو القاسم الكاتب . قال : اخبرني الحسين بن الضحاك . قال : قال علويه أخبرك أنه مر بي مرة ما أيست من نفسي معه لولا كرم المأمون وإنه دعا بنا فلما اخذ فيه النبيذ قال : غنوني . فسبقني مخارق فاندفع فتغنى صوتاً لابن سريج في شعر جرير : ـ

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بالدَّيْرَين أَرَّقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وضَرْبٌ بالنَّوَاقيس
فَقُلْتُ للرَّكْبِ قَدْ جَدَّ المسيرُ بنَا يَابُعْدَ يَبْرِينَ مِنْ بَابِ الفَرَادِيس

قال : فخين لى أن تغنيت . وقد كان هم بالخروج الى دمشق يريد الثغر : ـ

الْحَينُ سَاقَ إِلَى دِمَشْقَ وَمَا كَانَتْ دِمَشْقُ لأَهْلِنَــا بَلَدَا

قال : فضرب بالقدح الأرض وقال : مالك . عليك لعنة الله . ثم قال : ياغلام اعط مخارقا ثلاثة آلاف درهم . وأخذ بيدى فقمت وعيناه تدمعان وهو يقول للمعتصم . هو والله آخر خروج ولا أحسبني ارى العراق ابداً . قال : فكان والله آخر الفراق عند خروجه كما قال .

قال الحسين وأخبرني مخارق أنه دخل على المأمون يوماً وبين يديه طبق عليه رغيفان ودجاجة . قال فقال لى : تعال يامخارق . قال : فصيرت بركة قبائي فى منطقتي وغسلت يدى وجئت فجعلت اقطع بين يديه من الدجاجة و آكل حتى اتينا جميعاً على الدجاجة والرغيفين وقمت من بين يديه . فلما جلسنا للنبيذ قال لي يامخارق غنني صوتا كذا فغنيته فعبس فى وجهه وقال لعلويه غنني ياعلويه هذا الصوت فغناه دون غنائي فضحك اليه وتبسم ودعا له بعشرة آلاف درهم فوضعت بين يديه ثم سألني أن اغنيه صوتا آخر فغنيته واجتهدت ففعل مثـل فعله الاول ، وأمر علويه فغناه ففعل كذلك ودعا له بعشرة آلاف درهم ثم قال غنني فغنيته ففعل كفعله الأول ثم قال لعلويه غنه فغناه فدعا له بعشرة آلاف درهم ثم قام الى الصلاة : فقال لي علويه وأصحابنا

الك ذنب ؟ فقلت : لا والله إلاأنى دخلت فدعانى الى الغداء فأكلت معه . فقال لى علويه ويلك الم يكن فى بيتك رغيف فتأكله قبل مجيئك . قال : ثم انصرفنا من ذلك المجلس فأمر أن أحضر الدار كل يوم حتى حضرت شهراً لا يأذن لى . فلما استوفيت ثلاثين يوما أذن لى فدخلت وهو يتغدى وبين يديه طبق مثل ذلك الطبق وعليه دجاجة ورغيفان فسلمت فرد على السلام . ثم قال ادن يامخارق . فقلت ياأمير المؤمنين : لا والله لا أعود لمثلها ابداً . قال : فضحك حتى استغرق ثم قال لى : ويلك اظننت بى بخلا على الطعام لا والله ولكنى اردت تأديبك لمن بعدى لأن الملوك والخلفاء لا يؤاكلها خدمها ، وأخاف أن تتعود هذا من غيرى فلا يحتملك عليه تعال الآن فكل فى أمان . قال قلت : لا افعل والله . قال : فدعا لى بطعام وحضر المغنون فقال لعلويه : غننى فغناه فاعرض عنه . ثم قال لى : غن فغنيت . فأمر لى بعشرة آلاف درهم . ثم لم يزل يفعل كذلك حتىاستوفيت ثلاثين الفا كما وهب لعلويه .

حدثنا محمد بن على بن طاهر بن الحسين ابو العباس قال : كان المأمون يوما قاعد يشرب وبيده قدح إذغنت بذل الكبيرة

أَلَا لَا أرى شَيْئاً الذَّ منَ الوَعْد وَمَنْ أَمَلِى فيه وإنْ كَانَ لَا يُجْدى

قال : فقالت : مكان الوعد الذمن السحق . فوضع المأمون القدح من يدهوالتفت اليها فقال : بلى . النيك الذمن السحق يابذل . ثم قال اتمى صوتك

وَمنْ غَفْلَة الوَاشى إذَا مَا أتَيْتُها وَمَنْ نظَرى أبْيَاتها خَالياً وَحْدى
ومنْ ضَحْكة فى المُلتَقى ثُمَّ سَكْتَةٍ وَكلْتاَ هُما عنْدى ألَذُّ منَ الخُلْد

أخبرنى سعيد بن عبد الرحمن بن مقرن . قال : بلغ المأمون أن عبيدالله بن ابى غسان محبوس بدين عليه . فسأل عمرو بن مسعدة عما عليه من الدين فأخبره

ببلغه فأمر بقضائه عنه . وقال لعمرو قل له عني : اياك بعد هذا أن تدان. واقصر عن الإسراف . قال : فقال لعمرو قل له : ياأمير المؤمنين كيف يسرف من خبزه خشكار ، ونبيذه دوشاب ، ومغنيه عمرو الغزال . وانشدني سعيد بن عبد الرحمن لبعض الرقاشيين في عمرو الغزال . وفي علي بن امية وذلك ان الشعر له :ــ

يَارَبِّ خُذْنِي وَخُذْ علياً وَخُــذْ ... يَاريحُ مَا تَصْنَعِيــنَ بالدِّمَن
عَجِّلْ إلَى النَّار بالثَّلاثة والـــرَّابعُ عَمْرو الغَزَال في قَرَن

حدثني ابو محمد عمر بن محمد بن عبد الملك بن ابان قال : حدثني احمد بن عبد الملك بن ابان قال : حدثني احمد بن عبدالله بن ابي العلاء قال : كنت عند صالح ابن الرشيد ومعنا الحسين بن الضحاك في خلافة المأمون وكان يهوى يعني صالحاً خادما له . فغاضبه في تلك الليلة فتنحى عنه وكان جالسا في صحن له حوله نرجس كثير في قمر طالع حسن فقال : قل للحسين بن الضحاك يقول في مجلسنا وما نحن فيه ابياتا يغني فيها عمرو قال : فقال الحسين :ــ

وَصَفَ البَدْرُ حسنَ وَجْهكَ حَتَّى ... خلتُ أنِّي وَمَا أراهُ أرَاكَا
وإذَا مَا تَنَفَّس النَّرْجس الْغَضُّ ... توَهَّمتهُ نَسيمَ نَشَاكَا
خدَعٌ للمنَا تَقلّبُنِي فيــ ... ـكَ بإشْرَاق ذَا وبَهْجة ذَاكَا
لأُدُومَنَّ مَا حَييتُ علَى الْو ... دِّ لهذَا وَذَاكَ إذْ حـكَيَاكَا

قال : وقال لي تغن فيها فتغنيت فيها من ساعتي .

حدثني محمد بن عبدالله بن طهمان . قال : اخبرني الحسين بن المرزبان النحاس قال : كان المأمون اذا غنى بالصوت يشتهيه استعاده ولم يسمع غيره . قال : وكان اذا اشتهى المأمون من الطعام شيئا أكله ولم يأكل غيره .

حدثني بعض اصحابنا ، عن اسحاق بن حميد كاتب ابي الرازي . قال: انصرف

علويه الأعسر المغنى من مجلس المأمون فقال لنا : إنه دار صوت فى هذه الليلة فى مجلس أمير المؤمنين وهو بيت واحد . فسأل عنه كل من فى المجلس فلم يعرف له احد منهم ثانياً فهل تعرفونه . فقلت : ما هو ؟ فقال : —

تَخَيَّرتُ من نَعمانَ عُودَ أَراكةٍ   لهندٍ فَمن هذا يبلِّغُهُ هندا

فلم نعرفه فقال : احب أن تطلبونه فطلب له عند اهل المعرفة ببغداد فلم يقدر عليه . فلما ولى ابو الرازى كور دجلة ثم نقل منها الى البصرة ، ونقل الى اليمامة والبحرين فلما خرجنا وكنت مع ابى الرازى فى قبة اندفع الحادى يحدو بنا للمرقش الاكبر ويقال للمجنون :—

خَليلَىَّ عُوجَا بَارَكَ اللهُ فيكُمَا   وإنْ لم تَكُنْ هندٌ لأَرْضِكمَا قَصْدَا
وَقولاَ لَهَا لَيْسَ الضَّلاَلُ أجازَنَا   ولا كُنَّا جُزْنَا لِحَاجَتِنا عَمْدَا
تَخَيَّرتُ من نَعمانَ عُود أراكةٍ   لهندٍ فَمَنْ هذا يبلِّغُه هنْدَا
وأَبطشه سيفى لكيما أقيمه   فَلَا أُوداً فيه استَبَان ولاَ حَصْدَا
سَتَبْلُغ هنداً أنْ سَلِمْنَا وسَلِمتْ   قَلائصُ يَقْطَعْنَ الفَلاَةَ بنَا وخْدَا
فَلَمَّا أَنخْنَا العِيسَ قَدْ طَالَ سيرُهَا   إليهم وَجَدْنَا بالقرى منهم حشْدَا
فَنَاوَلْتُها المِسْوَاكَ وَالقَلْبُ خَائفٌ   وَقُلْتُ لهَا يا هندُ هَلْ مثْلُ ذَا يُهدَى
وَأَقبَلتْ مُجْتَازاً مُودّ رسَالَةٍ   فَقَامَتْ تَجُرُّ المَيْسَنَانِيَّ والبُرْدَا
تَعرَّضُ للحَىِّ الَّذينَ أُريدُهُمْ   ومَا الْتَمَسَتْ إلاَّ لتَقْتُلَنى عَمْدَا
فَمَا شبْهُ هنْد غيْرَ أدْمَاءَ خَاذلٍ   منَ الوَحْشِ مُرْتَاعٍ تُرَاعِى طَلاً فَرْدَا
ومَا نُطفَةٌ منْ مزْنَةٍ فى وقيعةٍ   عَلَى مَتْنِ صَخْرٍ فى صَفَا خَالَطَتْ شَهْدَا
بأَطيَبَ منْ رَيَّا عُلاَلة ريقها   غَداةَ هضَابُ الطَّلِّ فى رَوْضَة تَنْدَى

حدثنى الفضل بن العباس بن الفضل . قال : قال لى اسحاق بن ابراهيم الموصلى: طالت جفوة المأمون لى فلم اكن ادخل عليـه ولا أحضر مجالسه فأضر ذلك بى فأتيت علويه ، وكان علويه لا يفارق المأمون لمنادمته . فقلت له : ويلك هل فيك خير ؟ فقال لى علويه : ياسيدى ففيمن الخير اذاً . فقلت له : قـــد علمت تناسى أمير المؤمنين لى وشدة جفائه ، وقد والله أجحف ذلك بى فهل لك الى شيء اعرضه عليك ياعلويه فقال لى : قل ياسيدى ما احببت قال اسحـاق فقلت له : قد قلت بيتين مليحين وقد صنعتهما بلحن مليح فاردت اذا صرت الى منادمة المأمون فغنيت صوتين أو ثلاثة أن تغنى هذا الصوت فانه سيسألك قال علويه نعم وكرامة .قال : فمكثت اطرح عليه الصوت اياما حتى احكمه وجوده فلما أن جلس المأمون للهوه غنى علويه هذا الصوت وهو :

يَاسَرْحَةَ المَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ ... أَمَا الَيْكَ سَبِيلٌ غَيْرُ مَسْدُودِ
لحَائمٍ حَامَ حَتَّى لاَ حَيَامَ بِهِ ... مُحَلَّإٍ عَنْ طَرِيقِ المَاءِ مَطْرُودِ

فلما أن سمعه المأمون قال : ياعلويه : لمن هذا الشعر وأيش هذا الصوت .؟ . قال : قال : فقال له ياأمير المؤمنين : هذا للمجفو المطرود عبدك اسحاق بن ابراهيم الموصلى . قال : على به الساعة . قال اسحاق : فأتانى الرسول فصرت الى المأمون فلما أن رانى وسلمت عليه . قال لى : ادن فلم يزل يدنينى حتى مست ركبتى ركبته ، ثم قبلت يديه ورجليه ثم أمر لى بمائة الف درهم وألزمنى خدمته وما زلت فى ذلك آخذ جوائزه فى كل قليل حتى توفى .

حدثنى سليمان بن على بن نجيح . قال : حدثنى ابى . قال : حدثنى صالح بن الرشيد قال : كنا عند المأمون ، وعقيد ، وعمرو بن بانة ، وعيسى بن زينب فغـنى عقيد بشعر عيسى بن زينب وعيسى حاضر وكان نديماً للمأمون وكان شاعراً : ـ

لَكَ عِنْدِى فِى كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدِ ... طُرْفَةٌ تُسْتَفَادُ يَابْنَ الرَّشِيـــدِ
يَاعَمُودَ الإِسْـــلاَمِ خَيْرَ عَمُودٍ ... وَالَّذِى صِيغَ مِنْ حَيَاءٍ وَجُودِ

فَتَنفَّستُ ثُمَّ قُلْتُ كَذَا كُـ ـلُّ مُحبٍّ صَبِّ الفُـــؤاد عميد
إذْ تَغَنّى عَمْرُو بنُ بَانَةَ إذْ ذَا كَ وَهْـو قَابِضٌ بأيْرٍ عَقيد

قال : فقال المأمون لعقيد . قف فذكر لخشاء .(١)

قال احمد بن ابى طاهر : قال اسحاق الموصلى : قدم المأمون وكنت ادخل وعليّ طويلة وأنا فى السواد فذكر المأمون ذاك فقيل له أنى اتيه على الخلفاء ولا اغنيهم . فقال له صالح وابو عيسى كذبوك ابعث اليه فجئت فغنيته : ـ

يَاشَرْعَةَ المَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوارِدهُ أمَا إلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدُود

ثم غنى علويه :ـ

لعـــبْدة الدّارُ مَا تُكَلِّفُ الدّارُ

فقال : لمن هذا ؟ فقال علويه : لابراهيم . فقال لى : هكذا . فقلت : هو لأبى وقد اخطأ فيه فأنكر عليه فقال : رده انت . فرددت الصوت فقبلنى وضمنى اليه وأمر لى بخمسين الف درهم .

قال احمد : بن ابى طاهر : قال ابو الحسن موسى بن جعفر بن معروف : حدثنى علويه . قال : امرنى المأمون واصحابى أن نغدو عليه لنصطبح فغدونا فلقينى عبدالله بن اسماعيل صاحب المراكب مولى عريب فقال :

« يأيها الرجل الظالم المعتـــدى أما ترحم ولا ترق ولا تستحى »
« عريب هائمة تحتكم عليك فى كل ليـلة ثلاث مرات »

قال : ابو الحسن : قال لى علويه : وكانت عريب أحسن الناس وجهاً ، وأظرف الناس وأفكه وأحسن غناء منى ومن صاحبى يعنى مخارق . قال : فقلت ام المأمون زانية مر حتى اجىء . قال : فحين دخلت قلت له استوثق من الأبواب فإنى اعرف الناس بفضول الحجاب . فأمر بالأبواب فأغلقت ودخلت فاذاعريب جالسة على كرسى عظيم تطبخ بين يديها ثلاث قدور من دجاج فلما رأتنى قامت الىّ فعانقتنى وقبلتنى وأدخلت لسانها فى فى ثم قالت : ما تشتهى أن تأكل ؟ فقلت :

(١) هكذا فى الأصل والصواب فتلك لخشاء

قدراً من هذه فأفرغت قدراً منها بيني وبينها فأكلنا ثم دعت بالنبيذ فصب رطلا فشربت نصفه وسقتني نصفه فما زلنا نشرب حتى سكرنا ثم قالت ياابا الحسن : اخرجت البارحة شعر ابى العتاهية فاخترت منه شعراً غنيت فيه فقلت : ما هو ؟ فقالت .

وإنّي لمشتاقٌ إلى ظلّ صاحبٍ   يروقُ ويصفو إنْ كدرتُ عليْه
عذيرى منَ الإنسانِ لاَ إنْ جفوته   صفَا لى ولاَ إنْ كنْتُ طوع يديْه

فصيرناه مجلسنا فقالت : بقي على فيه شيء فأصلحه . فقلت ما فيه شيء. فقالت: بلى فصححناه جميعا ثم جاء الحجاب فكسروا فاستخرجوني فأدخلت على المأمون فأقبلت ارقص من اقصى الإيوان وأصفق بيدى وأغنى الضرب فسمع وسمعوا ما لم يعرفوه فاستظرفوه فقال المأمون : ادن ياعلويه رد على الصوت . فرددته سبع مرات . فقال : انت الذى تشتاق الى ظل صاحب يرق لك ويصفو إن كدرت عليه. فقلت : نعم . قال : تخذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب بدلها .

سمعت عمرو بن بانة يقول : كنت يوما عند صالح بن الرشيد فقال لى صالح : لست تطرح على جوارى وغلماني ما أستجيده . قال فقلت : ويلك ما ابغضك ابعث الى منزلى فجيء بالدفاتر فجاءني بالدفاتر فأخذ دفتراً منها ليتخير فمر بشعر الحسين ابن الضحاك :

أطلْ حزْناً وابْك الأمينَ محمّداً   بحزْنٍ وإنْ خفتَ الحسَام المهنّدَا
ولاَ فرحَ المأمونُ بالْملك بَعدهُ   ولاَ زالَ فى الدّنيَا طريداً مشرّدَا

فقال : أنت تعلم أن المأمون يجيئني فى كل ساعة فان قرأ هذا ما يكون ؟ . ثم دعا بسكين فحكه . وصعد المأمون من الدرجة ورمى صالح بالدفتر فقال المأمون ياغلام : الدفتر . فأتى به فنظر فيه فوقف على الحك فقال المأمون : إن قلت لكم ما كنتم فيه تصدقوني . قلنا : نعم ، قال ينبغي أن يكون اخى قال لك ابعث فجيء بدفاترك لتتخير ما نطرح فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكه وقال لى :

غنه . فقلت : ياأمير المؤمنين : الشعر للحسين بن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر . فقال : وما يكون غنه . فغنيته . فقال : رده . فرددته ثلاث مرات فأمر لي بثلاثين الف درهم وقال : حتى تعلم أنه لم يضرك ، والحسين بن الضحاك الذى يقول فى سعيد بن جابر :

« يَاسَعِيدُ وأَيْنَ مِنِّي سَعِيدُ »

قال اسحاق الموصلي : كانت لى صناجة كنت بهامعجباً ،واشتهاها ابو اسحاق فى ايام المأمون فبينا انا ذات يوم فى منزلى اذ اتانى رسول المأمون فقلت ذهبت والله صناجتى تجده قد ذكرها له فبعث الى فيها فمضيت وأنا مثخن فدخلت فسلمت فرد السلام ونظر الى تغير وجهى فقال لى : اسكن . فسكنت . وسألنى عن صوت فقال : اتدرى لمن هو ؟ فقلت أسمعه ثم اخبر به ان شاءالله . فأمر جاريةمن وراء ستارة فغنته وضربت فاذا هى قد شبهته بالقديم فقلت : زدنى معها عوداً آخر ففعل . فقلت ياأمير المؤمنين : هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة . فقال من اين قلت ذاك ؟ قلت : لما سمعت لينه علمت أن صار بنائه ضاربة فقد حفظت اجزائه ومقاطعه ، ثم طلبت عوداً آخر فلم اشكك . فقال : صدقت . الغناء لعريب .

قال حماد بن اسحاق الموصلي : قال اسحاق : سألنى المأمون يوماً عن مخارق وعلوية وكيفهما فى صنعة الغناء ؟ فقلت ياأمير المؤمنين: مثلهما مثل رجل لم يكن يحسن غير الف ب ت ث فدخل على قوم أميين فسموه كاتباً . ولكن هاذين بقيا الى دهر ماتت أهل الصناعة المتقدمين فصارا عند اهله مغنيين وما غنيا وهما عند القديم إلا مثل الكذابة عند الوشى الإسكندرانى .

حدثنى بعض اصحابنا قال : كنا فى منزل محمد بن داود بن اسماعيل بن على الهاشمى وكان عالما بالفقه وبالغناء جميعا ووصفه يحيى بن اكثم بالفقه للمأمون ، ووصفه احمد بن يوسف الكاتب للمأمون بالعلم بالغناء .فقال المأمون:

ما أعجب ما اجتمع فيه الفقه ، والغناء فكتبنا الى اسحاق بن ابراهيم الموصلى وكان فى جواره نسأله أن يتحول الينا . فكتب الينا جعلت فداكم قداخذت دواء وأنااخرج منه ثم احمل قوير يرتى وأصير اليكم وكتب فى اسفل كتابه : ـ

أَنَا الشَّمَاطِيطُ الَّذِى حُدِّثْت بِه   مَتَى أُنَبِّه لِلْغَدَاءِ أَنْتَبِه
ثُمَّ أُزَكِّى حَوْلَهُ واحْتَبِه   حَتَّى يُقَالُ شَرِهُ وَلَسْتُ بِه

ثم جاء بعد ومعه بديح غلامه فتغدينا وشربنا وكان عندنا احمد بن يوسف وذكاء وصغير فغنى ذوكاء وهو ابو كامل صوتا فاستحسنه اسحاق واستعاده وهو : ـ

أَبَهَارُ قَدْ هَيَّجْتَ لِى أَوْجَاعًا   وَتَرَكْتَنِى عَبْداً لَكُمْ مِطْوَاعًا
بِحَدِيثِكَ الْحَسَنِ الَّذِى لَوْ كَلَّمَتْ   وَحْشُ الفَلَاةِ بِهِ لَجِئْنَ سِرَاعًا

فقال ابو اسحاق ممن اخذت هذا الغناء . فقال : من معاذ بن الطيب . فقال : احب ان تلقيه على بديح ، فألقاه عليه فلما صليت العصر انصرف ابو كامل وقال ابو جعفر احمد بن يوسف يشرب وعنده قوم فاحتاج الى أن اذهب اليه فانصرف وتخلف صغير فغنى . فقال له اسحاق انت والله ياغلام ماخورى . وسكر محمد فى آخر النهار فغنى : ـ

هَبُونِى أَغُضُّ إِذَا مَا بَدَتْ   وَأَمْنَعُ طَرْفِى فَلَا أَنْظُرُ
فَكَيْفَ إِسْتِتَارِى اذَا مَا الدُّمُوعُ   نَطَقْنَ (فَبُحْنَ) بِمَا أُضْمِرُ
فَيَامَنْ سُرُورِى بِهِ شِقْوَةٌ   وَمَنْ صَفْوُ عَيْشِى بِهِ أَكْدَرُ
فَلَوْلَمْ تَكُنْ فِى بُقْيَا عَلَيْـ   ـكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِى كَمَا تَنْظُرُ

فالتفت اسحاق الى محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان فقال : ياعبدالله اجرك الله فى ابن عمك اذ قد سكر يغنى قدام اسحاق .

نسخة كتاب أمير المؤمنين المأمون الى ابى الحسين اسحاق بن ابراهيم فى المحنة

وهو أول كتاب كتبه

أما بعد: «فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في اقامة دين الله الذى استحفظهم ، ومواريث النبوة التى اورثهم وأثر العلم الذى استودعهم والعمل بالحق فى رعيتهم والتشمير لطاعة الله فيهم ، والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد وصريمته والإقساط فيما ولاه الله من رعيته برحمته ومنته.

وقد عرف أمير المؤمنين ، أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ، ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته ولا استضاء بنور العلم وبرهانه فى جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله وعمى عنه وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به، ونكوب عن واضحات اعلامه وواجب سبيله ، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه ، بضعف آرائهم ، ونقص عقولهم ،وجفائهم عن التفكير والتذكر، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما انزل من القرآن ، وأطبقوا مخضعين ، واتفقوا غير متجامعين على أنه قديم اول ، لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه وقد قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الذى جعله لما فى الصدور شفاء وللمؤمنين هدى ورحمة : (إنا جعلناه قرآنا عربيا (١)) فكل ما جعله الله فقد خلقه الله . وقال: الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون(٢)) وقال عز وجل: (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق (٣)) . فاخبر انه قصص لأمور احدثها بعده ، وتلا بها متقدمها وقال: (الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (٤)) وكل محكم مفصل فله محكم مفصل. والله جل وعز محكم كتابه ومفصله فهو خالقه ومبتدعه . ثم هم اولئك الذين جادلوا بالباطل الى قولهم ، ونسبوا أنفسهم الى السنة وفى كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته

---

(١) الزخرف ٢ (٢) الانعام ١ (٣) طه ٩٩ (٤) هود ١

مبطل قولهم ، ومكذب دعواهم يرد عليهم قولهم ونحلتهم ، ثم اظهروا مع ذلك أنهم هم اهل الحق والدين والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة . فاستطالوا بذلك على الناس ، وغروا به الجهـــال حتى مال قوم من اهل السمت الكاذب التخشع لغير الله ، والتقشف لغير الدين الى موافقتهم عليه ، ومواطأتهم على سيء آرائهم تزينا بذلك عندهم وتصنعا للرئاسة والعدالة فيهم فتركوا الحق الى باطلهم ، واتخذوا دون هدى الله وليجة الى ضلالتهم فقبلت بتزكيتهم لهم شهاداتهم ونفذت احكام الكتاب بهم على دغل دينهم ، وبطل اديمهم وفساد نياتهم وتفننهم وكان ذلك غايتهم التى اليها اجروا ، وإياها طلبوا فى متابعتهم ، والكذب على مولاهم وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا مافيه: (أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم أفلايتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها [(١)]) . فرأى أمير المؤمنين أن اولئك شر الأمة ، ورؤوس الضلالة ، والمنقوصون من التوحيد حظا ، والمخسوسون من الإيمان نصيباً وأوعية الجهالة ،وأعلام الكذب ولسان ابليس الناطق فى اوليائه ، والهائل على اعدائه من اهل دين الله ،وأحق من اتهم فى صدقه ،وأطرحت شهادته ولم يوثق بقوله ولا عمله فإنه لا عمل الا بعد يقين ، ولا يقين الا بعد استكمال حقيقة الاسلام ، وإخلاص التوحيد ومن عمى عن رشده وحفظه من الايمان بالله وبتوحيده كان عما سوى ذلك من عمله والقصد من شهادته أعمى واضل سبيلا . ولعمر أمير المؤمنين إن احجى الناس بالكذب فى قوله ، وتخرص الباطل فى شهادته من كذب على الله ووحيه ولم يعرف الله حقيقة معرفته . وإن أولاهم أن يرد شهادة الله جل وعز على كتابه ، ويهت حق الله بباطله فاجمع من بحضرتك من القضاة واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا اليك وابدأ بامتحانهم فيما يقولون ، وتكشيفهم عما يعتقدون فى خلق الله القرآن

---

(١) سورة : محمد ٢٥ — ٢٦

وإحداثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله ، ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه فى امور رعيته من لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه فاذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه وكانوا على سبيل الهدى والنجاة فرهم بنظر من بحضرتهم من الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم فى القرآن وترك الاثبات بشهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ، ولم يروا الامتناع من توقيعها عنده واكتب الى امير المؤمنين بما يأتيك من قضاة اهل عملك فى مسألتهم والأمر لهم بمثل ذلك ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله الا بشهادة اهل البصائر فى الدين والإخلاص للتوحيد واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون منك فى ذلك وكتب فى شهر ربيع الأول سنة ثمانى عشرة ومائتين .

قال :وكتب المأمون الى اسحاق بن ابراهيم وهو يختلفه ببغداد فى اشخاص

سبعة نفر من الفقهاء منهم : محمد بن سعد كاتب الواقدى ، وابو مسلم مستملى يزيد ابن هارون ، ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب ، وابو خيثمة ، واسماعيل بن داود واسماعيل بن ابى مسعود ، وأحمد بن الدورقى . فأشخصوا فسألهم وامتحنهم عن خلق القرآن فأجابوا جميعا أن القرآن مخلوق فأشخصهم الى مدينة السلام واحضرهم اسحاق داره فشهر أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء والمشايخ من اهل الحديث فأقروا بمثل ما اجابوا به المأمون فخلى سبيلهم وكان احضار اسحاق اياهم وشهر امرهم بأمر المأمون ، وكان المأمون بعد ذلك كتب الى اسحاق بن ابراهيم .

أما بعد : فان من حق الله على خلفائه فى ارضه وأمنائه على عباده الذين ارتضاهم لإقامة دينه ، وحملهم رعاية خلقه وإمضاء احكامه وسننه ، والائتمام بعدله فى بريته أن يجهدوا الله انفسهم ، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم ، ويدلوا عليه تبارك اسمه وتعالى بفضل العلم الذى اودعهم ، والمعرفة التى جعلها فيهم ويهدوا اليه من زاغ عنه ، ويردوا من ادبر عن امره . وينهجوا لرعاياهم سمت نجاتهم . ويقفوهم على حدود إيمانهم وسبل فوزهم وعصمتهم ويكشفوا لهم عن مغطيات

امورهم ومشتبهاتها عليهم بما يدفع الريب عنهم ويعود بالضياء والبينة على كافتهم وأن يؤثروا ذلك من ارشادهم وتبصيرهم اذ كان جامعاً لفنون مصانعهم، ومنتظما لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم ويتذكروا ما الله مرصد به من مسائلتهم عما حملوه، ومجازاتهم بما أسلفوه وقدموا عنده وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحده وحسبه الله وكفى به . ومما بينه أمير المؤمنين برويته وطالعه بفكره ونظره فتدس عظيم خطره وجليل ما يرجع فى الدين من وكفه وضرره ما ينال المسلمون بينهم من القول فى القرآن الذى جعله الله إماما لهم، وأثراً من رسول الله ﷺ . وصفيه محمد ﷺ باقيا لهم، واشتباهه على كثير منهم حتى حسن عندهم،وتزين فى عقولهم أن لا يكون مخلوقا فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله الذى بان به عن خلقه، وتفرد بجلالته من ابتداع الاشياء كلها بحكمته وانشائها بقدرته والتقدم عليها بأوليته التى لا يبلغ اولاها ، ولا يدرك مداها وكان كل شيء دونه خلقا من خلقه وحدثا هو المحدث له وإن كان القرآن ناطقا به ودالا عليه ، وقاطعا للاختلاف فيه، وضاهوا به قول النصارى فى ادعائهم فى عيسى بن مريم صلوات الله عليه إنه ليس بمخلوق اذ كان كلمة الله والله عز وجل يقول : (انا جعلناه قرآنا عربيا) (١) وتأويل ذلك إنا خلقناه كما قال جل ثناؤه [(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها (٢)) وقال : (وجعلنا الليل لباسا ٭ وجعلنا النهار معاشا (٣)) . وقال: (وجعلنا من الماء كل شيء حي (٤)) فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق التى ذكرها فى شية الصنعة ، واخبر انه جاعله وحده فقال : (بل هو قرآن مجيد ٭ فى لوح محفوظ (٥)) فقال ذلك على احاطة اللوح بالقرآن ولا يحاط الا بمخلوق . وقال لنبيه ﷺ : (لا تحرك به لسانك لتعجل به (٦)) وقال :

---

(١) الزخرف ٣ (٢) الروم ٢١ (٣) عم ١١ — ١٢ (٤) أنبياء ٣٠
(٥) البروج ٢١ — ٢٢ (٦) القيامة ١٦

(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث (١)) وقال : (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته (٢)) وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم انهم قالوا : (ما انزل الله على بشر من شيء (٣)) ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله : (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى (٤)) فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرا وايمانا ونوراً وهدى ومباركا وعزبيا وقصصاً فقال : (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن (٥) وقال : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله (٦)) وقال : (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات (٧)) وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (٨) فجعل له اولا وآخراً ودل عليه أنه محدود مخلوق وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم فى القرآن الثلم فى دينهم والحرج فى امانتهم وسهلوا السبيل لعدو الاسلام واعترفوا بالتبديل والالحاد على قلوبهم حتى عرفوا ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التى هى لله وحده وشبهوه به والاشباه اولى بخلقه ، وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظا فى الدين ، ولا نصيبا من الايمان واليقين ولا يرى ان يحل احدا منهم محل الثقة فى أمانة ولا عدالة ولا شهادة ولا صدق فى قول ولا حكاية ولا تولية لشيء من امر الرعية وان ظهر قصد بعضهم وعرف بالسداد مسدد فيهم فان الفروع مردودة الى اصولها ، ومحمولة فى الحمد والذم عليها ، ومن كان جاهلا بامر دينه الذى امره الله به من وحدانيته فهو بما سواه اعظم جهلا ، وعن الرشد فى غيره اعمى واضل سبيلا . (٩))] .... (١٠) من كل فتنة فانه ان يفعل فاعظم بها نعمة وان لم يفعل فهى الهلكة وليس لاحد على الله حجة .. ونحن نرى ان الكلام فى القرآن بدعة يشارك فيها السائل والمجيب فيتعاطى السائل ما ليس له ، ويتكلم المجيب بما ليس عليه

---

(١) الانبياء ٢ (٢) و(٣) و (٤) الانعام ٢١ — ٩١ (٥) يوسف ٣ (٦) الاسراء ٨٨
(٧) هود ١٣ (٨) فصلت ٤٢ (٩) ما بين المربعين اكمال لمرسوم المأمون . ز تاريخ ابن جرير (ز)
(١٠) وقبل هذا بياض ونقص فى الاصل لم يمكن اكماله (ز)

وما اعرف خالقا الا الله وما دون الله فمخلوق ، والقرآن كلام الله فانته بنفسك وبالمختلفين فى القرآن الى اسمائه التى سماه الله بها تكن من المهتدين ، وذر الذين يلحدون فى اسمائه سيجزون بما كانوا يعملون . ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين جعلنا الله واياك من (الذين يخشونه بالغيب وهم من الساعة مشفقون)[١]

حدثنى سعيد العلاف القارىء قال : ارسل المأمون وهو فى بلاد الروم فحملت

اليه وهو بالبدندون فكان يستقرئنى فدعانى يوماً فجئت فوجدته جالسا على شاطىء البدندون وابو اسحاق المعتصم جالس من يمينه فامرنى فجلست قريباً منه فاذا هو وابو اسحاق مدليان ارجلهما فى ماء البدندون فقال : ياسعيد . دل رجليك فى هذا الماء وذقه فهل رأيت ماء قط اشد بردا ولا اعذب . ولا اصفى صفاء منه ففعلت فقلت ياأمير المؤمنين: ما رأيت مثل هذا قط . قال : اى شيء يطيب ان يؤكل ويشرب هذا الماء عليه ؟ . فقلت : أمير المؤمنين اعلم . فقال : رطب الأزاذ. فبينا نحن نقول هذا اذ سمع وقع لجم البريد فالتفت فنظر فاذا بغال من بغال البريد على اعجازها حقائب فيها الألطاف فقال لخادم له : اذهب فانظر هل فى هذه الألطاف رطب ؟ فان كان رطبا فانظر فان كان فيها ازاذا فات به فجاء يسعى بسلتين فيهما رطب ازاذ مكتوب عليها آزادا[٢] فأمر بفتحهما فاذا رطب ازاذ كانما جنى من النخل تلك الساعة فاظهر شكراً لله وكثر تعجبنا منه جميعا فقال : ادن فكل . فأكل هو وابو اسحاق وأكلت معهما وشربنا جميعا من ذلك الماء فما قام منا احد الا وهو محموم فكانت منية المأمون من تلك العلة ولم يزل المعتصم عليلا حتى دخل العراق ولم أزل عليلا حتى كان قريبا الآن .

---

(١) الأنبياء (٢) كلمة فارسية

ذكر من مات فى ايام المامون ببغداد وغيرها

من سنة اربع ومائتين وما بعدها

من السنين الى آخر ايامه وولايته من الفقهاء

فى سنة اربع ومائتين مدخل المأمون بغداد مات : الحسن بن صالح بن ابى الأسود الفقيه لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول ليلة الجمعة . ومات فى هذه السنة : السندى بن شاهك مولى أمير المؤمنين ببغداد لست خلون من رجب وكان يكنى ابا نصر وكانت وفاته بعد دخول المأمون بأربعة اشهر وثلاثة عشر يوماً .

ومات : عبد العزيز بن الوزير بن ضابى الجروى وهو محاصر بالاسكندرية من اهل الاندلس وقد سألوه ان ينظرهم بقية يومهم فامتنع وامر بنصب المجانيق عليهم فانكسر سهم المنجنيق فرجع عليه فقتله فى آخر ذى الحجة وكان يكنى ابا الأصنع

قال ابو حسان : وفيها مات السرى بن الحكم وهو والى مصر . وفيها مات محمد بن عبيد الطنافسى ويكنى ابا عبدالله . ومات العباس بن المسيب سلخ شوال من هذه السنة .

قالوا : ومات فى سنة ست ومائتين : يزيد بن هارون الواسطى بواسط فى غرة شهر ربيع الآخر . ومات شبابة بن سوار الفزارى بالمدائن . ومات: عبدالله ابن نافع الصائغ فى رمضان .

قال: الخوارزمى ومات : شبيب بن حميد لسبع خلون من ذى القعدة سنة اربع ومائتين . وفى سنة خمس ومائتين مات : عبدالله بن الخرشى لغرة ربيع الآخر . ومات عقبة بن جعفر بن محمد بن الاشعث فى ربيع الآخر من هذه السنة

وفى سنة سبع ومائتين مات : حجاج بن محمد أبو محمد الأعور مولى سليمان ابن مجالد فى شهر ربيع الآخر .

قال ابو حسان : وكان موت يزيد بن هارون فى سنة سبع ومن قال فى سنة ست اخطأ . وقال ابو حسان : مات فى سنة سبع : محمد بن عمر الواقدى ببغداد ومات : يعقوب بن المهدى يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان . ومات : عبد الله بن بكر السهمى . ومات : ابو النضر هاشم بن القاسم الملقب قيصر . ومات : يونس بن محمد المعلم . ومات : الاسود بن عامر شاذان ابو عبد الرحمن ومات : الهيثم بن عدى ابو عبد الرحمن بفم الصلح غرة المحرم . ومات : وهب بن ابى حازم بالمنجشانية منصرفه من الحج وحمل فدفن بالبصرة . ومات عمر بن حبيب القاضى العدوى فى شهر . . . . .

فهارس الكتاب

فهرس المواضيع والأبحاث الهامة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس

الرجال والنساء والقبائل والملل (١)

(١) وضعنا بين الأسماء علامة = بمعنى انظر

اسماء البلدان والاماكن

فهرس
القوافى وأسماء الشعراء

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	اسم الشاعر
قل للامام وخير القول اصدقه	كالراس	البسيط	١٢٦	
لما تذكرت بالديرين ارقنى	بالنواقيس	البسيط	١٧٢	جرير الشاعر
لولا تكون لكاتب لك ربعة	الراس	الكامل	١٢٤	دعبل الخزاعى
وجيش فى الوغى بازاء جيش	خميس	الوافر	١٥٧	
(ع)				
ابهار قد هيجت لى اوجاعا	مطواعا	الكامل	١٨٠	
خليلى ان الهم لى غير وازع	نازع	الطويل	١٦٤	ابو العميثل
ياخير من ذملت يمانية به	طامع	الكامل	١٠٢	ابراهيم بن المهدى
يحب الملوك ندى جعفر	يصنع	المتقارب	٥٢	اشجع السلمى
(ف)				
أعيضت بعد حمل الشوك	من الحرف	مجزؤ الرمل	١٦٢	ابراهيم بن العباس
فاذ فات الذى فات	الظرف	مجزؤ الرمل	١٦٢	دعبل الخزاعى
فلو كنتم على ذاك	قصف	مجزؤ الرمل	١٦٢	رزين الشاعر
كيف بالصيد لنا ياقوم	كيفا	مجزؤ الرمل	٩٣	
هلا بقيت لسد فاقتنا	التلف	الكامل	٣٧	الحسين بن الضحاك
وجه الذى يعشق معروف	منحوف	رجز	١١١	المأمون
(ق)				
ان كان ابراهيم مضطلعاً بها	لمخارق	الكامل	١٦٠	دعبل الخزاعى
انى يكون ولا يكون ولم يكن	فاسق	الكامل	١٠٧	دعبل الخزاعى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	اسم الشاعر
البس جديدك انى لابس خلق	الخلقا	البسيط	٦١	الخليفة المأمون
وياجارديذا لا تخف سجن طاهر	طليق	الطويل	٦٧	طاهر بن الحسين
	(ك)			
علمنى جودك السماح فما	صلتك	المنسرح	٩٥	محمد بن المثنى
وصف البدر حسن وجهك حتى	اراكا	الخفيف	١٧٤	الحسين بن الضحاك
	(ل)			
اخو الجد إن جد الرجال وشمروا	باطل	الطويل	١٢٥	
اضحى امام الهدى المأمون مشتغلا	مشاغيل	البسيط	١٦٨	عبدالله بن ابى السمط
اغمدى سيفى وقولى	طويلا	مجزوء الرمل	٩٠	عبد الله بن طاهر
برئت من الاسلام ان كان ذا الذى	قالوا	الطويل	١٥٢	قاضى دمشق
بنا نلت الذى نلت	الفضولا	هجز	٩٠	الخليفة المأمون
حتى خرجن بنا من تحت كوكبهم	واكفالا	البسيط	٥٠	الحريش
حرمت مناى منك ان كان ذا الذى	قالوا	الطويل	١٥٣	الخليفة المأمون
لاتصلح النفس اذ كانت مقسمة	حال	البسيط	١٥٨	ابو العتاهية
وسلام عليك ياظبية السكر	ارتحال	الخفيف	١٣٣	ابو دلف
وكنا حين تذكر منك نعمى	المقال	الوافر	١٣	حسان بن ثابت
وليس اخو الحاجات من بات ساهرا	وجل	الطويل	٧٢	طاهر بن الحسين
وهل ينبت الخطى الا وشيجه	النخل	الطويل	٤٠	زهير
يا ايها المتمنى ان يكون فتى	السبلا	البسيط	٨٧	
	(م)			
أأتراك إن قلت دراهم خالد	للئيم	الطويل	١٥٥	عمارة بن عقيل
اذ يتقون بى الاسنة لم اخم	مقدمى	الكامل	١٣٥	عنترة

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	اسم الشاعر
يا رب خذنى وخذ عليا وخذ	بالدمن	المنسرح	١٧٤	
	(و)			
صدقت لعمرى انها لكثيرة	السرو	الطويل	٦٦	مهزم بن الفرز
كفى حزنا ان الفراء كثيرة	فرو	الطويل	٦٦	مهزم بن الفرز
	(ه)			
اخى انت ومولاى	نعماه	مجزؤ الوافر	٨٣	الخليفة المأمون
اذا ما بدأت امرءا جاهلا	حمله	المتقارب	٧١	
ارقه برح الهوى وسدبه	يأمله	الرجز	١٦٧	
اشد على الكتيبة لا ابالى	سواها	المتقارب	١٣٦	العباس بن مرداس
انا الشماطيط الذى حدثت به	انتبه	الرجز	١٨٠	اسحاق بن ابراهيم
انما الدنيا ابو دلف	محتضرة	المديد	١٣٧	على بن جبلة
انى لاكنى باجبال عن اجبلها	واديها	البسيط	٩٤	
حسب الفتى ان يكون ذاحسب	حسبه	مجزؤ البسيط	٨٠	احمد بن ابى طاهر
زاد ورد الغى عن صدره	وطره	المديد	١٣٧	على بن جبلة
رب رام من بنى ثعل	ستره	المديد	١٣٨	امرؤ القيس
زعموا لى ان من ضرب السنة	حسنه	المديد	١٦٠	ابو العتاهية
شكرنا الخليفة اجراءه	نزله	المتقارب	١٢٣	دعبل الخزاعى
فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه	شاغله	الطويل	١٦٩	جرير الشاعر
مأموفى يا ذا المنن الشريفه	المنيفه	رجز	١٤٩	ابو نزلة البصرى
ودم أهدرت من رشأ	هدره	المديد	١٣٨	على بن جبلة
وقبلك ما أعييت كاسر عينه	حبائلة	الطويل	٧٥	الفرزدق
وانى اذا الحرب العوان توكل	بقاءها	الطويل	١٣٥	
وانى لمشتاق الى ظل صاحب	عليه	الطويل	١٧٨	ابو العتاهية
يا صاحب التطويل فى كتبه	فعله	السريع	١٣٩	ابو دلف
	(ى)			
اذا لم تكن ابل فمعزى	العصى	الوافر	١٦٠	امرؤ القيس

٨ - ١١: حلت ١٤ - ١ : الخالق ٢٣ - ١٩ : جبغويه ٣٧ - ٤ : بلغ ٣٧ - ٦ : سلفوا، يعوز ٣٧ - ٩: محمد بن عيسى ٤٨ - ١٠ : يثقب ٥٠ - ١٥ : تعقرا ٥٣ - ١٢ : نور ٥٣ - ١٥ : شهدت ٦٣ - ١٢ سعد بن موسى ٦٧ - ١٧: فواليك ٦٨ - ٦ : بوشنج ٦٨ - ٣ : ترجعن ٨٢ - ١٧ يمنياً ٨٦ - ٣ : مالك ٨٩ - ٢، ٣ : وأهلًا ٨٩ - ٦ : فتق ٩٢ - ٢١ : يندى ٩٤ - ١٨ : لأكنى اودية ٩٥ - ٦ : تنفق ١٠٨ - ٧: أمير الناس ١٠٩ - ١٦ : مرة ١١٥ - ١ : والبستها ١٢٢ - ٢٠ : نفسه ١٢٤ - ١ : ربعة ١٢٤ - ٣ : مسعدة ١٢٦ - ٥ : رأس ١٢٦ - ٦: بهارون ١٢٦ - ٧ اليمامة ١٣٠ - ٢١ : تنصبنى ١٣٠ - ٢١ : أغلب ١٣٢ - ٦: ومقام ١٣٢ - ٦ : الهون ١٣٣ - ٧: رافع ١٣٣ ٨ : الأنذال ١٣٣ - ١٧: أزاح ١٣٤ - ٢١ : نجيل ١٣٥ - ٢ : جنان ١٣٥ - ١٥: العوان، موكل ١٣٥ - ٢٠ : لأكسبها ١٣٦ - ١٣ : ألجمت، لجيم ١٣٦ - ١٥ : وطدت ١٣٦ - ١٧: فتركب ١٣٧ - ٧ : تحتدا ١٣٧ - ٨ : مختلف، عضبا ١٣٧ - ١٧ : واللهو ١٣٨ - ٣ : يشوى ١٤٩ - ٥ : أوسع ١٥٢ - ١ ينهى ١٥٢ - ٢: أوله ٥٣ - ١ ، ٦ : فاللاذرف ١٥٦ - ٣ : الجزاز ١٥٧ - ٦ : مقلتى ١٥٧ - ١٥ : وجيش ١٥٨ - ٦ : حمراء ١٥٨ - ١٥ يصلح ١٥٩ - ٢٠ طلابها ١٦١ - ١٨ : عداتكم ١٦٢ - ٥ : الأبواب ١٦٢ - ٦ : زى ١٦٢ - ٧ : أرهفن ١٦٢ - ١٨ : تغنوا ١٦٥ - ١١ : رعت الليل، النوم ١٦٥ - ١٢: ان، تجرح ١٦٥ - ١٧ : بعضه ١٦٦ - ١٠ : وطول ١٦٦ - ١٧ : ما احسب ١٦٧ - ٢ الحريق ١٦٨ - ٢٠ مشتغلا ١٦٩ - ٢١ : حزت ١٧٤ - ١٤ النرجس ١٧٦ - ١١ : ياشرعة ١٧٨ - ١٠ : يروق ٢٠٨ - ٢٢ ابو الحسين بن الحكم

بسم الله والحمد لله يختص برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم

أما بعد: فقد بينا على الصفحة الأولى من هذا الكتاب اننا أخذنا أصوله عن مصور شمسى للنسخة الخطية الوحيدة المحفوظة فى المتحف البريطانى بلندن . ولا يخفى على أهل العلم والعرفان ان الأخذ عن مصور شمسى لنسخة مكتوبة بخط قديم العهد يرجع إلى مئآت السنين لايخلو من صعوبات جمة يتحملها الناشر الذى يتوخى ابراز الكتاب على صورته الحقيقية ، ثم بالنظر لقدم لغة هذا الكتاب وفى سبيل محافظتنا على الأصل قد ابقينا على بعض الجمل مع مابها من اضطراب .

قال العلامة المستشرق الاستاذ هنس كلر فى مقدمته على النسخة التى نشرها بخط يده بالزنكغراف سنة ١٩٠٨ : «واعتزمت ابراز هذا الكتاب لأنه كثير الفائدة عظيم الأهمية ، قديم اللغة ولأن مؤرخه أول من كتب تاريخ مدينة السلام وكثيراً مانسخ عنه المؤرخون . . . . الخ » .

وقد راجعنا اصولنا على طبعة المستشرق المذكور للاستيناس فاثبتنا بين اقواس مربعة الزيادات التى فى نسختنا كما وأننا اشرنا فى فهرس الموضوعات إلى الحوادث والأخبار التى انفرد بها المولف دون سواه من المؤرخين .

هذا وانى أسأل الله تعالى أن ينير لنا سبيل كل خير يرضاه وأن يحفظ بعين عنايته ويبارك بفضله عمر استاذنا وملاذنا بقية السلف الصالح استاذ المحققين والمحدثين ، امام هذا العصر وأوحده الذاب عن حرم الاسلام والمسلمين صاحب الفضل والفضيلة الاستاذ الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وكيل المشيخة الاسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً ونزيل القاهرة الآن وان يمده بروح من عنده انه سميع مجيب .

ثم اتقدم بجزيل الشكر لحضرة الأخ الأديب البحاثة الاستاذ فؤاد افندى السيد الموظف بدار الكتب المصرية الملكية بالقاهرة لما يسديه إلى خدام العلم والادب من المعونة للحصول على كتب المراجع النادرة وغيرها من المخطوطات العلمية المفيدة

وفى الختام أسأل الله تعالى أن يوفقنى لما فيه رضـــاه وان يغفر لى ويرحمنى
ووالدى ومشـايخنا والمسلمين والمسلمـــات انه مجيب الدعاء كتبـه
ناشر الـكتـاب الفقير إلى الله تعالى راجى عفوه وغفرانه أبو
أسامة السيد عزة ابن المرحوم العالم النحرير السيد أمين بن
المرحوم محدث الديار الشامية وبدر بدور البلدة الدمشقية
السيد سليم بن المرحوم العالم العلامة السيد ياسين
ابن شيخ علماء البـــلاد الشاميه وشيخ شيوخ
الشافعية المحدث الـكبير السيد حامد بن
شهاب الملة والدين الشهاب احمد بن
عبيد بن عبد الله بن عسكر
الحسيني النسب الحمصى
المولد الدمشقي الموطن
الشهير بالعطار